لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القراء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعاج

المجلد السابع

دار اللباب

لُبابُ التفاسيرِ

(٧)

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

9 789933 930271

دار اللُّبَاب
للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

تسعٌ وستُّون آيةً(١)، مكِّيَّةٌ عند الجمهورِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قولانِ(٢): مكِّيَّةٌ، ومدَنيَّةٌ(٣).

وعن عليٍّ رضي الله عنه: نزلَتْ بين مكّةَ والمدينةِ(٤).

وعن يحيى بنِ سلامٍ: مكِّيَّةٌ إلّا عشرَ آياتٍ من أوَّلِها فإنَّها مدنيةٌ(٥).

وقيل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨] وقولُه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] نزلَتا بالمدينةِ فحسبُ.

---

(١) «تسع وستون آية»: ليس في (ف).

(٢) في (ن): «فيها قولان».

(٣) ذكرهما عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٩٨)، وقال الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٤): «مدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة، وفي القول الثاني لهما ـ وهو قول يحيى بن سلام ـ: مكية كلها إلا عشر آيات من أولها مدنية إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾». وسيأتي هذا عن يحيى بن سلام قريباً.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٦٥) وقال: «هذه رواية غريبة».

(٥) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٦١٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿الٓمٓ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ سبقَ الكلامُ فيه، ووقوعُ الاستفهامِ بعدَه يدلُّ على استقلالِـها وانقطاعِها عمَّا بعدَها في هذه السُّورةِ وغيرِها منَ السُّورِ.

***

(٢) ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ عن الشَّعبيِّ: أنَّ هاتَين الآيتَين نزلَتا في أُناسٍ كانوا بمكَّةَ قد أقرُّوا بالإسلامِ، فكتبَ إليهم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ منَ المدينةِ: إنَّه لا يُقْبَلُ منكم إقرارٌ ولا إسلامٌ حتَّى تُهاجِروا، فخرجُوا عامدين إلى المدينةِ فاتَّبعهم المُشركون فقاتلوهم، فمنهم مَن قُتِلَ، ومنهم مَن نَجا، فنزلَتْ فيهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [النحل: ١١٠][(١)].

وأكثرُهم على أنَّها نزلت في مِهْجَعٍ مولى عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، قُتِلَ يومَ بدرٍ، رماه عامرُ بنُ الحضرميِّ بسهمٍ فقتلَه، فقال ﷺ يومَئِذٍ: «سيِّدُ الشُّهداءِ مِهْجَعٌ، وهو أوَّلُ مَن يُدعَى إلى بابِ الجنَّةِ من هذه الأمَّةِ»، فجزِعَ عليه أبواه وامرأتُه، فأنزَلَ الله فيهم[(٢)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣١).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١١) عن مقاتل، وهو بنحوه في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وروى ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٧١)، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: «أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر»، =

وعن مجاهدٍ: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه حين كان يُعذَّبُ في الله[1].

وقيل: نزلَتْ في عَيَّاشٍ أخي أبي جهلٍ[2].

قولُه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ استفهامُ إنكارٍ على مَن جَزِعَ، والمعنى: أحَسِبُوا أن يُقنَعَ منهم بمُجرَّدِ قولِـهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ ثمَّ لا يُمتَحَنون بما به[3] يظهرُ حقيقةُ إيمانِهم.

وقيل: معناه: أظَنَّ المُؤمنون أن لا يُؤذَوا ولا يُقتَلوا؟

وقيل: أظَنُّوا أن لا يُؤمَروا ولا يُنهَوا؟

***

(٣) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ابتلَيناهُم، من قولِه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤].

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانِهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في الدِّينِ.

وقيل: هو من صِدْقِ القتالِ وكذِبِ القتالِ.

= ورواه ابن سعد أيضًا عن الزهري.

(١) لم أقف عليه عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢)، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول:... فذكره.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٨) عن السدي، وعياش هو ابن أبي ربيعة، أخو أبي جهل لأمِّه. كما في «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٢٣٠). وذكر بعض المفسرين أن الذي نزل في عياش هو الآية العاشرة من هذه السورة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٥). وذكره دون نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٦٢٦)

(٣) «به»: ليس في (ف).

وقيل: صدَقوا فيما وَعَدوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ منَ النُّصرةِ.

أي: يعلمُهم موجودين كما علمَهم معدومين.

وقيل: يعملُ معهم مُعاملةَ المُختبِرِ.

وقيل: يعلمُ علمَ مُشاهدةٍ بصحَّةِ الجزاءِ.

وقيل: معنى (لَيَعْلَمَنَّ): ليُجازِيَنَّ.

قولُه: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ واقعٌ موقعَ مفعولَي (حسِبَ)، و﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ نصبٌ، وتقديرُه: بأن يقولوا، و: لأَنْ يقولوا، فحُذِفَ الجارُّ، فوصلَ إليه الفعلُ فنصبَه.

الزَّجَّاجُ: نصبٌ على البدلِ من ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾، وأنكرَ عليه أبو عليٍّ في «إصلاحِ الإغفالِ»، وقسَّمَ عليه الكلامَ، وليس في «معاني الزَّجَّاجِ» صريحُ ما يدَّعي عليه أبو عليٍّ منَ البدلِ، بل عنده: أحسِبُوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتَنون، فحُذِفَ (حسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه[1]، وله نظائرُ.

وقيل: تقديرُ الكلامِ: أحسِبَ النّاسُ أنفُسَهم متروكةً قائلينَ آمنَّا.

المُبرِّدُ: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ نصبٌ بـ(حسِبَ)، و﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ نصبٌ بـ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾، والخبرُ محذوفٌ[2].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩)، وليس فيه: «فحُذِفَ (حسِبَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه»، ولكن المصنف ذكر وجهاً يحتمله كلام الزجاج، وهو أن يكون (أن يقولوا) منصوب بفعل مقدر (حسب) دلّ عليه المذكور، وبهذا يخرج من القول بالبدلية الذي ألزمه أبز علي للزجاج في «الإغفال» (٢/ ٥١٨) مع ثلاثة احتمالات أخرى، وهي: المفعول الأول والثاني والصفة، ولم يرتض أبو عليّ منها شيئاً. وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧) القول بالبدلية واستغربه، ونبه لما نبه إليه هنا من كون الزجاج لم يصرح به، ونحن ننبه هنا إلى أن أبا علي لم ينسبه للزجاج، وإنما أورده كاحتمال لكلامه بعد أن أورده بحروفه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٧)، واستغربه، وفيه: «والمفعول الثاني محذوف» بدل «والخبر محذوف» والمعنى واحد؛ لأن المفعول الثاني أصله الخبر في باب حسب.

والحُسْبانُ: قوَّةُ أحدِ النَّقيضَين على الآخرِ، ومثلُه الظَّنُّ والتَّوهُّمُ، وأما العلمُ: فالقطعُ بأحدِهما، والشَّكُّ: توقُّفٌ بينَهما.

* * *

(٤) ـ ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشِّركَ والمعاصيَ ﴿أَن يَسۡبِقُونَا﴾: أن يفوتُونا فلا نَقدِرُ عليهم ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ على الله بالعجزِ.

وقيل: ساءَ ما يظنُّون؛ أي: كِلا الظَّنَّين باطلٌ.

* * *

(٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ في القيامةِ ويطمعُ في ثوابِه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الذي أجَّلَه للجزاءِ ﴿لَأٓتٖ﴾؛ أي: قريبٌ.

وقيل: معناه: مَن كان يخافُ الموتَ والمصيرَ إلى دارِ الجزاءِ فليعمَلْ خيرًا ولا يتوانَ فيه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ يعني: الموتَ ﴿لَأٓتٖ﴾ لا محالةَ[1].

وقيل: معنى ﴿يَرۡجُواْ﴾: يأمُلُ ثوابَ لقاءِ الله.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسَه بالصَّبرِ على طاعةِ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

وقيل: جاهدَ الكفَّارَ.

وقيل: جاهدَ الشَّيطانَ بدفعِ وساوسِه.

﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ له ثوابُ ذلك ومنفعتُه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: عن طاعتِهم ومُجاهدَتِهم.

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: الشِّركَ والمعاصيَ بالإيمانِ والتَّوبةِ.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بأحسنِ أعمالِهم وهو طاعةُ الله.

وقيل: هو أداءُ الفرائضِ.

ويحتمِلُ: ولنجزينَّهم أحسنَ منَ الذي كانوا يعملون[1]؛ أي: بالواحدِ عشرًا، وبالواحدِ سبعين.

* * *

(٨) ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ وأمِّه حَـمْنَةَ، قالت له: يا سعدُ، بلَغَني أنَّك صبَوْتَ، فوالله لا يُظِلُّني سقفُ بيتٍ منَ الضِّحِّ والرِّيحِ، ولا آكلُ ولا أشربُ حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ وترجعَ إلى ما كنتَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

عليه، وكان أحبَّ ولدِها إليها، فأتى سعدٌ النَّبيَّ ﷺ وشكا ذلك إليه، فأنزلَ الله هذه الآيةَ، والتي في (لقمانَ) و(الأحقافِ)[1].

والمعنى: أوصَيْناه فيما أنزلناه منَ الكتبِ على رسلِنا أن يفعلَ الإنسانُ بأبوَيه ما يحسُنُ ولا يقبُحُ.

وقيل: معنى ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: ألزَمْنا.

ونُصِبَ ﴿حُسْنًا﴾ على المصدرِ، وتقديرُه: بأن يُحسِنَ حُسنًا.

وقيل: الإيصاءُ يتعدَّى إلى مفعولَين.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في سعدِ بنِ مالكٍ، ابتُليَ بمثلِ ما ابتُليَ به سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ[2]، والمعنى: وصَّيناه ﴿إِنْ جاهَداكَ﴾: إنْ جَهِدا بك وغالَباك واستَفْرَغا مجهودَهما وحملاك على الإشراكِ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنَّه لي شريكٌ، وهذا علمٌ لا يكونُ؛ إذ لا شريكَ له.

أبو مسلمٍ: لا تُطِعهما مدَّة لا تعلَمُ له شريكًا[3]، جعلَ (ما) للمصدرِ، والمُرادُ به: المدّةُ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٠) وعزاه للمفسرين. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة، وأصله عند مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه. والتي في لقمان الآيتان (١٤ ـ ١٥)، والتي في الأحقاف الآية (١٥).

(٢) كذا قال، وهو سهو منه، فإن سعد بن أبي وقاص هو نفسه سعد بن مالك.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب. وفيه: «... مدة ما لم تعلم له...».

وقيل: ما ليس لك به حجَّةٌ؛ لأنَّ الحجَّةَ طريقُ العلمِ.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾؛ أي: أطِعْهما في الواجبِ والمُباحِ، ولا تُطِعهما في المُحرَّمِ والمحظورِ.

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: مصيرُ الوالدِ والولدِ إليَّ في القيامةِ.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أُوقِفُكم على أعمالِكم؛ فإنَّها مُثبتةٌ عندي، ثمَّ أُجازيكُم بها.

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في الجنَّةِ مع المؤمنين.

وقيل: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بعد كُفرِهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعدَ إفسادِهم ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بقَبولِ توبتِهم وجعلِهم أسوةَ سائرِ المؤمنين وفي جُملتِهم.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن مجاهدٍ والضَّحَّاكِ: أنَّها نزلَتْ في المنافقين(١).

عكرمة: نزلَتْ في المؤمنين الذين أخرجَهم المشركون إلى بدرٍ فارتدُّوا، قال:

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٥)، ورواه عن مجاهد ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧).

وهم الذين نزلَتْ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧](1).

﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا أُصيبَ بمكروهٍ في سببِ إظهارِ دينِ الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تركَ الإيمانَ خوفًا من عذابِ النّاسِ كما ينبَغي أن يترُكَ الكفرَ خوفًا من عذابِ الله، فعَدَلَ عذابَ الدُّنيا الذي هو ساعةٌ بعذابِ الله الذي هو باقٍ لا ينقطعُ.

الزَّجَّاجُ: جزِعَ من ذلك كما يجزَعُ من عذابِ الله(2).

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: فتحٌ وغنيمةٌ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾؛ أي: مؤمنين فأشرِكونا فيما غنِمتُم، ويقولون ذلك استِكفافًا لِمَا يخافونَه من إيقاعِ المُؤمنين بهم.

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ يُريدُ: مِن خلقِه ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ منَ الإخلاصِ والنِّفاقِ.

***

(١١) ـ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: حالُهما ظاهرةٌ عندَ مَن يملكُ الجزاءَ عليهما.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦١).

(١٢) - ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا ﴾: طريقَنا الذي نسلكُه في الدِّين ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ يُريدُ: عنكم، اللَّفظُ أمرٌ والمعنى جزاءٌ[١].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هذا القائلَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ وأميَّةُ بنُ خلَفٍ، قالا لعمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه: إنْ كان في الإقامةِ على دينِ الآباءِ إثمٌ فنحنُ نحملُه عنك[٢]، فقال الله: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾ يُخفِّفُ عن المحمولِ عنه العذابَ، ﴿إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ في قولِـهم.

***

(١٣) - ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾: آثامَهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يُضاعَفُ لهم العذابُ بذنوبِهم وذنوبِ مَن أضلُّوهم، من قولِه عليه السَّلامُ: «مَن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعليه وزرُها ووزرُ مَن عملَ بها إلى يومِ القيامةِ»[٣].

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يَكْذِبون في خداعِهم هذا.

وقيل: ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يُشرِكون.

***

---

(١) أي: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٢).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٧٦)، وفي ذكر أبي سفيان نظر؛ فقد أسلم وحسن إسلامه، فلا يوصف بالكفر من كان هذا حاله.

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(١٤) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى الله، وكان أوَّلَ نبيٍّ فيما رواه أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ[1]؛ أي: مكثَ فيهم تسعَ مئةٍ وخمسين حولًا، وكان هذا مدَّةَ عمرِه.

وقيل: كان له قبل هذا ثلاثُ مئةٍ وخمسونَ سنةً؛ أي: قبل النُّبوَّةِ، وعاشَ بعد الطُّوفانِ ثلاثَ مئةٍ وخمسينَ سنةً.

وقيل: كان له قبلَ النُّبوَّةِ ثلاثُ مئةِ سنةٍ، ودعاهم إلى الإيمانِ ثلاثَ مئةِ سنةٍ، وعاش بعد الطُّوفانِ ثلاثَ مئةٍ وخمسينَ سنةً.

وقيل: كان عمرُه ألفَ سنةٍ، فوهَبَ منها خمسين لابنٍ له، فلمَّا كان في آخرِ عمرِه راجعَ في ذكرِ الخمسين، فذكرَ الله ذلك تنبيهًا على أنَّ النَّقيصةَ كانت من جهتِه، حكاه الماورديُّ[2]، وهذا منَ التُّرَّهاتِ.

وإنَّما قال: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ﴾ ولـم يقُلْ: فلبِثَ[3] فيهم تسعَ مئةٍ وخمسين؛ لأنَّك إذا قلتَ: «له تسعةٌ» احتملَ التَّمامَ والنُّقصانَ، فإذا قلتَ: «عشرةٌ إلا واحدةً» فقد أكَّدتَ التِّسعةَ.

وقيل: ذكرَ الألْفَ لفخامةِ اللَّفظِ، فإنَّ الألْفَ من كلِّ شيءٍ كثيرٌ.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٤٠)، وهو قطعة من حديث الشفاعة، ولفظه: «ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨) واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «مكث».

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: الماءُ المُحيطُ حتى غرِقُوا، وكلُّ ما عمَّ الكلَّ منَ المكارهِ فهو طوفانٌ، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أنفسَهم بالكفرِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: أولادَه وأصحابَه، وكانوا ثمانين نسَمةً.

وقيل: مَن كان فيها، وما كان فيها من كلٍّ زوجَين اثنين.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: السَّفينةَ حين استوَتْ على الجوديِّ، وناحيةُ الجوديِّ موضعٌ يُعرَفُ بسوقِ الثَّمانين.

وقيل: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: العقوبةَ ﴿ءَايَةً﴾، وقيل: القِصَّةَ.

﴿ءَايَةً﴾: عبرةً وعِظةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يتَّعِظون بها.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: وأرسَلْنا إبراهيمَ، وقيل: واذكر إبراهيمَ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أخلِصُوا له العبوديَّةَ والطَّاعةَ ﴿واتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابَه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإخلاصُ والاتِّقاءُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من عبادةِ الأصنامِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: تدبَّرون وتفكَّرون.

* * *

(١٧) ـ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تكذِبون كذبًا.

وقيل: (تَخْلُقُونَ): تصنَعون، والخلقُ: الفعلُ المُقدَّرُ.

﴿إِفْكًا﴾: ذا إفكٍ؛ أي: كذبٍ حينَ سمَّيتُموها آلهةً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: الأوثانُ لا تملكُ أن ترزُقَكم، وهو مصدرٌ.

وقيل: لا يملكون شيئًا ممَّا هو رزقٌ لكم.

﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: سَلُوا اللهَ حوائجَكم ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما ابتدأكم به منَ النِّعمِ ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ محمَّدًا ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: قومَ نوحٍ، وقومَ إبراهيمَ، وهذا اعتراضٌ بين خطابِ إبراهيمَ قومَه وجوابِهم إيَّاه.

وقيل: كلُّه من كلامِ إبراهيمَ(١)، والأوَّلُ هو الوجهُ.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾: ليس عليك يا محمَّدُ من كفرِهم غضاضةٌ إذا بلَّغْتَ، فليس عليك غيرُ ﴿الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾ يبينُ لمَن سمعَه.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، واستغربه.

(١٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيستدِلُّوا بالمُتَّفَقِ عليه على المشكوكِ فيه.

ويحتمِلُ أنَّ الوقفَ على قولِه: ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ تامٌّ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾؛ لأنَّ ذلك فيما لم يَرَوْا بعدُ، وكذلك قولُه: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، والوقفُ عليه في الثَّاني مرويٌّ[١].

ويحتملُ أنَّ المُرادَ بالإبداءِ والإعادةِ والإنشاءِ ما نُشاهدُه مما يتجدَّدُ كلَّ حينٍ وكلَّ سنةٍ منَ النَّباتِ والأشجارِ والثِّمارِ، فيكونُ داخلًا تحتَ الرُّؤيةِ والنَّظرِ، والله أعلمُ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: الإعادةَ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ هيِّنٌ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ.

ومَن جعلَه من كلامِ إبراهيمَ فتقديرُه: فأوحينا إليه أنْ قُل: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على كثرتِهم واختلافِ أحوالِـهم؛ لتعرِفوا عجائبَ فطرةِ الله بالمُشاهدةِ ولقاءِ مَن هو أعلمُ منكم، وبدأَ وأبْدَأَ بمعنًى[٢]، والآيةُ تجمعُهما.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وقُرِئَ ﴿النَّشاءَةَ﴾ بالمدِّ[٣]، ....

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩).

(٢) انظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ١٢٧)، وقوله: «الآية تجمعهما» عنى به: هذه الآية والتي قبلها؛ في هذه (بدأ)، وفي التي قبلها ﴿يُبْدِئُ﴾ وماضيه (أبدأ).

(٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

وهما لغتانِ كالرَّأفةِ والرَّآفةِ، والإنشاءُ: ابتداءُ الشَّيءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ منَ الإبداءِ والإنشاء[1] والإعادةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه[2]، لا بقدرةٍ محدَثةٍ كقدرةِ بني آدمَ.

* * *

(٢١) ـ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: إعادتُهم بعد الموتِ للجزاءِ على الأعمالِ.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: وإلى حكمِه في دارِ الجزاءِ تُردُّون.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بفائتين هرَبًا من عقابِه؛ أي: فاحذَروا عقابَه ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: ولا مَن في السَّماءِ بمُعجِزين في السَّماءِ، قالَه الفرَّاءُ، قال: وهذا من غوامضِ العربيّةِ، وأنشدَ قولَ حسّانَ:

فمَن يهجو رسولَ اللهِ منكم ... ويمدَحُه وينصُرُه سواءُ

أي: ومَن ينصرُه[3].

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتُم فيها.

وقيل: لا تُعجِزوننا بأن تهرُبوا إلى الأرضِ أم إلى السَّماءِ[4].

---

(١) في (ن): «والنشأة».

(٢) في (ف) زيادة: «بقدر قديم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٥)، والبيت في «ديوان حسان» (ص: ٦٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، واستغربه.

وقيل: هذا قولُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ لقومِه وفيهم نُمرودُ، وكان نُمرودُ رامَ الصُّعودَ إلى الجوِّ يُوهِمُ أنَّه يُحاوِلُ السَّماءَ.

وقيل: معناه: لا تفوتون مَن في الأرضِ منَ الإنسِ والجنِّ ولا مَن في السَّماءِ منَ الملائكةِ، فكيفَ تفوتونَ الله سبحانَه[1]؟ وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تقومُ مَقامَ الموصولِ.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالقرآنِ، وقيل: بدلائلِ توحيدِه.

﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: البعثِ بعد الموتِ.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: هم أهلُ اليأسِ والعذابِ، وذُكِرَ بلفظِ الماضي لأنَّ أكثرَ ألفاظِ القيامةِ جاءت بلفظِ الماضي تحقيقًا.

وقيل: يئِسوا في الدُّنيا؛ لأنَّ اليأسَ رفعُ الطَّمعِ، وقد رفعوا طمعَهم بإنكارِهم البعثَ.

وقيل: يجبُ أن ييأسوا من رحمَتي.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ عاد بعد الاعتراضِ إلى كلامِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ وجوابِ قومِه فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إياه: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ فاتَّفقوا على تحريقِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٩)، وعده من العجائب.

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: منَ النّارِ ومكروهِها حين قذفوه فيها، وجعلَها بردًا وسلامًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: فيما فعلوه[1] به وفعَلْنا ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: علاماتٍ لهم على أنَّ العاقبةَ للمؤمنين.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ معنى الآيةِ: اتَّخذتُم هذه الأوثانَ لتتوادُّوا بها، وتتحابُّوا على عبادتِها، وتتواصَلوا، كما يتَوالى ويتحابُّ المؤمنونَ على عبادةِ الله.

وقيل: اتَّخذتموه مودةَ بينِكم لتُتْرَكوا وما هَوَيْتم ولا تكونوا مأمورين ولا منهيِّين، وإنَّما ذلك بينكم في الدُّنيا، فإذا صِرتُم إلى الآخرةِ تبرَّأ بعضُكم من بعضٍ، من قولِه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويلعنُ بعضُكم بعضًا من قولِه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ومأوى المُتحابِّين النارُ وجهنَّمُ من غيرِ أن يمنَعهم عنها مَنَعةٌ.

وفي إعرابِ الآيةِ كلامٌ:

---

(١) في (ف): «فعلوا».

قُرِئَ ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ، ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ بالنَّصبِ والجرِّ(١).

الرَّفعُ من ثلاثةِ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يكونَ خبرًا لـ﴿إِنَّ﴾، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي.

والثّاني: هي مودَّةُ بينِكم، خبرٌ مبتدأ محذوفٍ.

والثّالثُ: بالابتداءِ، والخبرُ ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وهذا قولُ الفرّاءِ(٢).

والوجهُ الأوَّلُ أحسنُها.

والنَّصبُ من خمسةِ أوجُهٍ:

أحدُها: أن يكونَ المفعولَ الثّانيَ، كما تقولُ: «أخذتُ زيدًا خليلًا»، و(ما) تكونُ كافَّةً لـ(إنَّ).

والثّاني: أن يكونَ مفعولًا له؛ أي: للمودَّةِ.

والثّالثُ: أن يكونَ حالًا؛ أي: مُتوادِّين.

والرّابعُ: أن يكونَ تـمييزًا.

والخامسُ: أن يكونَ بدلًا من الأوثانِ، كأنَّه جعلَ الأوثانَ المودَّةَ على السَّعةِ.

والوجهُ الأوَّلُ أحسنُها.

ومَن أضافَ (المودَّةَ) جعلَ ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ اسمًا لا ظرفًا؛ كقولِه: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦]، ومَن نوَّنَ ﴿مَوَدّةً﴾ ونصبَ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فعلى الظَّرفِ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿مَودَّةُ﴾ بالرفع من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، وحفص وحمزة: ﴿مَودَّةَ﴾ بالنصب من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، والباقون: ﴿مَودَّةً﴾ بالنصب والتنوين و﴿بينكم﴾ بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٨٨٠)، واستغربه.

(٢٦) ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾؛ أي: آمنَ به، وقيل: صدَّقه.

وجاء في التَّفسيرِ: لـم يُؤمِنْ به من جملةِ قومِه إلا لوطٌ وكانَ ابنَ أخيه، وسارةُ وكانت ابنةَ عمِّه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: مُفـارِقٌ قومـي خـارجٌ منهم ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: إلـى حيثُ أمرَني ربِّي.

وقيل: إلى حيثُ لا أُمنعُ من عبادةِ الله.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ غلبَهم ونجَّاني.

وقيل: هذا كلامُ لوطٍ، والمعنى: مُهاجرٌ مَن خالفَني من قومي مُقرِّبًا إلى ربي، حكاه القفَّالُ(١).

فخرجَ هو ولوطٌ عليهما السَّلامُ من كُوْثَى، سوادِ الكوفةِ إلى الشَّامِ، وهو أوَّلُ مَن هاجرَ في الله.

الفرَّاءُ: هاجرَ من حرَّانَ إلى فلسطينَ(٢).

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾؛ أي: إسحاقَ ولدًا، ويعقوبَ ولدَ ولدٍ، ولـم يذكُرْ هاهنا إسماعيلَ عليهم السَّلامُ لشُهرتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١) دون نسبة، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦).

وجاء في التَّفسيرِ: وخرجَ إبراهيمُ مُهاجرًا وخرجَ معه لوطٌ مُهاجرًا، وتزوَّجَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ سارةَ ابنةَ عمِّه، فخرجَ بها معه يلتمسُ الفرارَ بدينِه حتَّى نزلَ حرَّانَ، فمكثَ بها ما شاء الله، ثمَّ خرجَ منها حتَّى قدمَ مصرَ، ثمَّ خرجَ من مصرَ إلى الشّامِ، فنزلَ قريةً من أرضِ فلسطينَ، ونزلَ لوطٌ سَدُومَ - وهي المُؤتفكةُ - على مسيرةِ يومٍ وليلةٍ من قريةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾؛ أي: ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه شجرةُ الأنبياءِ.

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والقرآنَ، والألفُ واللَّامُ للجنسِ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: الثَّناءَ الحسنَ ولسانَ الصِّدقِ.

وقيل: الولدَ الصّالحَ.

وقيل: رِضا جميعِ الأديانِ به.

الماورديُّ: بقاءَ ضيافتِه عند قبرِه، قال: وليس ذلك لغيرِه منَ الأنبياءِ(١).

وقال بعضُ المُفسِّرين في قولِه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ هذا دليلٌ على أنَّ الله قد يُعطي الأجرَ والثَّوابَ في الدُّنيا(٢).

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من الأنبياءِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٤٨١)، وفيه: «بقاء الصلاة عند قبره، وليس ذلك لغيره من الأنبياء»، وورد قوله: «بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره» في «النكت والعيون» (٣/ ٢١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢]، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، واستغربه، وانظر كلام صاحب «النظم» الذي نقله الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥١٧).

الحسن: من أهلِ الجنَّةِ، قال: ولا صفةَ للعبدِ أشرفُ منَ الصَّلاحِ، وكفى بالصَّلاحِ شرفًا؛ أي: جعلَ الله إبراهيمَ عليه السَّلامُ منسوبًا إلى المُتَّصفينَ به(١).

* * *

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: واذكُرْ لوطًا، أو: وأرسَلْنا لوطًا.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: اللِّواطَ ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ مُواقعةَ الرِّجالِ ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: الطُّرقَ بالقتلِ وأخذِ المالِ.

وقيل: سبيلَ الولدِ بإتيانِ الأدبارِ وتعطيلِ الفروجِ.

وقيل: باللِّواطِ بالغُرَباءِ حتى انقطعَتِ السُّبُلُ(٢) خوفًا منهم(٣).

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾: مجلسِكم، تقولُ: نادَيتُه؛ أي: جالَستُه.

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ قيل: المُضارَطةَ، روَتْه عائشةُ رضي الله عنها(٤).

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٦٣٠): «من الذين يستوجبون صالح الجزاء. قال معناه الحسن».

(٢) في (ف): «الطرق».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨١)، واستغربه.

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤).

وقيل: كانوا يُجامعون في المحافلِ فعلَ الحميرِ.

مجاهدٌ: لعبُ الحمامِ، والصَّفيرُ، والجُلاهِقُ، والخَذْفُ، والسِّواكُ في المجلسِ، ومَضْغُ العلكِ، وحلُّ أزرارِ القَباءِ(١).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ قومَ لوطٍ كانوا يجلسون في مجالسِهم وعند كلِّ رجلٍ منهم قصعةٌ فيها حصًى، فإذا مرَّ بهم عابرُ سبيلٍ خذَفُوه، فأيُّهم أصابَ كانَ أولى به، فذلك قولُه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾»(٢).

وعنه ﷺ: «إياكُم والخذْفَ؛ فإنَّه لا ينكَأُ عدوًا، ولا يقتُلُ صيدًا، ولكنْ يفقَأُ العينَ، ويكسرُ السِّنَّ»(٣).

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الرِّسالةِ والإيعادِ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٥) بلفظ: «الصفير ولعب الحمام والجلاهق وحل أزرار القباء»، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣١٧) بلا نسبة. والجلاهق كعُلابِطٍ: هو البُنْدقُ الذي يرْمَى به، ومنه قوسُ الجُلاهِق، وأصلُه بالفارسية: جُلَهْ، وهي: كبَّة غَزْلٍ. انظر: «الصحاح» و«التاج» مادة: (ج ل هـ ق).

(٢) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩) من حديث معاوية رضي الله عنه، وفيه المسيب بن شريك وهو متروك. وروى الترمذي (٣١٩٠) من حديث أم هانئ عن النَّبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال: «كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم». قال: «هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك».

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٠)، ومسلم (١٩٥٤)، عن عبد الله بن مغفلٍ المزنيِّ رضي الله عنه.

(٣٠) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بإنزالِ العذابِ عليهم.

وقيل: بأن تمنعَ أذاهم عنِّي.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾؛ أي: جاؤوه ببشارةِ إسحاقَ، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوبُ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ يعنون: سَدُومَ، ولقُربها قالوا: ﴿أَهْلِ هذه الْقَرْيَةِ﴾، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ كافرين عاتين في الكفرِ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿قَالَ ﴾ إبراهيمُ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: أَتُهلِكونَهم وفيهم لوطٌ؟

﴿قالُوا﴾ يعني: الملائكةَ: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾؛ أي: أكثرُ علمًا، فليس يخفى علينا.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾؛ أي: لنأمُرَنَّ لوطًا بمُفارقةِ أهلِ القريةِ بقِطْعٍ مِنَ اللَّيلِ، أمرَنا الله بذلك، فيكونُ نزولُ الهلاكِ بهم بعد خروجِه من بين أظهُرِهم.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: الباقين في العذابِ.

ثمَّ أخبرَ عن مصيرِ الملائكةِ إلى لوطٍ بعد مُفارقتِهم إبراهيمَ فقال:

(٣٣) ـ ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: ساءَه مجيئُهم وخافَ عليهم قومَه أن يتناوَلوهم بالفجورِ حَسَبَ عادتِهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾؛ أي: ضاقَ ذرعُه عن قومِه بأنَ لا يحفظَ أضيافَه.

قتادةُ: معنى ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: ساء ظنُّه بقومِه، ﴿وَضَاقَ﴾ بضيفِه ﴿ذَرۡعٗا﴾[1]؛ أي: نفسًا.

﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾ من تمكُّنِهم منَّا، وقيل: لا تخَفْ ولا تحزَنْ لهلاكِهم.

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ نُصِبَ حملًا على المعنى؛ لأنَّه مفعولٌ.

وقيل: التَّنوينُ مُقدَّرٌ فيه؛ لأنَّه فعلٌ لـم يكُنْ وقعَ.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ في العذابِ.

***

(٣٤) ـ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾: عـذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: بفسقِهم وخروجِهم عن طاعةِ الله ورسولِه، فانتسفَ[2] جبريلُ المدينةَ وما فيها بأحدِ جناحَيه، فجعلَ عاليَها سافلَها، وتبعتِ الحجارةُ مَن كان غائبًا.

***

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٢٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٨).

(٢) يقال: انتسف ما في أيديهم؛ أي: اختطفه. انظر: «العين» مادة: (ن س ف) (٧/ ٢٧٠).

(٣٥) ـ ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قيل: هي الحجارةُ التي أُمطِرَتْ عليهم، فمَن ذهبَ إلى الشَّامِ وأتى على قريةِ لوطٍ رأى من تلك الحجارةِ.

وقيل: إنَّها بقيّةُ الأنهارِ التي كانت بأرضِهم، وصارَ ماؤُها أسودَ.

وقيل: ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾: عقوبةَ الله إيّاهم، والأمرُ في ذلك مشهورٌ عند العربِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ ﴾: وأرسلنا إلى مدينَ أخاهُم ﴿شُعَيْبًا فَقَالَ﴾ قيل: الفاءُ هاهنا لمُوافقةِ قولِه: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: اعملوا بطاعتِه لإدراكِ الثَّوابِ في الآخرةِ، وقيل: خافوه، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ عاقبَهم الله بالزَّلزلةِ ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ بعضُهم على بعضٍ ميِّتين.

وقيل: جاثِمين على الرُّكبِ.

وقيل: هي ما أصابَهم يومَ الظُّلَّةِ، رجفَت بهم الأرضُ مع أخذِ الحَرِّ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ ﴾ واذكُرْ عادًا وثمودَ. وقيل: أهلَكْنا.

وقيل: فتَنَّا؛ حملًا على أوَّلِ السُّورةِ.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ ﴾: ظهرَ لكم بعضُ مساكنِهم كيف خَرِبَ وخلا عن أهلِه بإهلاكِ الله إيّاهُم.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ منَ الكفرِ والمعاصي، ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الذي وجبَ عليهم سلوكُه، وهو الإيمانُ بالله ورُسلِه، ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾: ذَوي بصائرَ يُمكِنُهم تمييزُ الحقِّ منَ الباطلِ.

وقيل: مُستبصِرين عندَ أنفُسِهم بزعمِهم.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾: فائتين، بل أدركَهم العذابُ، يُقالُ لمَن فاتَ طالبَه: سبقَ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾؛ أي: أخذنْا كلَّهم فعاقَبْناهم بذنوبِهم؛ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارةً من سجِّيلٍ كقومِ لوطٍ.

وقيل: الحاصبُ: الرِّيحُ تأتي بالحصباءِ، وهي الحجارةُ الصَّغيرةُ، وتذكيرُه كالطَّالقِ والحائضِ.

وقيل: حاصِبٌ: مَلَكٌ رماهُم بالحصباءِ(١).

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ كقومِ صالحٍ وغيرِه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ يعني: قارونَ.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: فرعونَ وقومَه، وقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: ليُعاقِبَهم بغيرِ استحقاقٍ وجُرمٍ.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفرِ والعُدوانِ فيه.

* * *

(٤١) ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾؛ أي: مثَلُ مَن أشركَ باللهِ الأوثانَ في الضَّعفِ وسوءِ الاختيارِ ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ أي: كمثَلِ العنكبوتِ فيما تتَّخِذُه لنفسِها من بيتٍ، فإنَّ ذلك البيتَ لا يدفعُ عنها الحرَّ ولا البردَ، ولا يقي ما يُتَّقى بالبيوتِ، كذلك أوثانُ هؤلاءِ لا تنفعُهم ولا تُغني عنهم في الدُّنيا والآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾: لا بيتَ أوهى ولا أقلَّ وقايةً للحرِّ والبردِ من بيتِ العنكبوتِ.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يرجعون إلى علمٍ، لعلِموا أنَّ وَثنًا من حجارةٍ وجِصٍّ لا يُغني عنهم شيئًا.

الزَّجَّاجُ في جماعةٍ: تقديرُ الآية: مثَلُ الذين اتَّخذوا من دونِ الله أولياءَ لو كانوا يعلمون كمثَلِ العنكبوتِ، ليس أنَّهم لا يعلمون أنَّ بيتَ العنكبوتِ ضعيفٌ(١).

والعنكبوتُ يقعُ على الواحدِ وعلى الجمعِ، ويُذكَّرُ ويُؤنَّثُ، وليس التَّاءُ فيه للتَّأنيثِ، وجمعُها: عَناكِبُ، وتصغيرُها: عُنَيكِبٌ.

وفي التَّفسيرِ عن يزيدِ بنِ ميسرةَ: أنَّ العنكبوتَ شيطانٌ مسخَه الله(٢).

وعن عطاءٍ: نسجَتِ العنكبوتُ مرَّتَين: مرَّةً على النَّبيِّ ﷺ، ومرَّةً على داودَ عليه السَّلامُ(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٣) عن يزيد بن ميسرة عن ابن عائذ قال: «العنكبوت شيطان».

وروى أبو داود في «المراسيل» (٥٠٤) عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان فاقتلوه». فهذه كلها مرسلات، وروي مرفوعاً لكن بإسناد ضعيف:

رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه»، وأعله ابن عدي بمسلمة بن علي الخشني، وقال عنه الذهبي في «الميزان»: «شامي واه تركوه، وقال البخاري: منكر الحديث».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٩٧).

وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: طهِّروا بيوتَكم من نسجِ العنكبوتِ؛ فإنَّ تركَه في البيتِ يُورِثُ الفقرَ[1].

* * *

(٤٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾: وثَنٍ أو صنمٍ أو مَلَكٍ أو جِنٍّ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: المنيعُ لا شريكَ له ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تأخيرِ العذابِ[2].

و﴿مَا﴾ نصبٌ بـ﴿يَدۡعُونَ﴾، و﴿يَعۡلَمُ﴾ مُعلَّقٌ.

وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، وهو مفعولُ ﴿يَعۡلَمُ﴾، ومفعولُ ﴿يَدۡعُونَ﴾ مُضمَرٌ؛ أي: يدعونَه.

* * *

(٤٣) ـ ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾؛ أي: مثَلُ العنكبوتِ وبيتِها وسائرُ الأمثالِ نُبيِّنُها للنَّاسِ كافَّةً للاستدلالِ والتَّفكُّرِ فيها.

﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾: لا يَفطنُ لحقائقِها ولا ينتفِعُ بضربِها إلا أولو العلمِ الذين يضعونَ الأشياءَ موضعَها.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١) وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو متروك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «العقاب».

(٤٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: مُحِقًّا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: في خلقِه إيَّاها ﴿لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصَّهُم بالذِّكرِ لانتفاعِهم بها.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اقرأ القرآنَ، ولا يمنعَنَّكَ عن ذلك ما يُعاملُ معك الكفَّارُ.

وقيل: اتلُ عليهم وأنذِرْهم.

وقيل: اتَّبعْ ما فيه.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ودُمْ على إقامةِ الصَّلاةِ المفروضةِ.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: الصَّلاةُ: القرآنُ[1].

ابنُ بحرٍ: الصَّلاةُ: الدُّعاءُ؛ أي: قُمْ بالدُّعاءِ إلى أمرِ الله[2].

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الزِّنى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: الشِّركِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٨) بلفظ: «القرآن الذي يقرأ في المساجد»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٣)، وعده من العجائب.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تنهَى ما دامَ فيها(١).

قال ﷺ: «مَن لـم تنهَهُ صلاتُه عنِ الفحشاءِ والمُنكرِ لم يزدَدْ منَ الله إلا بُعدًا»(٢).

وقيل: ﴿تَنۡهَىٰ﴾ لأنَّ فيها تلاوةَ القرآنِ، وهو مُشتملٌ على كلِّ وعظٍ.

ووصفُ الصَّلاةِ بالنَّهيِ توسُّعٌ، كما تقولُ: العلمُ ينفعُ، والجهلُ يضرُّ، والعقلُ يأمرُ بكذا، و﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وعلى تأويلِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ القرآنَ ينهى؛ أي: فيه النَّهيُ عن المُنكرِ، وعلى تأويلِ ابنِ بحرٍ: إنَّك بدعائِك تأمرُهم بالمعروفِ وتنهاهُم عن المُنكرِ.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٨٤) عن الكلبي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
ورواه الدَّارَقُطني في «غرائب مَالك» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٤) ـ وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٩٧)، من طريق محمد بن الحسن الأَزْديّ عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، قال الدّارقطني: «هذا باطل لا أصل له، ومحمد بن الحسن مجهول». وقال ابن حبان: «محمد هذا يروي عن مالك ما لا أصل له، لا يجوز الاحتجاج به».
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥٤) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.
قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٤): أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطَّاعة والمعصية» من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، ورواه الطبراني، وأسنده ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عَبَّاس بإسناد لين، والطَّبرانيّ من قول ابن مسعود: «من لم تأمره صلاته بالمعروف وتَنْهَه عن المُنكر لم يَزْدَدْ من الله إِلَّا بعداً». وإسناده صحيح.

﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾ إيَّاكم ﴿أَكۡبَرُۗ﴾ من ذكرِكم إيَّاه، هذا قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[١].

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ منَ الصَّلاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾ في الصَّلاةِ ﴿أَكۡبَرُۗ﴾ منه خارجَ الصَّلاةِ؛ أي: أكثرُ ثوابًا.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ من سائرِ أركانِ الصَّلاةِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿أَكۡبَرُۗ﴾ في النَّهيِ عن الفاحشةِ منَ الصَّلاةِ[٢].

وقيل: المُرادُ بالذِّكرِ هاهنا النَّهيُ؛ أي: الصَّلاةُ تنهى ونهيُ الله أكبرُ.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ من كلِّ العباداتِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ من أن يُبقِيَ على صاحبِه عقوبةَ الفحشاءِ والمنكرِ.

وقيل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ منَ الفاحشةِ والمُنكرِ[٣]، وهذا ضعيفٌ.

ويحتملُ أنَّ تأويلَ (ذكرِ الله): الصَّلاةُ، كأنَّه قال: والصَّلاةُ أكبرُ من سائرِ العباداتِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ في الصَّلاةِ وتلاوةِ القرآنِ فيُجازيكم عليه.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٨) وصححه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، وعده من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

قتادةُ: منسوخةٌ، نسخَتْها ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩][(١)].

والثّاني: ابنُ زيدٍ: هي مُحكَمةٌ، والمُرادُ مُؤمنوهُم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بالإقامةِ على الكفرِ؛ فإنَّه يُجادَلُ ويُقالُ له الشَّرُّ[(٢)].

والثّالثُ: مجاهدٌ: مُحكَمٌ، والمُرادُ به ذَوو العهدِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ فقاتلَ ولـم يُعطِ الجزيةَ[(٣)]، فيكونُ تقديرُه: ظلَموكم بمنعِ الجزيةِ.

والمُجادَلةُ: قَتْلُ الخصمِ بطريقِ الحِجاجِ، وأصلُه: الفَتْلُ.

وقيل: ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾: لا إلهَ إلا الله.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ أبو سلمةَ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: كانَ أهلُ الكتابِ يقرؤونَ التَّوراةَ وهو بالعِبرانيّةِ ويُفسِّرونَه بالعربيّةِ لأهلِ الإسلامِ، فقال ﷺ: «لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبوهم، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٥)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٩) بلفظ: «ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلهم يحسنون شيئاً في كتاب الله لا تعلمه أنت، فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا، المقيم منهم على دينه. فقال: هو الذي يجادَل ويقال له بالسيف».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٨) بلفظ: «﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ قال: من قاتل ولـم يعط الجزية».

إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾»[1]؛ أي: القرآنُ، والتَّوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبورُ.

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ﴾: معبودُنا واحدٌ، وهو الله سُبحانَه وتعالى، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: خاضِعون مُتذلِّلون لأمرِه ونهيِه.

* * *

(٤٧) - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أي: كما أنزَلْنا الكتُبَ على مَن تقدَّمَكَ منَ الأنبياءِ أنزَلْنا إليك القرآنَ.

وقيل: الكافُ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا﴾[2].

وقيل: مُتَّصلةٌ بما أَمرَ به في الآيةِ الأولى منَ المُجادَلةِ بالأحسنِ.

﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يُريدُ: مَن آمَنَ من أهلِ الكتابِ.

﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني: العرَبَ.

وقيل: ﴿الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ يعني: مَن تقدَّمَ منهم ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: الذين كانوا في زمانِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: «وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]».
ورواه بلفظ المصنف الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٥٧) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه.

وقيل: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾: هم المُؤمنونَ ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: أهلَ الكتابِ.

قولُه: ﴿يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ قيل: بالقرآنِ.

وقيل: بمُحمَّدٍ ﷺ.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ القرآنِ ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ كتابًا منَ الكتبِ ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: ولا تخطُّ كتابًا بيدِك؛ لأنَّك أُمِّيٌّ لا تكتُبُ ولا تقرأُ.

وعن الشَّعبيِّ: ما ماتَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى كتبَ[1].

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (ولا تَخُطَّهُ) بالفتحِ على النَّهيِ[2]، والصَّحيحُ أنَّه لم يكتُبْ.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ لقالتِ اليهودُ: كتبَه من تلقاءِ نفسِه.

وقيل: ﴿لَّٱرْتَابَ﴾ أهلُ الكتابِ؛ لأنَّ نعتَكَ في الكتبِ المُتقدِّمةِ: النَّبيُّ الأمِّيُّ الذي لا يكتبُ ولا يقرأُ منَ الكتابِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤)، واستغربه، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢) للنقاش. وروى البيهقي نحوه في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢) عن عون بن عبد الله عن أبيه. قال البيهقي: «هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين».
قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، انظر تفصيل الكلام في ذلك في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧)، وقد تقدم عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٤).

وقيل: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ عامٌّ في جميعِ الكفَّارِ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُوَ﴾: بل القرآنُ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.

قتادةُ: هو القرآنُ، وأعطَى هذه الأمَّةَ حفظَ القرآنِ، ومَن كان قبلَهم لا يقرؤون الكتابَ إلّا نظرًا، فإذا أطبَقوه لـم يحفَظوا ما فيه إلا النَّبيُّون[١].

وقيل: بل النَّبيُّ وأمورُه آياتٌ بيِّناتٌ[٢].

وقيل: كونُه لا يقرأُ ولا يكتبُ آياتٌ بيِّناتٌ[٣].

قولُه: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: العلمَ بكتبِ الله وأحوالِك وصفاتِك.

وقيل: هم أصحابُ النَّبيِّ[٤] ﷺ يحفَظونَه، ويعتقِدون أحكامَه، ويُفرِّقون بينَ كلامِ الله وكلامِ البشرِ.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: وما يُنكِرُ أدلَّتنا، والجحودُ الأوَّلُ مُتعلِّقٌ بالوحدانيَّةِ، والثَّاني بالنُّبوَّةِ، تقولُ: جَحَدَه وجَحَدَ به، وكَفَرَه وكَفَرَ به.

وقيل: تقديرُه: وما يجحَدُ محمدًا بِرَدِّ آياتِنا.

* * *

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «محمد».

(٥٠) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كما أُوتيَ موسى وعيسى.

وقيل: هو ما سألوه في قولِه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فهو يأتي بها، لستُ أملِكُ منها شيئًا فآتيَكم بما تقترِحُونَه عليَّ.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾: أُنذِرُكم عذابَ الله على إقامتِكُم على شركِكُم ﴿مُّبِينٌ ﴾: أُبيِّنُ لكم الإنذارَ.

* * *

(٥١) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بلسانِهم، وهم أفصحُ النّاسِ وأعلَمُهم بأصنافِ البلاغةِ، وقد تحدَّيتُهم لأَنْ يأتوا بمثلِه، أو عشرِ سُورٍ مثلِه، أو سورةٍ مثلِه، فعجَزوا فبذَلوا الأموالَ والمُهَجَ دونَه، وذلك أبلغُ من سائرِ المُعجزاتِ، وأبعدُ من أسبابِ التَّشكيكِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾: في القرآنِ ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: لمَن همُّه الإيمانُ دونَ التَّعنُّتِ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًاۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ يشهدُ لي بالصِّدقِ بأنِّي رسولُه، يعني: شهادتَه في قولِه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقيل: معناه: في القرآنِ الذي بَيَّنَ الله بإعجازِه صِدْقي كفايةٌ وشهادةُ صدقٍ بيني وبينكم لمَن طلبَ الدَّليلَ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يخفَى عليه فيهما شيءٌ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي لا يجوزُ الإيمانُ به، وهو إبليسُ.

وقيل: الصَّنَم.

وقيل: صدَّقوا الباطلَ.

﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ الذي يجبُ الإيمانُ به والشُّكرُ على نعمِه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الهالكون.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولِهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قيل: نزلت في أبي جهلٍ[1].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٦) من غير تصريح بسبب النزول، وقد صرح بمثله في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لكلِّ عذابٍ أنزلَه الله على أمَّةٍ أجلٌ معلومٌ لا يُقدِّمُه قبلَه ولا يُؤخِّرُه، وهو إذا تَناهى الإعذارُ ووقعَ اليأسُ من إيمانِهم.

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: ليس تأخُّرُه لعجزٍ عن الإنزالِ، ولا لرِضًا بكُفرِهم، بل لأنَّ الأجلَ لـم يحضُرْ بعدُ.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً؛ لا يحسَبونَه إذا حضرَ الأجلَ المعلومَ عندَه.

وقيـل: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سـمَّاه الله لأعمارِهـم ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ أجلُهـم ﴿بَغْتَةً﴾، فيُعذَّبون عندَ نُزولِ الموتِ بهـم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئِه.

وقيل: الأجلُ المُسمَّى القيامةُ.

* * *

(٥٤) - ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عجَّبَ من جهلِهم في استعجالِ العذابِ وقد أعدَّ الله لهم جهنَّمَ، وأنَّها قد أحاطَتْ بهم وهم على شفيرِ جهنَّمَ لم يبقَ إلا أن يدخُلوها.

وقيل: لمُحيطةٌ بهم في الآخرةِ؛ أي: ستُحيطُ بهم عن قريبٍ؛ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وقيل: كأنَّها مُحيطةٌ بهم لِمَا لزِمَهم بكُفرِهم.

* * *

(٥٥) - ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾؛ أي: مـن كلِّ الجهـاتِ؛ لأنَّه مُحيـطٌ بهـم، ﴿وَيَقُولُ﴾ الله، وقيـل: الخَزَنـةُ، و﴿نقـولُ﴾[1] نحـنُ: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: جـزاءَ أعمالِكـم، وذلـك زيـادةٌ فـي العقوبـةِ والإيجاعِ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾.

﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ أكثرُ المُفسِّرين ذهبوا إلى أنَّ هذا نزلَ فيمَن كان مُقيمًا بمكّةَ، أُمِروا بالهجرةِ عنها إلى المدينةِ؛ أي: جانِبوا أهلَ الشِّركِ واطلُبوا المؤمنين.

وقيل: ﴿أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ﴾ فجاهِدوا فيها أعداءَ الله.

وقيل: ﴿أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ﴾ فاطلُبوا الرِّزقَ.

وقيل: أرادَ: أرضُ الجنَّةِ واسعةٌ.

﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ أُعطِكُم[1]، وقيل: ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ بالهجرةِ إلى المدينةِ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾.

﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾؛ أي: كلُّ نفسٍ تَنالُ كربَ الموتِ وشدائدَه أينما كانت، فلا تُقيموا بدارِ الشِّركِ.

وقيل: أرادَ: كلُّ حيٍّ يموتُ.

﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٥)، واستغربه.

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾: لنُنزِلَنَّهم قصورًا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ابنُ عيسى: بوَّأتُه منزلًا: اتَّخذتُ له منزلًا[1].

ومَن قرأ بالثّاءِ[2]؛ أي: لنَجعَلَنَّهم ثاوينَ مُقيمينَ.

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

* * *

(٦٠) ـ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ ﴾: وكم من دابَّةٍ ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: خرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ حتَّى دخلَ بعضَ حيطانِ الأنصارِ، فجعلَ يلتقطُ التَّمرَ ويأكلُ، فقال: يا ابنَ عمرَ، مالَكَ لا تأكلُ؟ فقلتُ: لا أشتَهيه يا رسولَ الله. قال: «لكنِّي أشتَهيه وهذه صبيحةُ[3] رابعةٍ مذ لم أذُقْ طعامًا، ولو شئتُ لدعَوتُ ربِّي فأعطاني مثلَ مُلكِ كسرى وقيصرَ، وكيف بك يا ابنَ عمرَ إذا بقيتَ في قومٍ يَخْبَؤونَ رزقَ سنتِهم ويضعُفُ اليقينُ»، قال: فوالله ما برِحْنا حتَّى نزلَتْ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4].

---

(١) ذكر الأزهري هذا المعنى في «تهذيب اللغة» مادة: (ب و أ) (١٥/ ٤٢٦).

(٢) أي: ﴿لنُثْوِيَنَّهُم﴾ مِن الثَّواء، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٣) في (ف): «وهذا صبح».

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» للكشي (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

الدَّابَّةُ: اسمٌ عامٌّ لِـمَا دَبَّ.

قـوله: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ قيل: للادِّخارِ، وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لا يَدَّخِرُ شيءٌ مما خَلَقَ الله إلا الآدميُّ، والنَّملُ، والفأرةُ، والعَقْعَقُ، وأجناسُ العَقْعَقِ(١).

وقيل: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لعجزِها عن ذلك، بل تأكلُ حاجتَها.

﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ يومًا فيومًا، وقيل: يأتيها من غيرِ طلبٍ.

﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ يا بني آدمَ؛ أي: رازقُ الجميعِ هو الله.

ابنُ جُرَيجٍ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ يُريدُ محمَّدًا ﷺ، وحكاه النَّقَّاشُ أيضًا(٢)، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ اسمَ (الدَّابَّةِ) مُطلقةٌ لا يقعُ على الآدميِّ إلا شتمًا، وكذلك (الحيوانُ).

= (٩/ ٣٠٧٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٣)، قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف»، قلت: الجراح بن منهال أبو العطوف الجزري قال البخاري ومسلم: مُنكر الحديث، وقال ابن حبَان: كذَّاب، وذكره ابن البرقي في باب من اتهم بالكذب، وقال ابن المَدِيني: لا يكتب حديثه، وقال النَّسائي والدَّارَقُطني: متروك، وقال ابن معِين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث لا يكتب حديثه. انظر: «تعجيل المنفعة» (١/ ٣٨١).

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٠): «وهذا ضعيف، يضعفه أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يدخر لأهله قوت سنتهم، وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين».

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٩٣) مقتصرًا على ذكر ابن آدم والنمل والفأر، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٨٨) عن سفيان.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٩١) عن النقاش، وذكره المصنف في «تفسيره» (٢/ ٨٨٦) عن ابن بحر والنقاش، واستغربه، وشنع على قائله العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٢/ ٥١٧) فقال: «وذكر النقاش شيئاً لا يحل ذكره ولبئس ما قال».

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِكم: من أين معاشُنا في المدينة؟ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في صُدورِكم من ذلك؛ لأنَّهم لمَّا نُدِبُوا إلى الهجرةِ قالوا: بأيِّ شيءٍ نعيشُ؟ ومن أيِّ شيءٍ نأكلُ إذا فارَقْنا ديارَنا؟

***

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ[1] ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: يُوسِّعُ على مَن يشاءُ ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: ويُضيِّقُ على مَن يشاءُ، فيُعطيه بقدرِ الكفايةِ على ما يرى سبحانه فيه المصلحةَ، والهاء يعودُ إلى غير مذكورٍ[2]، لكنَّ التَّقسيمَ يدلُّ عليه.

ويحتمِلُ أنَّ الهاء يعودُ إلى المبسوطِ له الرِّزقُ بمعنى التَّقدير؛ أي: ويُقدِّرُ له البسطَ في الرِّزقِ، ثمَّ اكتفى بذكرِ أحدِ الضِّدَّين[3].

***

(١) من قوله: «﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾... إلى قوله:... ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾»: ليس في (ف).

(٢) أي: ويقدر الرزق لمن يشاء.

(٣) أي: يبسط لمن يشاء ويقدِّر له ذلك، ويضيِّق على من يشاء، ويقدِّر له ذلك، فاكتفى بذكر أحد الضدين. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧) واستغربه.
وذكر في «البرهان» (ص: ٢٠٠) وجهاً آخر على عود الضمير إلى المبسوطِ له الرِّزقُ، وهو أن يبقى ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على معنى: التضييق، ويكون تقدير الآية: يبسط الرزق لمن يَشاء من عباده أحيانًا ويقدر له أحيانًا.
وهو ما عبر عنه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٦٢) بقوله: «يُريد تَعاقُبَ الأَمْرينِ على واحدٍ على حَسبِ المصلحة».

(٦٣) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هم مُقِرُّون بذلك، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قيامِ حُجَّتي وصدقِ لهجَتي.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يَلْزَمُهم بإقرارِهم.

* * *

(٦٤) - ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ سريعُ الانقضاءِ قريبُ الانفصالِ[١].

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ التي جعلَها الله للجزاءِ ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: الحياةُ الدَّائمةُ التي لا موتَ فيها ولا زوالَ ولا انتقالَ، و﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾: الحياةُ.

الزَّجَّاجُ: تقديرُه: هي[٢] دارُ الحيوانِ؛ أي: الحياةِ[٣].

وقيل: ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾: الحيُّ، وجعلَ الدّارَ الآخرةَ حيًّا على المُبالغةِ بالوصفِ بالحياةِ[٤].

ابنُ عيسى: ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ ضدُّ المَوَتان[٥]، والتقديرُ: لهي ذاتُ الحيوانِ الدَّائمِ البقاءِ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ طِيبَ حياةِ الآخرةِ لرغبوا فيها.

---

(١) في (ن): «الانتقال».

(٢) في (ف): «لهي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٣)، وفيه: «معناه: هي دار الحياة الدائمة».

(٤) أورده أبو علي الفارسي في «الحجة» (٤/ ١٣٣) احتمالاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٥) ذكره الفارابي في «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٨٧).

(٦٥) ـ ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾؛ أي: ركبوا البحرَ فأصابَتْهم شدّةٌ خافوا منها الهلاكَ ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يدعون لكشفِ الضُّرِّ عنهم إلّا اللهَ.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ ﴾: خلَّصَهم منَ البحرِ إلى البرِّ فأمِنُوا، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾: عادوا إلى الشِّركِ باللهِ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ قيل: اللامُ لامُ (كي)[1].

وقيل: لامُ الأمرِ على وجهِ التَّهديدِ.

وقيل: لامُ العاقبةِ، وهو الأظهرُ.

﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ باجتماعِهم على عبادةِ الأوثانِ وليتوادُّوا عليه.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ لهم.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدَهم ﴿حَرَمًا﴾: ممنوعًا مَصُونًا من أن يُدخَلَ لغارةٍ أو قتلٍ أو ظُلمٍ، ﴿ءَامِنًا﴾ يأمَنُ ساكنوه، ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾: يُخْتَلَسون قتلًا وسبيًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو الصَّنمُ والشَّيطانُ ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ يُشرِكونَ بها غيرَه؟ استفهامُ تعجيبٍ.

***

(٦٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: يجعلُ له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: محمَّدٍ ﷺ ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أليس جهنَّمُ مأواهم ومنزلَهم؟ استفهامُ تقريرٍ في مُقابلةِ: لنُثْوينَّهم[1] منَ الجنَّةِ، فالثَّاءُ أحسَنُ الوجهَين[2].

***

(٦٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾؛ أي: جاهدوا أعداءَ الله منَ المشركين.

وقيل: هو عامٌّ في الأمرِ والنَّهيِ، والرَّدِّ على المُلحدين، وجهادِ الشَّيطانِ ووساوِسِه، وجهادُ النَّفسِ أكبرُه.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبلَ الرَّشادِ.

وقيل: لنعصِمَنَّهم.

وقيل: لنُوفِّقنَّهم.

---

(١) في (ف) جعل تحتها نقطة وفوقها ثلاث نقط في كلمة واحدة يعني: «لنبوئنهم» «لنثوينهم».

(٢) لتشابه اللفظ، وإلا فمعنى القراءتين متقارب، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٨)، و«الحجة» لأبي علي (٥/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: الذين هدَيناهُم سبُلَنا جاهَدوا فينا[١].

وقيل: ﴿سُبُلَنَا﴾: طرقَ الجنّةِ[٢].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: ناصرُهم ومُعينُهم.

وقيل: مع المُحسنين المؤمنين.

وقيل: مع النَّبيِّين والمُؤمنين.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾؛ أي: يعمَلون بما يعلَمون ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إلى ما لا يعلَمون[٣].

وقيل: نُخلِصُ نيَّاتِهم في طاعاتِهم[٤].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٨٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «طاعتهم».

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ

ستُّون آيةً[1]، مكيَّةٌ.

قال الحسنُ: مكيَّةٌ إلّا قولَه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧ ـ ١٨] فإنَّها مدنيَّةٌ[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّه بعثَ كِسرى جيشًا إلى الرُّومِ، واستعمَلَ عليهم رجلًا يُسمَّى شَهْرَبرَاز، فسارَ إلى الرُّومِ بأهلِ فارسَ فظهرَ عليهم، وقتلَهم وخرَّبَ مدائنَهم، وقطعَ زيتونَهم، وكان قيصرُ بعث

---

(١) «ستون آية»: ليست في (ف)، وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٥)، وفيه: «وهي خمسون وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات...».

(٢) لم أجده عن الحسن صريحاً، لكن روى عنه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٨٤) في قوله تعالى: «﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الغداة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ قال: العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال: الظهر». قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٧٢): «فإن قلت: لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أنّ هذه الآية مدنية؟ قلت: لأنه كان يقول: فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم».

رجلًا يُدعى بخنس، فالتقَى مع شَهْرَبرازَ بأذرعاتٍ وبُصْرَى، وهو أدنى الشّامِ إلى أرضِ العربِ، فغلَبَتْ فارسُ الرُّومَ.

وبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه وهم بمكّةَ، فشقَّ ذلك عليهم، وكان النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يكرهُ أن يظهرَ الأُمِّيونَ منَ المجوسِ على أهلِ الكتابِ من الرُّومِ، وخرجَ كفَّارُ مكَّةَ وشمِتُوا، فلقُوا أصحابَ النَّبيِّ ﷺ وقالوا: إنَّكم أهلُ كتابٍ والنَّصارى أهلُ كتابٍ، ونحنُ أُمِّيون وقد ظهرَ إخوانُنا من أهلِ فارسَ على إخوانِكم منَ الرُّومِ، وإنَّكم إنْ قاتلتُمونا لنظهَرَنَّ عليكم، فأنزلَ الله هذه الآياتِ.

فخرجَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إلى الكفَّارِ فقال: فرِحتُم بظُهورِ إخوانِكم على إخوانِنا فلا تفرَحوا، ولا يُقِرُّ الله أعينُكم، فوالله ليظهرَنَّ الرُّومُ، أخبرَنا بذلك نبيُّنا، فقامَ إليه أُبيُّ بنُ خلَفٍ الجُمَحيُّ فقال: كذبْتَ، فقال له أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنتَ أكذبُ خلقِ الله يا عدوَّ الله. فقال: اجعَلْ بيننا أجلًا أُناحِبْكَ عليه ـ أي: أُراهِنْك ـ على عشرِ قلائصَ منِّي وعشرِ قلائصَ منك؛ فإنْ ظهرتِ الرُّومُ على فارسَ غرِمْتُ، وإن ظهرتِ فارسُ غرِمْتَ، ففعلوا ذلك وجعلوا الأجلَ ثلاثَ سنين.

فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأخبرَه بذلك، وكان ذلك قبلَ تحريمِ القمارِ، فقال ﷺ: «ما هكذا ذكرتُ، إنَّما البِضْعُ ما بين الثلاثِ إلى التِّسعِ، فزايِدْه في الخطرِ ومادَّه في الأجلِ»، فخرجَ أبو بكرٍ فلقيَ أُبيًّا فقال: لعلَّكَ ندِمْتَ. قال: لا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: تعالَ أُزايدْك في الخطرِ وأُمادَّك في الأجلِ، فاجعَلْها مئةَ قلوصٍ ومئةَ قلوصٍ إلى سبعِ[1] سنينَ. قال: قد فعلتُ[2].

---

(١) في (ف): «تسع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) عن عكرمة. وهو مرسل، وقد روي نحوه في حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٩٥)، والبخاري في =

فلما خشيَ أُبيٌّ بنُ خلفٍ أن يخرجُ أبو بكرٍ من مكّةَ أتاه فلزِمَه وقال: إنّي أخافُ أن تخرجَ من مكّةَ، فأقِمْ لي كفيلًا، فكفلَ له ابنُه عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، فلما أرادَ ابنُ خلفٍ[1] أن يخرُجَ إلى أُحُدٍ أتاه عبدُ الله بن أبي بكرٍ فلزمَه وقال: لا والله لا أدَعُكَ حتَّى تُعطيَني كفيلًا، فأعطاه كفيلًا ثمَّ خرجَ إلى أُحُدٍ، ثمَّ رجعَ ابنُ خلَفٍ فماتَ بمكّةَ من جراحتِه التي جرحَه رسولُ الله ﷺ حين بارزَه، وظهرتِ الرُّومُ على فارسَ يومَ الحديبيةِ، وذلك عند رأسِ سبعِ سنينَ من مُناحبتِهم[2].

وقيل: ظهرتِ الرُّومُ يومَ بدرٍ، فقَمَرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وأخذَ مالَ الخطَرِ من ورثةِ أُبيٍّ، وجاء به إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «تصَدَّقْ به»[3].

= «خلق أفعال العباد» (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١). قال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقد روي في هذه القصة أحاديث وآثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣).

(١) في (ف): «أراد أبي».

(٢) من أول خبر عكرمة إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٢ ـ ١٠٦) مع زيادات عليه وعزاه للمفسرين، ولعله جمعه مما روي في القصة من أخبار.

وكون ظهور الروم على فارس كان يوم الحديبية رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧) عن قتادة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٠)، عن الشعبي.

ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما ذكر ابن كثير (٦/ ٢٩٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسَ، وربطوا خيولهم =

قولُه ﴿ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: في أقربِ مكانٍ لهم من فارسَ.

وقيل: أقربِها من مكَّةَ. وتقديرُه: في أدنى أرضِهم.

فالتقى الجيشانِ ببيتِ المقدسِ.

وقيل: بأذرعاتٍ وبُصرى، كما سبقَ.

وقيل: بأُرْدُنَّ وفلسطينَ.

وقيل: بالجزيرةِ.

وقيل: بطرفِ الشّامِ.

﴿وَهُم﴾ أي: الرُّومُ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ؛ أي: بعد أن غُلِبوا.

الفرَّاءُ: يُريدُ: بعد غَلَبتِهم، فحُذِفَ التاءُ كـ(إقامِ الصَّلاةِ)[١].

الزَّجَّاجُ وغيرُه: (الغَلَبَةُ) و(الغَلَبُ) مصدرانِ، وكذلك (الغَلْبُ) بالسُّكونِ[٢].

﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾: يَقْهَرون، وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (غَلَبَتِ الرُّوم) بالفتحِ، (سيُغْلَبون) بالضَّمِّ[٣]، وجاء إنكارُه عن أبي الدَّرداءِ[٤].

= بالمدائن، وبنوا الرومية، فجاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: «هذا السحت تصدَّقْ به». وفيه مؤمل بن إسماعيل وهو صدوق سيئ الحفظ، كما في «التقريب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٧).

(٣) نسبت لعليّ وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ومعاوية بن قرة وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«البحر» (١٧/ ١٥٤).

(٤) روى ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (ص: ١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٩) وصححه =

(٤ ـ ٥) ـ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ البِضْعُ: ما بين الثَّلاثةِ إلى العشرةِ.

وقيل: منَ الاثنَين إلى التِّسعةِ.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾؛ أي: من قبلِ أنْ غُلِبت ومن بعدِ أن تَغلِبَ، والتَّقديرُ: قبلَ الغلَبةِ وبعدَ الغلَبةِ.

وقيل: قبلَ كلِّ شيءٍ وبعدَ كلِّ شيءٍ.

فحُذِفَ المُضافُ وبُنِيَ على الضَّمِّ؛ لأنَّ الإضافةَ منويَّةٌ، والظَّرفيَّةَ مُقدَّرةٌ، والمعنى: لله الأمرُ في الحالتَين، ولو شاءَ ألّا يكونَ غلبةٌ فعلَ.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: يومَ تغلبُ الرُّومُ فارسَ ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ ذلك وقعَ يومَ بدرٍ.

وقيل: يومَ الحديبيةِ، وكان المؤمنون في الغنيمةِ والظَّفرِ بالأعداءِ، والأسرِ والفداءِ.

وقيل: بقَمْرِهم وغلَبَتِهم في رِهانِهم.

وقيل: بغلبةِ أهلِ الكتابِ المُشركينَ وخُروجِهم من بيتِ المقدسِ، وكان إحدى آياتِ نُبوَّتِه ﷺ.

وقيل: فَرَحُ طِباعٍ لا فَرَحُ اختيارٍ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال:

= عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «سيأتي قوم يقرؤون هذه الآية: (الم، غَلَبَتْ الروم)، وإنما هي: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾».

﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: أولياءَه، فيكونُ الباءُ مُتَّصلًا بـ﴿يَنصُرُ﴾[1]، وعلى الأوَّلِ مُتَّصلٌ بـ﴿يَفۡرَحُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في الانتقامِ منَ الكفَّارِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في التَّمكينِ والنَّصرِ للمُؤمنين.

* * *

(٦) ـ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدَه فلا يُخلِفُه، وهو نصبٌ على المصدرِ، وفي الوعدِ قولانِ:

أحدُهما: ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ هو الوعدُ.

والثّاني: ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ هو الوعدُ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ صحَّةَ وعدِه.

* * *

(٧) ـ ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: يعلمون ما يُشاهدونَه فعلَ الحيواناتِ.

﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: لا يستدلُّونَ بما يُشاهدونَه على ما غابَ عنهم فعلَ العاقلِ المُميِّزِ.

الفرَّاءُ: يعرفون التِّجاراتِ والتَّصرُّفَ فيها ولا يعرفونَ الله[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٢).

وقيل: يعلمون أمرَ معاشِهم وزراعاتِهم وبنائِهم وأنهارِهم.

وقيل: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: باطلًا، وكلُّ أمورِ الدُّنيا باطلٌ سوى ما أُريدَ به وجهُ الله. حكاه القفَّالُ.

* * *

(٨) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾ قيل: هذا مُتَّصلٌ بما قبلَه على تقديرِ: أوَلـم يتفكَّروا في خلقِ أنفُسِهم ليخرُجوا عن الغفلةِ.

وقيل: أولـم يتفكَّروا فيعلموا أنَّهم يعلمون ظاهرًا منَ الحياةِ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَّا خَلَقَ﴾.

وقيل: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ مُتَّصلٌ بما بعدَه، ومثلُه ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]، ومثلُه ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [فصلت: ٤٨]، فيكونُ ﴿فِىٓ﴾ بمعنى: الباء كأنَّه قال: أوَلـم يتفكَّروا بقلوبِهم فيعلموا ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾، أو: فيقولوا: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾(١).

وقيل: أوَلـم يتفكَّروا بقلوبِهم أنَّ ما خلقَ الله.

و﴿مَّا﴾ نفيٌ بالإجماعِ؛ أي: لـم يخلقِ الله ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: لـم يخلُقْهما عبثًا، ولكن ليعتبِرَ بهما عبادُه ويستدلُّوا على وحدانيَّته وقُدرتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

وقولُه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: للحقِّ.

وقيل: بالحكمةِ والغرضِ الصَّحيحِ.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إذا بلغَ ذلك الأجلُ أفناهما.

وقيل: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في الابتداءِ، وهو: الوقتُ الذي عيَّنَه لخلقِهما؛ أي: خلقَهما على مقدارٍ معلومٍ في وقتٍ معلومٍ(١).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾: بالبعثِ والجزاءِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: جاحِدون.

* * *

(٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: ألَا ينظُرون حالَ مسيرِهم في ذهابِهم ومجيئِهم إلى مصارعِ مَن كان قبلَهم منَ الأممِ الخاليةِ وآثارِهم نَظَرَ تفكُّرٍ واعتبارٍ؟ ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؛ أي: الأممُ الماضيةُ كانوا أشدَّ قوّةً من قُريشٍ.

﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾: قلَبوا وجهَ الأرضِ لاستنباطِ المياه، واستخراجِ المعادنِ، وإلقاءِ البذورِ فيها للزِّراعةِ.

وقيل: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾: حرَثُوها، والإثارةُ: تحريكُ الشَّيءِ حتَّى يرتفعَ ترابُه.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

أحدُها: مِنَ العُمُرِ؛ أي: بَقُوا هم فيها أكثرَ من بقاءِ هؤلاءِ، والتَّقديرُ: مِمَّا عُمِّروا فيها(١).

والثَّاني: من العُمْرَى؛ أي: سكنُوا فيها(٢).

والثَّالثُ: من العِمارةِ(٣).

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾؛ أي: فكفروا فأهلَكَهم الله عدلًا منه لا ظُلمًا.

﴿وَلَٰكِن﴾: بل ﴿كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الظلمُ يأتي على ثلاثةِ أوجُهٍ: وضعُ الشَّيءِ غيرَ موضِعِه، والنُّقصانُ، وأخذُ الشَّيءِ قبل وقتِه. والآيةُ تحتملُ(٤) المعانيَ الثَّلاثةَ.

* * *

(١٠) - ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾: كفروا ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: العذابُ، وقيل: جهنَّمُ. و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: فُعْلَى تأنيثُ الأفعَلِ، كالحُسنى والفُضْلى.

وقيل: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرٌ كالرُّجعى.

ومحلُّها رفعٌ فيمَن نصبَ ﴿عَٰقِبَةَ﴾، ونصبٌ فيمَن رفعَ(٥).

---

(١) في (ف): «والتقدير وعمروا فيها». ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «محتملة».

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو برفع العاقبة، والباقون بنصبها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

والإساءةُ: فعلُ السَّيِّئةِ والسُّوءِ والسُّوأى، والسَّيِّئةُ: كلُّ قبيحٍ من فعلٍ أو قولٍ.

﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: بأنْ، وقيل: لأَنْ، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيل: ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ منَ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾[1]؛ أي: عاقبتُه أنْ طبعَ الله على قلوبِهم وسمعِهم فكذَّبوا بآياتِ الله.

ويحتمِلُ أن يكونَ بيانًا لقولِه: ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ أي: هو أن كذَّبوا بآياتِ الله.

* * *

(١١) ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: يُنشِئُهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يُحييهم بعد الموتِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاءِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يتحيَّرون وييأسونَ من الرَّحمةِ ومن شفاعةِ مَن كانوا يرجُونَ شفاعتَه.

والإبلاسُ: اليأسُ، والإبلاسُ: الحيرةُ وانقطاعُ الحجَّةِ، والإبلاسُ: التَّندُّمُ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ قيل: الضَّميرُ للكفَّارِ في ﴿كانُوا﴾؛ أي: يكفُرون بآلهتِهم ويُنكرونَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

وقيل: الضَّميرُ للأصنامِ، من قولِه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦].

و(كان)[1] في الآيةِ زيادةٌ. وقيل: هو بمعنى: صار. وقيل: معناه: ويكونون، وجاء بلفظِ الماضي كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾: حينئذٍ ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ قيل: الضَّميرُ للأصنامِ والكفّارِ.

وقيل: للخلقِ جميعًا؛ أي: يتفرَّقون؛ فآخِذٌ ذاتَ اليمينِ وآخِذٌ ذاتَ الشِّمالِ، ثمَّ فصَّلَ فقال:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: في رياضٍ وأنواعٍ منَ الزَّهرِ والأشجارِ ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسَرُّون فيتنعَّمون ويتلذَّذون بسماعِ الغِناءِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُكرَمون[2]، تقولُ: حَبَرَه: أكرَمَه، وخصَّ الرَّوضةَ بالذِّكرِ لأنَّ العربَ يُعجِبُها[3] ذلك، وكثُر ذكرُها في الشِّعرِ.

***

---

(١) في (ف): «وكانوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٢١).

(٣) في النسختين: «تعجبها»، والوجه المثبت.

(١٦) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: بالقرآنِ ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ﴾: البعثِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مُعذَّبون، والإحضارُ يُستعملُ في المكروهِ؛ أي: أحضرَهم الله في النّارِ.

وقيل: مُدْخَلون.

وقيل: نازِلون.

وقيل: مُقِيمون.

***

(١٧) ـ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نزِّهوه عمَّا لا يليقُ به، وقيل: صَلُّوا له.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغربُ والعشاءُ، وقيل: المغربُ وحدَه.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاةُ الفجرِ.

وقدَّمَ المغربَ لأنَّه أقربُ إلى اللَّيلِ، واللَّيلُ مُقدَّمٌ على النَّهارِ.

***

(١٨) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ يعني: العصرَ ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يعني: الظُّهرَ، تقولُ: أَظْهرَ إذا دخلَ في وقتِ الظُّهرِ.

واتَّفقَ المُفسِّرون على أنَّ الصَّلواتِ كلَّها داخلةٌ في هذه الآيةِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ

رضي الله عنهما: ما ذكرَ الله الصَّلواتِ الخمسَ جملةً إلّا في هذه الآيةِ[1].

وقيـل: كلُّهـا داخلةٌ إلا العشـاءَ الآخرةَ؛ فإنَّهـا مذكورةٌ في (النُّـورِ): ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ﴾ [النور: ٥٨][2].

ومعنى ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: هو محمودٌ عند سُكَّانِ أرضِه وسمائِه كقولِه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ١].

وقيل: الملائكةُ تُسبِّحُه في السَّماءِ، وبنو آدمَ تُسبِّحُه في الأرضِ.

و﴿سُبْحانَ﴾ نصبٌ على المصدرِ.

وقيل: على الإغراءِ.

وقيل: على النِّداءِ.

والمساءُ: بَدءُ الظَّلامِ بعد مغيبِ الشَّمسِ.

والعَشِيُّ: آخرُ النَّهارِ عند ميلِ الشَّمسِ للمغيبِ، من عَشَى العينِ، وهو نُقصانُ نورِها.

ابنُ عيسى: إنَّما خصَّ العشيَّ والإظهارَ بالحمدِ لأنَّها أحوالٌ تُذكِّرُ بإحسانِ الله،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٤)، بلفظ: «جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ قال: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعَشِيّٗا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ الظهر».

(٢) وهذا أيضاً مروي عن ابن عباس، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٤)، عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الفجر، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ الظهر، قال: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾.

وذلك أنَّ انقضاءَ إحسانٍ أوَّلٍ[١] إلى إحسانٍ ثانٍ يقتَضي الحمدَ عند تمامِ الأوَّلِ، من قولِه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠][٢].

وقيل: لأنَّ الإنسانَ يتقلَّبُ في النَّهارِ في أحوالٍ تُوجبُ حمدَ اللهِ عليها، وفي اللَّيلِ على خلوةٍ تُوجِبُ تنزيهَ الله منَ الأسواءِ [فيها]، حكاه الماورديُّ[٣].

ويحتمِلُ معنًى آخَرَ وهو: أنَّ التَّسبيحَ يدلُّ على رفعِ الصَّوتِ، كقولِ الشَّاعرِ:

قَبَحَ الإلـهُ وجـوهَ تَغْلِـبَ كلَّـما ... شَبَحَ الحجيـجُ وكبَّـروا إهـلالا[٤]

فكان اتِّصالُه بالصَّلواتِ التي يُجهَرُ فيها بالقراءةِ أحسنَ، وليس في لفظِ الحمدِ ما يدلُّ على رفعِ الصَّوتِ، فكان بالظُّهرِ والعصرِ أولى[٥]، واللهُ أعلمُ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سرَّه أن يُكالَ له بالقفيزِ الأوفى فليقُلْ: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]»[٦].

---

(١) ضبطت في (ف) بتنوين الجر، ووجه ذلك أنَّ كلمة (أول) أُريد بها الوصف من غير تقدير (من كذا)، فهي بمعنى: سابق. انظر: «شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١٣٢).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٢١) دون نسبة.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣٠٣)، وما بين معكوفتين منه، والظاهر أن (الأسواء) هنا جمع (السوء) فقد ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢) أنه يجمع على ذلك، وانظر: «الفائق» للزمخشري (١/ ٤٤٣).

(٤) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (١/ ٥٣)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ٣٠٥). قال ابن حبيب شارح الديوان: «الشَّبْح: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣٦ ـ ١٣٧) من حديث أنس. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٩): «في إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط».

(١٩) ـ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: الإنسانَ منَ النُّطفة، والدَّجاجَ منَ البيضةِ، والنَّخلةَ منَ النَّواةِ، والمُؤمنَ منَ الكافرِ ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ على الضِّدِّ من ذلك كلِّه، ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبَسِها.

وقيل: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾: يُكثِرُ أهلَها فيعمُرونَها.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كإخراجِ الحيِّ منَ الميِّتِ وإحياءِ الأرضِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قُبورِكم بإخراجِ الله، وقد سبقَ بيانُ هذه الآيةِ[1].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلقَكم في أصلِ الإنشاءِ من ترابٍ؛ لأنَّهم بنو آدمَ، وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ، وإذا كان الأصلُ ترابًا فالفرعُ كذلك.

وقيل: تقديرُه: خلَقَ أباكم من ترابٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ آدميُّون عُقلاءُ ناطقون ﴿تَنتَشِرُونَ﴾: تتصرَّفون فيما فيه قَوامُ معاشِكُم.

وقيل: هذا تقريبٌ بينَ كونِه ترابًا وكونِهم بشرًا ينتَشِرون، وليس ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الزَّمانِ[2].

* * *

---

(١) في سورة (آل عمران) الآية [٢٧].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٢)، واستغربه.

(٢١) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ قيل: المُرادُ به آدمُ وحوَّاءُ؛ لأنَّها خُلِقَتْ من ضِلَعِه.

وقيل: أي: النِّساءُ خُلِقْنَ من نُطَفِ الرِّجالِ.

وقيل: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النحل: ٧٢] و[الشورى: ١١]؛ أي: من بعضِكم، كقولِه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: بعضَكم بعضًا.

وقيل: من جنسِكم.

وقيل: من أمثالِكم.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾: يودُّ الرجلُ زوجَه[١] والمرأةُ زوجَها.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يَعطِفُ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبِه.

وفي التَّفسيرِ: أنَّ المودَّةَ والرَّحمةَ بين الزَّوجَين منَ الله، وأنَّ الفِرْكَ منَ الشَّيطانِ، حكاه الزَّجَّاجُ[٢].

وقيل: هي المُصاهَرةُ والمُخاتَنةُ.

وقيل: مودَّةً للكبيرِ ورحمةً على الصَّغيرِ[٣].

الحسَنُ: المودَّةُ: الجِماعُ، والرَّحمةُ: الولدُ[٤].

---

(١) في (ف): «زوجته».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٢). الفِرْك: بُغْضُ أحدِ الزَّوجين للآخَر.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، وعده من العجائب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلَمون أنَّ قَوامَ الدُّنيا بوقوعِ التَّناسلِ فيها.

***

(٢٢) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ ليقعَ التَّعارُفُ والتَّفاهُمُ، ويتميَّزَ الأشخاصُ بعضُها عن[1] بعضٍ، وفيه قولانِ:

أحدُهما: اختلافُ الألسُنِ، وهي اللُّغاتُ.

وعن وَهْبٍ: إنَّ جميعَ الألسنةِ[2] اثنان وسبعون لسانًا؛ منها في ولدِ سامٍ تسعةَ عشرَ لسانًا، وفي ولدِ حامٍ سبعةَ عشرَ لسانًا، وفي ولدِ يافثَ ستَّةٌ وثلاثون لسانًا[3].

والثَّاني: اختلافُ النَّغمةِ والصَّوتِ[4].

وفي ﴿أَلْوانِكُمْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: البياضُ، والسَّوادُ، والأَدَمةُ، والشُّقْرةُ، وغيرُها.

والثَّاني: خلقَهم جميعًا على صورةٍ واحدةٍ، وفرَّقَ بينَهم بأمورٍ لطيفةٍ من صُنعِه، حتَّى لا يلتبسَ أحدٌ على النَّاسِ من غيرِه مع كثرتِهم، بل يُعرَفُ كلُّ واحدٍ بما خصَّه الله به، ولو جهدَ النَّاسُ أن يقِفُوا على ما به بانَ كلُّ واحدٍ منَ الآخرِ لم يقِفُوا على كُنْهِ ذلك، وهم كلُّهم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

---

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «الألسن».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٠٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعالَمِينَ﴾: للإنسِ والجنِّ، ومَن كسرَ فلأنَّهم المخصوصونَ بمعرفةِ الدَّقائقِ(١).

***

(٢٣) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: خلقَ اللَّيلَ والنَّهارَ للنَّومِ وطلبِ المعاشِ؛ فإنَّ النَّومَ قد يكونُ بالنَّهارِ، وطلبَ العيشِ قد يكونُ باللَّيلِ؛ أي: خلقَ كلَّ واحدٍ منهما للنَّومِ وطلَبِ المعاشِ جميعًا، هذا ظاهرُ الآيةِ.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ في الآيةِ تقديمًا وتأخيرًا وتقديرُه: منامُكم باللَّيلِ وابتغاؤُكم من فضلِه بالنَّهارِ اعتبارًا بسائرِ الآياتِ في هذا المعنى، قالوا: وإنْ وقعَ النَّومُ بالنَّهارِ وابتغاءُ الرِّزقِ باللَّيلِ فنادرٌ، والحكمُ للأغلبِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: ينتفِعون بسمعِهم.

***

(٢٤) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ التَّقديرَ: أن يُريَكم البرقَ، فحُذِفَ (أنْ)، كما حذَفَه الشَّاعرُ في قولِه:

ألا أيُّهذا الزّاجريُّ أحضُرُ الوغى … وأنْ أشهدَ اللَّذّاتِ هل أنتَ مُخلدي(٢)

---

(١) قرأ حفصٌ بكسر اللام، على أنها جمع (عالِم)، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢) لطرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«الكتاب» (٣/ ٩٩). و(أحضر) يروى بالرفع =

وكذلك هو في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[١].

والثّاني: أنَّ التَّقديرَ: ومن آياتِه آيةٌ يُريكم بها البرقَ، كما قالَ الشّاعرُ:

فما الدَّهرُ إلا تارتانِ فمنهما ... أموتُ وأُخرى أبتَغي العيشَ أكدَحُ[٢]

أي: فمنهما تارةً أموتُ.

والثَّالثُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: ويُريكم البرقَ من آياتِه[٣].

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تامٌّ على قولِه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ كما تقولُ: فلانٌ يعلَمُ أشياءَ؛ منها الفقهُ، ومنها الكلامُ، ومنها اللُّغةُ، ومنها..، وتسكتُ، تُريدُ: ومنها الشِّعرُ أو غيرُه، وسكوتُك يدلُّ على كثرةِ ذلك عندَه؛ أي: فيها كثرةٌ يطولُ تفصيلُها[٤]، والله أعلمُ.

والمعنى: يُريكم البرقَ ﴿خَوْفًا﴾ للمُسافرِ ﴿وَطَمَعًا﴾ للمُقيمِ في المطرِ.

وقيل: طمعًا أن يكونَ ماطرًا، وخوفًا أن يكونَ خُلَّبًا، قال الشّاعرُ[٥]:

لا يكُنْ بَرْقُكَ بَرْقًا خُلَّبا ... إنَّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ معَه[٦]

= والنصب كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠).

(١) أي قرأ: (أن يريَكم)، ذكرها عنه الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٣٧).

(٢) البيت لابن مقبل في «ديوانه» (ص: ٣٨)، و«الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«الحيوان» (٣/ ٢١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٣، ٨٩٤)، واستغربه.

(٥) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي في «الشعر والشعراء» (٢/ ٧١٩)، و«الجليس الصالح» (ص: ٥٨٧). ولأنس بن زنيم الليثي في «تهذيب اللغة» (٣/ ٨٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٨/ ١٦٣).

والعربُ تقولُ: إذا توالَتْ أربعون بَرْقةً مَطَرَتْ[(١)]، قال المُتنبِّي:

وقد أَرِدُ المِياهَ بغيرِ هادٍ ... سوى عَدِّي لها بَرْقَ الغمامِ[(٢)]

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ منَ الصَّواعقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ.

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ منَ البَرَدِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ.

ويحتمِلُ ﴿خَوْفًا﴾ منَ السَّيلِ والطُّوفانِ والغرقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في المطرِ النَّافعِ.

وذهبَ الزَّجَّاجُ وغيرُه منَ المُحقِّقين إلى أنَّ نصبَهما على المفعولِ له[(٣)]، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ من شرطِ المفعولِ له أن يكونَ فاعلُ المصدرِ فاعلَ الفعلِ النَّاصبِ له، كما تقولُ: ضربتُه تأديبًا له، ففاعلُ التَّأديبِ هو فاعلُ الضَّربِ، ولا تحتمِلُ الآيةُ ذلك؛ لأنَّ الإراءةَ منَ اللهِ، والخوفَ والطَّمعَ منَ المُخاطَبين، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: تقديرُه: إخافةً وإطماعًا؛ كما جاء: فعلتُه رغمًا للشَّيطانِ؛ أي: إرغامًا له.

ولو جُعِلَ (خَوفًا) و(طمعًا) مصدرَين واقعَين موقعَ الحالِ كقولِه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠] لم يَمتنِعْ، والله أعلمُ.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مطرًا ﴿فَيُحْيِي بِهِ﴾: بالمطرِ ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

***

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٨٩٤)، و«تفسير السمعاني» (٤/ ٢٠٥)، وفي «شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٣٢٠): «ذكر ابن الأعرابي في «النوادر»: أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقةً، فإذا كملت السبعون وثقوا بأنه برق ماطر، فرحلوا يطلبون موقع الغيث».

(٢) انظر: «ديوان المتنبي» (٤/ ٢٧٣). وعده برق الغمام: إشارة إلى ما كانت العرب تفعله. انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٢).

(٢٥) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ثـمَّ عـادَ إلـى عدِّ الآيـاتِ؛ أي: من آيـاتِ قُدرتـه ثباتُهمـا قائمَين بلا عَمَـدٍ بأمرِه لهمـا بالقيامِ.

وقيل: بفعلِه، وذُكِرَ بلفظِ الأمرِ للمُبالغةِ.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ قيل: هي النَّفخةُ الأخيرةُ، والدَّاعي إسرافيلُ.

وقيل: ﴿دَعَاكُمْ﴾ توسُّعٌ؛ إذ ليس خروجُهم بفعلِهم فيُدعَوا إليه، وإنَّما ذلك فعلُ الله سبحانَه، ذكرَه بلفظِ الدُّعاءِ توسُّعًا، ويحتمِلُ أنَّه يُحييهم بهذا الدُّعاءِ أيضًا، والله أعلمُ.

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: حالٌ منَ المُخاطَبين؛ أي: دعاكُم وأنتم في الأرضِ.

وقيل: دعوةً منَ الأرضِ، فيكونُ صفةً للدَّعوةِ؛ لأنَّهم يسمعونَها منَ الأرضِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: من قُبورِكم[١].

والأكثرُ على أنَّه مُتَّصلٌ بالخروجِ، تقديرُه: إذا أنتم تخرجون منَ الأرضِ، وزيَّفَه المُبرِّدُ وقال: ما بعدَ (إذا) لا يعملُ فيما قبلَه[٢].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٤٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٤)، واستغربه، قال: «الغريب: ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه متصل بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾؛ أي: إذا أنتم تخرجون من الأرضِ، وهذا ممتنع؛ لأن ما بعد (إذا) لا يتقدم عليه».

(٢٦) ـ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾؛ أي: ومن آياتِه أنَّ كلَّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ له ﴿قَٰنِتُونَ﴾ مُنقادون، وعن النَّبيِّ ﷺ: «مُطيعون»[1]، فتكونُ طاعةَ إرادةٍ لا طاعةَ عبادةٍ؛ أي: خلقَهم على ما أرادَ.

وقيل: قائمون في القيامةِ.

وقيل: مُقِرُّون بالعبوديَّةِ.

وقيل: مُصَلُّون، فيكونُ المرادُ به: المُؤمنون.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾؛ أي: يُنشِئُهم ثمَّ يُعيدُهم للبعثِ ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الإعادةُ ﴿أَهۡوَنُ﴾ أسهَلُ، وقيل: أيسَرُ. وقيل: أسرعُ.

﴿عَلَيۡهِ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الخلقِ؛ لأنَّه بمعنى المخلوقِ؛ أي: لا يَحتاجُ إلى تربيةٍ ورضاعٍ وتغيُّرٍ من حالٍ إلى حالٍ.

وقيل: إلى الميِّتِ، وهو القولُ الأوَّلُ.

وقيل: يعودُ إلى الله و﴿أَهۡوَنُ﴾ بمعنى: هَيِّنٌ، كقولِه: ﴿أَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٤]، و: اللهُ أكبرُ.

وقيل: ﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ عندَكم؛ لأنَّ الإعادةَ عندَكُم أسهلُ منَ الإنشاءِ.

---

(١) لم أقف عليه مرفوعاً، وقد ذكر المصنف هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ولم يذكره عن النبي ﷺ.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مما تتوهَّمون.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مَثَلًا.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُتَّصلٌ بما قبلَه على ما ذكرتُ.

والثّاني: مُتَّصلٌ بما بعدَه من قولِه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

والثّالثُ: المثَلُ: الوصفُ؛ أي: وله الوصفُ الأرفعُ؛ ليس كمِثْلِه شيءٌ[1].

وقيل: هو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا الله.

وقيل: الإحياءُ والإماتةُ وسائرُ أوصافِه التي لا يُشارِكُه فيها أحدٌ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ عن حمزةَ بنِ حبيبٍ الزَّيّاتِ: أنَّ العربَ كانت تقولُ: لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريكَ لكَ، إلّا شريكٌ هو لك، تملِكُه وما ملَكَ، فأنزَلَ الله: ﴿ضَرَبَ لَكُم﴾[2]؛ أي: ضرَبَ الله لكم معاشرَ المُشركين ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لذاتِه ولِمَا جعلتُم شريكًا له، سبحانَه يُقرِّبُ الأمرَ في فهمِ ذلك عليكم

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩١٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٣٣): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حماد بن شعيب، وهو ضعيف».

وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٤١٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٠) دون نسبة.

﴿هَل لَّكُم﴾ معـاشـرَ الأحرارِ ﴿مِّمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾: عبيدِكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ مـنَ الأموالِ ﴿فَأَنتُمۡ﴾ معاشرَ الأحرارِ والعبيدِ ﴿فِيهِ﴾: في ذلك الرِّزقِ ﴿سَوَآءٞ﴾: شَرَعٌ[1] يحكُمُ مماليككُم في أموالِكُم كحُكمِكُم، ويتصرَّفُونَ فيها تصرُّفَكُم ﴿تَخَافُونَهُمۡ﴾: تخافونَ معاشرَ السَّادةِ عبيدَكم فيها، فلا تُمضونَ فيها حكمًا دونَ إذنِهم خوفًا من لائمةٍ تلحقُكم من جهتِهم ﴿كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: كما يخافُ بعضُ الأحرارِ بعضًا فيما هو مشتركٌ بينَهم.

وقيل: ﴿تَخَافُونَهُمۡ﴾ أن يرِثُوكُم بعدَ موتِكم.

أي: فلا ترضَوا لي ما لا ترضَونَ به لأنفُسِكم.

وقيل: معناه: هل يرضى أحدُكم أن يكونَ عبدُه شريكَه في مالِه وولدِه حتَّى يكونَ هو ومملوكُه في ذلك سواءً يخافُه كما يخافُ غيرَه من شريكٍ لو كان[2]؟

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نُبيِّنُ كما بَيَّنْتُ هذا المثَلَ ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يتدبَّرون في ضربِ الأمثالِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: كفَروا ﴿أَهۡوَآءَهُم﴾: ما تميلُ إليه أنفسُهم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أتاهُم منَ الله، ولا معرفةٍ منهم بصوابِ ما هم عليه، بل تقليدٌ وإِلْفٌ.

---

(١) قوله: «شَرَعٌ»؛ أي: سواءٌ، وهو بفتح أوَّله وثانيه، وقيل: يحرك ثانية ويسكن والفتح أعلى، ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع لكونه مصدراً. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٠)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٣٢١)، و«حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج١/ و٣١٣أ).

(٢) وظاهر هذا القول أنه كالأول وتلخيصٌ له.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: فلا يقدرُ أحدٌ على أن يهديَهم؛ لإضلالِ الله إيَّاهُم، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ناصرٌ يمنعُهم؛ لا منَ الأصنامِ التي عبدوها، ولا من غيرِها.

* * *

(٣٠) - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ أي: أَقبِلْ.

وقيل: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: أَقِمْ قصدَكَ. وقيل: دينَكَ. وقيل: عمَلَكَ.

الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ به هو وأمَّتُه؛ كقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، بدليلِ قولِه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ حالٌ لـ(الدِّين)؛ أي: للدِّينِ الحنيفيِّ.

وقيل: حالٌ منَ المُخاطبِ، والمعنى: مائلًا عنِ الأديانِ.

وقيل: مُستقيمًا، وقد سبقَ.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: دينَ الله الذي فطرَ عليه الخلقَ؛ لأنَّ الله خلَقَ المُكلَّفين العقلاءَ خِلْقةً متى خُلُّوا وإيَّاها أدَّتهم إلى الإقرارِ بصانعٍ واحدٍ قديرٍ حكيمٍ عليمٍ.

وقيل: هي من قولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والفِطرةُ: المِلَّةُ، والفِطرةُ: العهدُ الذي أُخِذَ على آدمَ، ومنه: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ حتَّى يكونَ أبواه هما اللَّذانِ[١] يُهوِّدانِه ويُنصِّرانِه ويُمَجِّسانِه»[٢].

---

(١) في (ف): «اللذين».

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾: خلقَهم على ذلك في الابتداءِ.

وقيل: ﴿عَلَيۡهَا﴾ بمعنى: لـها، واللَّامُ و(على) يتقارَبانِ في مواضعَ[1]: بعثَكَ لهذا وعلى هذا.

و﴿فِطۡرَتَ﴾ نصبٌ على المصدرِ، ويدلُّ على فعلِه ما قبلَه وما بعدَه.

وقيل: نصبٌ على الإغراءِ؛ أي: الزَموا واتَّبِعوا فطرةَ الله.

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدِّلوا دينَ الله، فهو نهيٌ.

وقيل: لا يقدرُ أحدٌ أن يُغيِّرَ هذه الخِلْقَةَ.

وقيل: لا تبديلَ لخلقِ الله النَّاسَ للدِّينِ المستقيمِ.

وقيل: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يقدرُ أحدٌ أن يخلقَ كخلقِ الله.

وقيل: هو نهيٌ عن الخِصاءِ، والوِجاءِ، وبَتْكِ الآذانِ.

أبو بكرٍ الورَّاقُ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾: الفقرَ والفاقةَ، ولا تبديلَ لذلك[2].

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإسلامِ، و﴿ٱلۡقَيِّمُ﴾: المُستقيمُ.

وقيل: القضاءُ المُستقيمُ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾: الحسابُ، حكاه الماورديُّ[3]، وهو بعيدٌ في هذه الآيةِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا يتفكَّرون، فيعلمون[4] أنَّ لهم خالقًا مُدبِّرًا.

* * *

(١) في (ن): «المواضع». وانظر: «الجنى الداني» للمرادي (ص: ٤٨٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٨٩٤)، وفيه: ذلك الحساب البيِّن، ونسبه لمقاتل بن حيان والذي قبله لابن عباس.

(٤) في (ن): «فيعلموا».

(٣١) ـ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجِعينَ إليه، مُشتقٌّ من نابَ ينوبُ؛ إذا رجعَ مرَّةً بعد أُخرَى، ومنه: النَّوبةُ(١).

ابنُ عيسى: مُنقَطِعين إلى الله، من النَّابِ؛ لأنَّه قاطعٌ.

وهو نصبٌ على الحالِ من قولِه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ كما سبقَ، أو منَ المُقدَّرِ في: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾، وهو: الزَمُوا واتَّبِعُوا، أو ممَّا بعدَه، وهو ﴿وَاتَّقُوهُ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أدُّوها في أوقاتِها على شرائطِها، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

* * *

(٣٢) ـ ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدلٌ ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقيل: متَّصلٌ بما بعدَه؛ أي: كلُّ حزبٍ مِن الذينَ فرَّقُوا(٢).

وقيل: تقديرُه: منَ المُشركين ومن الذين فرَّقوا، والواوُ مُقدَّرٌ(٣).

ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: أوقَعوا فيه الاختلافَ؛ فصار بعضُهم يعبدُ صنمًا، وبعضُهم يعبدُ الشَّمسَ، وبعضُهم يعبدُ غيرَهما(٤).

وقيل: هم اليهودُ والنَّصارى.

---

(١) في (ن): «التوبة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «وبعضهم غيرها».

وجاء مرفوعًا: أنَّهم الخوارجُ(١).

وقيل: هم أهلُ البدعِ.

ومعنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: تركوا دينَهم الذي وجبَ عليهم العملُ به.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: جماعاتٍ مُختلفين.

وأصلُ الشِّيعةِ: المُعاونةُ، تقولُ: شَيِّعْ نارَكَ؛ أي: ضَعْ عليها حطبًا دِقاقًا تحتَّ الحطبَ الغِلاظَ.

﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾: جماعةٍ ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: مُعْجَبون مسرورونَ يظنُّونَ أنَّهم على الحقِّ.

وقيل: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ منَ الذين فرَّقوا دينَهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كما ذكرتُ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾: المُشركين ﴿ضُرٌّ﴾: سوءٌ، ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: تائبين مُقبِلين بالدُّعاءِ إليه، وتركوا الأصنامَ لعلمِهم أنَّه لا فَرَجَ عندها.

﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: عافيةً منَ الضُّرِّ النّازلِ بهم، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾؛ أي: وجدتَ فريقًا منهم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في العبادةِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٤٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً، وذكره ابن كثير عند تفسير الآية (١٥٩) من سورة الأنعام عن أبي أمامة موقوفاً ثم قال: «وروي عنه مرفوعاً ولا يصح».

قلت: الموقوف رواه عن أبي أُمامةَ عبدُ بن حميد وأبو الشيخ وابن مردويه لكن بلفظ: «هم الحرورية». انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٢). والحرورية من ألقاب الخوارج، كما في «مقالات الإسلاميين» (١/ ١١١)، سموا بذلك لانحيازهم إلى حروراء، وهي قرية قريبة من الكوفة.

وقيل: ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عامٌّ في المُؤمنين والمشركينَ، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ هم المشركون.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾؛ أي: يفعلون ذلك ليكونوا كفَّارًا؛ أي: أدَّى الأوَّلُ إلى الثّاني.

وقيل: اللَّامُ لامُ التَّهديدِ في صيغةِ الأمرِ.

وقيل: لامُ العاقبةِ.

ثمَّ خاطبَهم فقالَ: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾؛ أي: بكُفرِكم قليلًا، أمرُ وعيدٍ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِكم.

وقيل: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ ماضٍ، وهذا فيمَن قرأَ: (يعلَمُونَ) بالياءِ[١] أحسنُ[٢]، وهو شاذٌّ[٣].

* * *

(٣٥) ـ ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا ﴾؛ أي: أنزَلْنا ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾: رسولًا، وقيل: برهانًا، وقيل: كتابًا.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾؛ أي: يُوضِّحُ عُذرَهم؛ فمَن حمَلَه على (رسول) فالتَّكلُّمُ ظاهرٌ لا كلامَ فيه، ومَن حمَلَه على (الكتابِ) فهو كقولِنا: ﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، ومَن حمَلَه على البُرهانِ فكأنَّه قال: سُلطانًا يتسلَّطون به على تصويبِ ما ذهبُوا إليه، فيكونُ التَّكلُّمُ مجازًا كقولِ الشّاعرِ:

---

(١) نسبت هذه القراءة لأبي العالية. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١١٧).

(٢) في (ن): «وذلك أحسن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٥)، واستغربه.

وَعَظَتْكَ أَجْداثٌ صُمُتْ ... ونَعَتْكَ أزمنةٌ خُفُتْ
وأرَتْكَ قبرَكَ في القُبور ... وأنتَ حيٌّ لم تمُتْ(١)

* * *

(٣٦) - ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: المُشركين ﴿رَحۡمَةٗ﴾: نعمةً ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾: بطِرُوا بسببِها، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: بشُؤمِ عملِهم ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾: ييأسونَ؛ أي: يبطَرُ عندَ النِّعمةِ وييأسُ عند الشِّدَّةِ، ولا يَشكرُ في الأولى، ولا يحتسِبُ في الثَّانيةِ؛ فعلَ المُؤمنين.

وقيل: النَّاسُ: أهلُ مكَّةَ، والرَّحمةُ: المطرُ والخِصْبُ، والسَّيِّئةُ: الجَدْبُ والقَحْطُ، وهذا منَ الفرحِ المذمومِ، من قولِه: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. و﴿إِذَا﴾ جوابُ الشَّرطِ كالفاءِ(٢).

* * *

(٣٧) - ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾؛ أي: كلاهما منَ الله، فلا يجبُ أن يُستبعَدَ منه أحدُهما عقيبَ الآخرِ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٩٢)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٦٣)، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي (ص: ٣٢٠).

(٣٨) - ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ خاطَبَ مَن بسطَ عليه الرِّزقَ بأداءِ حقِّ الله منَ المالِ وصَرْفِه إلى مَن يَقربُ منه في رَحِمٍ، وهو الذي لا يجبُ عليك نفقتُه.

وقيل: هو الذي يجبُ عليك نفقتُه إذا كان فقيرًا، ولهذا قالَ: ﴿حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ بالمُواساةِ، والحقوقِ الواجبةِ.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، وذو القُربى: بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلبِ؛ يُعطَونَ حُقوقَهم منَ الغنيمةِ والفيءِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إيتاءُ حقوقِهم ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ منَ البخلِ.

وقيل: خيرٌ لهم في القيامةِ؛ يُضاعَفُ لهم أضعافًا.

وقيل: خيرٌ لهم في الدُّنيا؛ لأنَّ إخراجَ الزَّكاةِ يزيدُ في المالِ.

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الباقون في النَّعيمِ المُقيمِ.

* * *

(٣٩) - ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾؛ أي: إذا أعطيتُم طلبًا للمُكافأةِ والاستكثارِ ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا يزدادُ ولا يُضاعَفُ لكم ثوابُه وأجرُه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هما رِبوانِ: حلالٌ وحرامٌ، فما تعاطَيتُم بينكم

حلالٌ[1]، وهو ما نُهِيَ عنه النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في قولِه: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]؛ لأنَّه كان مأمورًا بمكارمِ الأخلاقِ.

وقيل: هو أن تُعطِيَ مَن خَدَمَكَ شيئًا من ربحِ مالِكَ[2] جزاءً من خدمتِه.

وقيل: هو الرِّبا الحرامُ.

وقوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: في حكمِه، بل يمحقُه ويُذهِبُ بركتَه.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ قيل: هي المفروضةُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الصَّدقةُ[3].

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: ثوابَه، وقيل: طاعتَه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾: الذين يُضاعَفُ لهم الثَّوابُ، من قولِهم: رجلٌ مُوسِرٌ: صاحبُ يَسارٍ، ورجلٌ مُقْوٍ: صاحبُ قوَّةٍ.

الفرَّاءُ: هم أصحابُ المُضاعَفةِ، كما تقولُ: هو مُسْمِنٌ؛ أي: صاحبُ إبلٍ سِمانٍ، ومُعْطِشٌ: صاحبُ إبلٍ عَطْشى[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٦)، وروى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) قال: «﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ﴾: هي الهبة، يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله؛ لا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه، ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ قال: هي الصدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾».

(٢) في (ن): «ربح لك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٢)، وقد تقدم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٥).

وقيل: ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ يعني: المُضَعِّفونَ؛ أي: ضَعَّفوا ثوابَهم وجعلوه أضعافًا مُضعَّفةً بإخراجِ الزَّكاةِ والصَّدقةِ، وهذا أظهرُ؛ لأنَّ (أضعفَ) يأتي على وجهَين:

أحدُهما: (أَضْعَفَ): صارَ أصحابُه ضُعفاءَ، وهذا لا وجهَ له في الآيةِ.

والثّاني: (أَضْعَفَ) بمعنى: ضَعَّفَ وضاعَفَ؛ أي: جعَلَ الشَّيءَ مثلَيه أو أمثالَه.

و﴿ما﴾ فيهما يصلحُ أن تكونَ شرطًا، ويصلحُ أن تكونَ موصولةً؛ فإنْ جعلتَه للشَّرطِ فمحلُّه نصبٌ، وإنْ جعلتَه للموصولِ فمحلُّه رفعٌ، والضَّميرُ العائدُ محذوفٌ.

وعدَلَ عن الخطابِ فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، ولم يقُلْ: فأنتم؛ ليكونَ أعمَّ؛ أي: مَن فعلَ هذا فسبيلُه سبيلُ المُخاطَبين.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾؛ أي: هو الخالقُ وحدَه، والرّازقُ وحدَه، والمُميتُ وحدَه، والمُحيي وحدَه.

﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾؛ أي: أصنامِكم التي زعمتُم أنَّهم شركاءُ لله.

﴿مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ الخلقِ والرِّزقِ، والإماتةِ والإحياءِ ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾؛ أي: شيئًا، و﴿مِّن﴾ صِلةٌ.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾: تبرَّأ وارتفَع ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: عن أن يكونَ له شريكٌ.

وقيل: نزِّهوه عن ذلك.

* * *

(٤١) ـ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾: القتلُ، وقطعُ الطَّريقِ، والجَدْبُ، والقَحطُ ﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: في جميعِ الأرضِ، كما تقولُ: هو معروفٌ في البرِّ والبحرِ؛ أي: في الدُّنيا.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ من الشِّركِ والكفر والعصيانِ.

المُؤرِّجُ: البرُّ: الفَيافي، والبحرُ: الأمصارُ[1].

الزَّجَّاجُ: كلُّ بلدٍ ذي ماءٍ جارٍ فهو بحرٌ[2].

وقيل: البرُّ: الباديةُ، والبحرُ: القُرى.

وقيل: البرُّ: ظهرُ الأرضِ، والبحرُ: هو المعروفُ.

وقيل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ﴾: هو قتلُ قابيلَ أخاه هابيلَ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: غصبُ السَّفينةِ، من قولِه: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

وقيل: ظهرَ القحطُ في البرِّ والبحرِ؛ لأنَّ المطرَ إذا قلَّ في الأرضِ قلَّ النَّباتُ، وإذا قلَّ في البحرِ قلَّ اللُّؤلؤُ والجوهرُ.

وقيل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾؛ أي: جزاءُ الفسادِ، وهو العذابُ ﴿فِي ٱلْبَرِّ﴾: أهلِ العُمُدِ كعادٍ، ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: أهلِ القُرى المُهلَكةِ.

وقيل: البرُّ: القُرى، والبحرُ: الجزائرُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وقد ذُكر نحوه عن عكرمة وقتادة. انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣١٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٨)، وفيه: « أي: في مدن البحر؛ أي: في المدن التي على الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر».

وقيل: البرُّ: النَّفْسُ، والبحرُ: القلبُ.

وقيل: البرُّ: اللِّسانُ، والبحرُ: القلبُ، حكاهما الماورديُّ واستبعَدَهما[1].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ليذوقُوا العقوبةَ على ذلك فينزَجِروا ويتَّعِظُوا فيرْجِعوا[2] ويتوبوا، وإنَّما قال: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ لأنَّه كان في الدُّنيا، وتمامُه مُعَدٌّ لهم في الأُخرَى.

***

(٤٢) ـ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لمُشركي قريشٍ: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ فإنَّكم سترَونَ تلك الآثارَ، وتعرَّفُوا أحوالَـهم، واحذَرُوا أن يحلَّ بكم مثلُ ما حلَّ بهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

***

(٤٣) ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: أَقِمْ قصدَكَ واجعَلْه جهتَكَ.

وقيل: استَقِمْ عليه واعمَلْ به.

وقيل: وجِّهْ وجهَكَ نحوَه.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ يعني: القيامةَ ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يردُّه الله.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٤/ ٣١٨)، وعدَّهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦) من العجائب.

(٢) «فيرجعوا» من (ف).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: يومٌ منَ الله لا مردَّ له.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرَّقون، وأصلُه منَ الصَّدْعِ وهو الشَّقُّ؛ أي: فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ، ويحتمِلُ: يتفرَّقون كالفَراشِ المبثوثِ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يُوطِّئونَ لأنفُسِهم في الآخرةِ قرارًا في الجنَّةِ ومسكنًا.

وقيل: فلأنفُسِهم يُسَوُّونَ المضاجعَ في القبورِ على ما يأمَنون به من عذابِ الله فيها، وأصلُ المهدِ: إصلاحُ المضجعِ، ثمَّ صُيِّرَ لإصلاحِ الأمورِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: اللَّامُ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: فضلًا من فضلِه، وقيل: ﴿مِن﴾ بمعنى الباءِ؛ أي: بفضلِه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيَشُوبَهم بالمُؤمنين، بل يُفرِّقُ بينَهم.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: من آياتِ قُدرتِه ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطرِ تتقدَّمُه وتُطْمِعُ فيه.

وقيل: تُبشِّرُ بصحَّةِ الأبدانِ وخِصْبِ الزَّمانِ.

وكلُّ ما في القرآنِ منَ الرِّيحِ بلفظِ الجمعِ فهو الرَّحمةُ، وأجمعوا على الجمعِ في هذه الواحدةِ؛ لقولِه: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ إلا شاذًّا[1].

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: ليرزُقَكم خِصْبًا وسعةً.

وقيل: ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: من البَرْدِ والطِّيبِ.

وتقديرُه: لِيُبشِّرَكم وليُذيقَكم، وقيل: وليُذيقَكم مُرسِلُها[2]. وقيل: الواوُ زيادةٌ.

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحارِ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بالرِّياحِ التي تسيرُ بها السُّفنُ، والرِّياحُ بأمرِ الله، فهي جاريةٌ بأمرِه.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: لتطلُبوا الرِّبحَ في التِّجارةِ[3] في البحرِ.

وقيل: بالذَّهابِ إلى الجهادِ في البحرِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: واصَلَ لكم نِعمَه لتشكُروه.

والرِّيحُ: جسمٌ رقيقٌ يجري في الجوِّ.

وقيل: هواءٌ مُتحرِّكٌ.

وقيل: تموُّجُ الهواءِ بتأثيرِ الكواكبِ، وهذا من كلامِ الأوائلِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾؛ أي:

---

(١) فالواو استثناء فيه على هذا.

(٢) حُكِيَ عن طلحة أنه مفرد. انظر: «الكامل» لليشكري (ص: ٤٩٤).

(٣) في (ف): «الربح والتجارة».

فكفرَ بهم قومٌ وآمنَ بهم قومٌ، فأهلَكْنا الكفَّارَ ونصَرْنا المؤمنين، وهو قولُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: تقديرُه: وكانَ الانتقامُ حقًّا.

وقيل: وكان نصرُ المؤمنين حقًّا.

وفي الآيةِ تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وبشارةٌ للمؤمنينَ؛ فإنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾: فتُهيِّجُ الرِّيحُ السَّحابَ من حيثُ أرادَ الله، ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ﴾: فيبسطُ الله السَّحابَ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: في الهواءِ ﴿كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ مسيرةَ يومٍ أو أيامٍ، من ناحيةِ الجنوبِ، أو ناحيةِ الشِّمالِ، أو ناحيةِ الدَّبورِ، أو ناحيةِ الصَّبا.

﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا﴾: قِطَعًا يركبُ بعضُه بعضًا.

والكِسْفةُ: القِطعةُ منَ السَّحابِ تُغطِّي ما فوقَها، من (كسَفَتِ الشَّمسُ).

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: فتُثيرُ سحابًا ويجعلُه كِسَفًا فيبسُطُه في السَّماءِ.

الضَّحَّاكُ: يجعلُه كِسَفًا في سماءٍ دون سماءٍ[1].

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾: المطرَ.

وقيل: البرقَ، وهو غريبٌ[2].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٤) بلفظ: «كسفاً من السماء: جانبًا من السماء».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٠١)، وعدَّه من العجائب، وقد تقدم في سورة (النور).

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: وسطِه.

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: بالمطرِ ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لمجيءِ الخِصْبِ وزوالِ القَحْطِ.

* * *

(٤٩) - ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

الأخفشُ: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيدٌ؛ كقولِه: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠](١).

قُطرُبٌ: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ المطرِ. وحكاهما الزَّجَّاجُ أيضًا(٢).

المُبرِّدُ: الثَّاني للسَّحابِ؛ لأنَّهم لمَّا رأوا السَّحابَ كانوا راجينَ المطرَ(٣).

ابنُ عيسى: من قَبْلِ الإرسالِ(٤).

صاحبُ «النَّظم»: من قَبْلِ النَّباتِ، قال: ولم يتقدَّمْ ذِكرُه، وكذلك: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الروم: ٥١]؛ أي: النَّباتَ؛ لأنَّ المطرَ يدُلُّ عليه(٥)، وهذا قولُ جميعِ المُفسِّرين.

وكنتُ سُئِلْتُ عن هذه الآيةِ فاستخرجْتُ لها عشرةَ أوجُهٍ سوى ما حكيتُ عن الأئمَّةِ، منها: أنَّ الهاءَ يعودُ إلى الاستبشارِ، وتقديرُه: من قبلِ الإنزالِ من قبلِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٧٦).

(٢) أي: قول الأخفش وقطرب منسوبين إليهما. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٩).

(٣) في (ف): «للمطر».

(٤) هذا القول وقول المبرد الذي قبله ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، واستغربه.

الاستبشارِ؛ لأنَّه قرنَه بالإبلاسِ، ولأنَّه مَنَّ عليهم بالمطرِ وبالاستبشارِ(١)، والله أعلمُ.

وأضربتُ عن إيرادِ التِّسعةِ الباقيةِ لأنَّ في الاستبشارِ مَقْنعًا ومَغْنًى(٢).

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيسين، وقيل: ساكِتين مُنقَطِعين.

* * *

(٥٠) - ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ والأشجارِ وأنواعِ الثِّمارِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: بعد أن صارَتْ ترابًا لا نباتَ بها ولا ثمارَ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: إنَّ ذلك الذي قَدِرَ على إحياءِ الأرضِ بعد موتِها قادرٌ على إحياءِ الموتى بعد موتِهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإماتةِ والإحياءِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه.

* * *

(٥١) - ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: الزَّرعَ بعد اخضِرارِه فخافوا هلاكَه، والمطرُ وإحياءُ الأرضِ دليلانِ على النَّباتِ والزَّرعِ، فصارَ كتقدُّمِ الذِّكرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦)، واستغربه، وقال: «وهذا الوجه أحسن ما قيل في الآية»، ونقله أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٠) عن المصنف.

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٦، ٨٩٧): «العجيب: يحتمل أن يحمل على الإرسال وعلى الرياح وعلى الإثابة وعلى السحاب وعلى البسط وعلى الكشف، وكذلك ما بعده».

وقيل: يعودُ إلى ﴿ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه النَّباتُ[١].

وقيل: يعودُ إلى السَّحابِ؛ لأنَّ السَّحابَ الأصفرَ لا يُمطِرُ[٢].

﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعدَ الاستبشارِ ﴿يَكْفُرُونَ﴾، اللَّفظُ للماضي والمعنى الاستقبالُ؛ لأنَّه جوابُ الشَّرطِ، واللّامُ جوابُ القسَمِ، ودلَّ على القسَمِ لامُ توطئةِ القَسَمِ في ﴿لَئِنْ﴾، والمعنى: إنَّهم كانوا إذا استبطَؤوا الرِّزقَ جحَدوا نِعَمَ الله.

وقيل: إذا استبطَؤوا الرِّزقَ سألوا الله المطرَ، فإنْ حُبِسَ عنهم كفروا.

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: هؤلاءِ في حُكمِ الموتى، فلا تطمَعْ في قَبولِهم منك.

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: هم لا ينتَفِعون بما يسمعونَ، فهم صُمٌّ، وإنَّما قالَ: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ والأصمُّ لا يَسمعُ مُقبلًا ولا مُدبِرًا؛ لأنَّه حالةَ الإقبالِ يَفهمُ بالرَّمزِ وبالإشارةِ، فإذا وَلَّى فلا يَسمعُ ولا يَفهمُ بالإشارةِ[٣].

وقيل: إذا ولَّى هؤلاءِ مُدبِرين.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾؛ أي: هم في حكمِ العُمْيِ في قلّةِ الانتفاعِ بالمرئيّاتِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «الإشارة».

وقيل: أرادَ بالعُمْيِ: عُمْيَ القلوبِ؛ أي: لا يُمكِنُك أن تهديَ الأعمى إلى طريقٍ قد ضلَّ عنه ليسلُكَ بإشارةٍ منك له إليه مع ذهابِ بصرِه.

﴿إِن تُسْمِعُ﴾؛ أي: ما تسمِعُ مواعظَ القرآنِ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: المُؤمنين ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: خاضِعون لله بالطَّاعةِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: خلقَكُم من النُّطَفِ؛ أي: حالَ ضعفٍ.

قتادةُ: ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾: من نُطفةٍ[1].

وقيل: خلقَكُم وأنتُم ضُعَفاءُ في أوَّلِ خلقِه إيَّاكم.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ حالَ الشَّبابِ وبلوغِ الأشُدِّ.

وقيل: حينَ ركَّبَ فيه الرُّوحَ لتمامِ خلقِه؛ فإنَّ ذلك بالإضافةِ إلى كونِه نُطفةً حالُ قوّةٍ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ وهي حالُ الهَرَمِ يصيرُ الإنسانُ فيه إلى مثلِ ما كانَ عليه في حالِ طفولته[2].

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من صِغَرٍ وكِبَرٍ، وضَعْفٍ وقوَّةٍ، وشبابٍ وشَيبٍ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالِـهم ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على تغييرِها.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٩٤).

(٢) في (ن): «الطفولية».

(٥٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلُّوا مدَّةَ الدُّنيا لـمَّا عايَنُوا الآخرةَ؛ أي: يحلفُ المُشركون المُنكرون للبعثِ إذا بُعِثوا يومَ القيامةِ: إنَّهم ما لبِثُوا في الدُّنيا إلا ساعةً.

وقيل: ما لبِثُوا في قُبورِهم، وذلك ما بين النَّفختَين.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الصِّدقِ إلى الكذبِ، فكانوا يحلفون وهم يعلمون.

وقيل: كانوا يُكَذِّبون بالقيامةِ.

وقيل: إنَّما أقسموا لأنَّه كان عندَهم كذلك، ولا يجري في القيامةِ كذبٌ عندَ أكثرِهم[1].

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم المؤمنون، وقيل: الملائكةُ.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: حكمِ الله.

وقيل: علمِه.

وقيل: اللَّوحِ المحفوظِ.

---

(١) قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٩٠): «وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن فيها كذب لما هم فيه، والقرآن يدلّ على غير ذلك».

وقيل: فيما كَتبَ الله لكم في سابقِ علمِه.

وقيل: في القرآنِ، وهو قولُه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠][1].

قتادةُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: أوتوا العلمَ في كتابِ الله والإيمانَ: لقد لبثتُم[2].

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قالوا لهم توبيخًا.

وقيل: ولكنَّكم كنتُم لا تعلمون هذه، فحلفتُم على جهلٍ.

وقيل: ولكنَّكم كنتُم لا تعلمون أنَّه يكونُ وأنَّكم مبعوثونَ، فكنتُم به تُكذِّبون.

***

(٥٧) ـ ﴿فَيَوۡمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾.

﴿فَيَوۡمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ ثمَّ اعتَذَروا وسألوا الرَّجعةَ إلى الدُّنيا لاستدراكِ الفائتِ فلا يُجابون، وهو قولُه: ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُدعَون إلى التَّوبةِ.

النَّقَّاشُ: لا يُعاتَبون على سيِّئاتِهم[3].

وقيل: لا يُستَتابون.

وقيل: لا يُطلَبُ منهم العُتبَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، واستغربه.

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٦٧)، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٧)، وعده من العجائب.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٢٧) بلفظ مغاير، ولعله وهم أو خطأ من الناسخ.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٤).

(٥٨) ـ ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يُنبِّهُهم على التَّوحيدِ، وعلى صدقِ الرَّسولِ.

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: إنْ جئتَ هؤلاءِ المُعاندين بمُعجزةٍ أو آيةٍ منَ القرآنِ فيه مَثَلٌ، ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بمُحمَّدٍ والمُسلمين[1]: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: ما أنتم على حقٍّ، بل أنتم على باطلٍ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: كما طبعَ على قلوبِ هؤلاءِ وختَمَ عليها جزاءً لكذبِهم يطبعُ الله على قلوبِ مَن لا علمَ عندَه ولا تمييزَ.

وقيل: هذا فيمَن أخبرَ أنَّهم لا يُؤمنون.

* * *

(٦٠) ـ ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذاهُم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ إيّاكَ بالنَّصرِ ﴿حَقٌّ ﴾: كائنٌ لا محالةَ.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾؛ أي: ولا يحمِلَنَّك عنادُهم على أن يدخُلَك خِفَّةٌ وعجَلةٌ لشدَّةِ غضبٍ يعتَريك، فيمنَعُكَ عن تبليغِ رسالةِ الله.

وقيل: معناه: ولا تأخُذْ بك العجلةُ في أمرِهم؛ فإنَّ الله سيُعاقبُهم.

وقيل: لا يَستَنْزِلَنَّكَ.

وقيل: لا يَستَخِفَّنَّ حِلمَكَ ورأيَكَ الذين لا يُؤمنون بالمَعادِ.

---

(١) كذا في النسختين، ولو كانت «للمسلمين» فكانت أظهر.

سُورَةُ لُقۡمَانَ

سُورَةُ لُقْمَانَ

أربعٌ وثلاثونَ آيةً(١)، مكيَّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ نزَلْنَ بالمدينةِ، وهُنَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧ ـ ٢٩]، وسيأتي ذكرُها.

الحسنُ: مكيَّةٌ إلّا آيةً، وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان: ٤]، فإنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ مدنيَّتانِ(٢).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبقَ نظائرُه.

وقيل: تلك الحروفُ علاماتُ كتابِ الحكمةِ نُوحيها إليك.

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: المُتضمِّنُ للحكمةِ.

وقيل: (فعيلٌ) بمعنى: مُفعَلٌ؛ أي: الممنوعُ منَ البُطلانِ(٣).

---

(١) «أربع وثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩)، وعده من العجائب.

ابنُ عيسى: جاز أن يُقالَ للكتابِ: حكيمٌ، وإنَّما هو حكمةٌ؛ لأنَّه يُظهِرُ الحقَّ منَ الباطلِ كما يُظهِرُ[ه] الحكيمُ بقولِه[١].

***

(٣) ـ ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ[٢]؛ فالنَّصبُ على الحالِ، والرَّفعُ على أنَّ ﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأٌ، و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ خبرُه، و﴿ هُدًى ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، وإن شئتَ قلتَ: هو هُدًى ورحمةٌ، فيكونُ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: للمُؤمنين[٣]، والإحسانُ: النَّفعُ الذي يُستحَقُّ عليه الحمدُ.

***

(٤) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضةَ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الواجبةَ ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾: بالدّارِ الآخرةِ ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ﴾، كرَّرَ ﴿هُمْ﴾ لمَّا حِيلَ بين المبتدأ والخبرِ بأجنبيٍّ.

***

(٥) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿هُمُ﴾ يجوزُ أن يكونَ ابتداءً، ويجوزُ أن يكونَ عِمادًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٦)، وما بين معكوفتين منه. واقتصر منه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩) على قوله: «الغريب: جازَ أن يُقال للكتاب: حكيم».

(٢) قرأ حمزة بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٦) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى ﴾: يختارُ.

وقيل: يشتري بمالِه كتُبًا فيها ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ، كان يخرُجُ إلى فارسَ ويشتري أخبارَ الأعاجمِ فيرويها ويُحدِّثُ بها قُريشًا، ويقولُ لهم: إنَّ محمَّدًا يُحدِّثُكم بحديثِ عادٍ وثمودَ، وأنا أُحدِّثُكم بحديثِ رُستمَ وأسفنديار وأخبارِ الأكاسرةِ، ويستَمْلِحونَ حديثَه ويترُكون استماعَ القرآنِ، فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ[1].

وقيل: نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، حكاه القفَّالُ.

مجاهدٌ: نزلَتْ في شراءِ القِيَانِ والمُغنِّياتِ[2].

وعن أبي أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يحلُّ تعليمُ المُغنِّياتِ، ولا بيعُهُنَّ، وأثمانُهنَّ حرامٌ، وفي مثلِ هذا نزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾، وما من رجلٍ يرفعُ صوتَه بالغناءِ إلا بعثَ الله عليه شيطانَين؛ أحدُهما

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٣٢)، ورواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٥٩١٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ساقط.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) من طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر الآية، وفيه شيخ لم يسم.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١١٣٨).

على هذا المنكبِ، والآخرُ على هذا المنكبِ، ولا يزالانِ يضرِبانِ[١] بأرجُلِهما حتَّى يكونَ هو الذي يسكُتُ»[٢].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: نزلَتْ في رجلٍ اشترى جاريةً تُغنِّيه ليلًا ونهارًا[٣].

= وتقديرُه: يشتَري ذاتَ لهوٍ.

الحسنُ: هو كلُّ ما يُلْهِي عن الله وعن دينِه[٤].

ابنُ جُرَيجٍ: هو الطَّبْلُ[٥].

---

(١) في (ف): «ولا يزالون يضربانه».

(٢) رواه الترمذي (١٢٨٢) و(٣١٩٥)، والحارث بن أبي أسامة (٨٩٢ ـ بغية الباحث)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٤)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وضعفه الترمذي، وفي إسناده عبيد الله بن زحر الإفريقي وهو ضعيف، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف جدًّا. وليس في رواية الترمذي: «وما من رجلٍ يرفعُ صوتَه بالغناءِ...».
ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٤٩) من طريق الوليد بن الوليد ـ وهو العنسي الدمشقي ـ عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة به. والوليد بن الوليد قال عنه الدارقطني: «منكر الحديث».
ورواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٥) من طريق مسلمة بن علي عن يحيى بن الحارث به، ونقل عن يحيى بن معين قوله: مسلمة بن علي ليس بشيء. وعن النسائي: متروك الحديث.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٧٨) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه ذكره كتفسير للآية لا أنه سبب نزول، ولفظه: «الرجل يشتري الجارية المغنية تغنيه ليلًا أو نهارًا». ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحو ما ذكره النحاس.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٩)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٩) من طريق =

قتادةُ: كلُّ لهوٍ ولعبٍ[1].

عطاءٌ: هو التُّرَّهاتُ البَسابِسُ[2].

قال أبو القاسمِ الكعبيُّ[3] في «تفسيرِه»: رخَّصَ جماعةٌ من فُقَهاءِ المدينةِ في السَّماعِ إذا لـم يكُنْ فُحْشًا ولا كذبًا، قال: ورَخَّصَ قومٌ في ضربِ العودِ[4]، وكرِهَ ذلك أهلُ العراقِ وأكثرُ علماءِ الأمصارِ.

وقيل: اللَّهوُ: الشِّركُ، والحديثُ: الخبرُ عن حوادثِ الزَّمنِ.

وأصلُ اللَّهوِ: الأخذُ فيما يَصرفُ الهَمَّ من غيرِ الحقِّ.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فاعل (يُضِلَّ) هو المُشتَري، ويجوزُ أن يكونَ اللَّهوَ، ومَن فتحَ الياءَ[5] فهو المُشتري لا غيرُ.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الله. وقيل: قراءةِ القرآنِ واستماعِه.

= ابن جريج عن مجاهد قال: «اللهو: الطبل»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٩) عن مجاهد وابن جريج.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩١)، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٣) عن قتادة قال: «أما والله لعله أن لا يكون أنفق فيه مالًا، وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٢٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٠) بلفظ: «الباطل».

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود البلخيّ الحنفي، ويعرف بالكعبي، من متكلمي المعتزلة البغداديين، رئيس أهل زمانه، توفي (٣٢٩هـ)، من كتبه: «المقالات وعيون المسائل والجوابات» وكتاب «الغرر والنوادر» وكتاب «كيفية الاستدلال بالشاهد على الغائب» وله: «التفسير الكبير» للقرآن العظيم. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣١٣) و(١٥/ ٢٥٥) و«طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٢٣٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٩٩ـ ٩٠٠)، وعده من العجائب.

(٥) هما ابن كثير وأبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧).

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾؛ أي: جَهْلًا منه.

وقيل: لـم يعلَمْ عاقبةَ ذلك.

وقيل: أي: مثلُ هذا لا يُسمَّى عالمًا.

وقيل: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ صفةٌ للمُضَلِّ لا للمُضِلِّ؛ أي: ليَضِلَّ تقليدًا وتوهُّمًا أنَّه على علمٍ، حكاه القفَّالُ(١).

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾؛ أي: السَّبيلَ ﴿هُزُوًا﴾: سُخريةً يسخَرُ منها وممَّن اعتقدَها؛ النَّصبُ بالعطفِ على ﴿لِيُضِلَّ﴾، والرَّفعُ بالعطفِ على ﴿يَشۡتَرِي﴾(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الموصوفون بهذه الصِّفةِ ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ يُخزيهم على رؤوسِ الأشهادِ.

* * *

(٧) ـ ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآنُ ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾: أعرَضَ عن تدبُّرِها مُتكبِّرًا رافعًا نفسَه عن طاعةِ الرَّسولِ ﷺ والإصغاءِ إلى القرآنِ.

﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾ حالانِ منَ الضَّميرِ في ﴿وَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرَضَ إعراضَ مَن لـم يسمَعْها كإعراضِ مَن في أُذنَيه وقرٌ: صمَمٌ، لا يقرعُ مسامعَه صوتٌ.

﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (١٧٦).

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولـم يشترُوا لهوَ الحديثِ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وعَدَ ذلك وَعْدَ اللهِ[١]، ﴿حَقًّا﴾ حالٌ للوعدِ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(١٠) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ الباءُ للحالِ، والعَمَدُ[٢]: جمعُ عمادٍ[٣].

﴿تَرَوْنَهَا﴾ الهاءُ يعودُ إلى السَّماءِ؛ أي: أنتم ترونَها كذلك بغيرِ عَمَدٍ.

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى العَمَدِ؛ أي: بغيرِ عَمَدٍ مرئيَّةٍ، وتلك العَمَدُ قدرةُ الله، وقد سبقَ.

ثمَّ رجعَ منَ الغَيبةِ إلى الخطابِ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالًا ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةَ أن تميدَ، وقيل: لئلَّا تميدَ بكم، ومعنى مادَ: مالَ، ومادَهم: مالَ عليهم بالعطاءِ، ومنه: المائدةُ.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: ونشرَ في الأرضِ من كلِّ دابَّةٍ من أنواعِ الدَّوابِّ بالنَّاسِ الحاجةُ إليها في مطاعمِهم ومراكبِهم ومنافعِهم؛ إذ لا تخلو دابَّةٌ من منفعةٍ[٤] وخاصِّيَّةٍ.

---

(١) أي: يعرب (وعد) مفعولاً مطلقاً، وهو مصدر مبيّن للنوع.

(٢) في (ف): «وعمد».

(٣) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ٤٠٣): «اتفقوا على قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أنه بفتح العين والميم؛ لأنه جمع عماد».

(٤) في (ن): «صفة».

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنفٍ ﴿كَرِيمٍ﴾: حسَنِ البِنْيَةِ، مُونِقٍ[١] المنظرِ.

وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾: مُكرَمٍ[٢] على العبادِ؛ لحاجتِهم إليه.

* * *

(١١) ـ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: مخلوقُه ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: أرُوني ما[٣] خلقَه الأوثانُ.

و﴿مَاذَا﴾ منصوبٌ بـ﴿خَلَقَ﴾، والجملةُ الفعليَّةُ قامَتْ مَقامَ المفعولَين.

وإنْ شئتَ قُلتَ: (ما) رفعٌ بالابتداءِ و(ذا) خبرُه، والفِعْلُ صلتُه، والتَّقديرُ: خلقَه، والجملةُ الإسميَّةُ قامَتْ مَقامَ المفعولَين.

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: خطأٍ وجهلٍ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ هو لقمانُ بنُ باعُورَ، وكان حكيمًا ولـم يكُنْ نبيًّا.

عِكرمةُ والشَّعبيُّ قالا: كان نبيًّا[٤].

---

(١) أي: أنيق. انظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» للعسكري (ص: ٨٥).

(٢) في (ف): «يَكرُم».

(٣) في (ن): «ماذا».

(٤) رواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٨)، وذكره =

وقيل: كان عبدًا صالحًا.

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ قال: كان خيَّاطًا[(١)].

وعن خالدٍ الرَّبَعيِّ قال: كان عبدًا حَبشيًّا نجَّارًا[(٢)].

وفي «معاني الزَّجَّاجِ»: نجَّادًا؛ بالدَّالِ[(٣)].

وقيل: كانَ راعيًا.

مُجاهد: كان لقمانُ عبدًا أسودَ، عظيمَ الشَّفتَين، مُتشقِّقَ القدَمَين[(٤)].

الفرَّاءُ: كان حَبَشيًّا، مَجدوعَ الأنفِ، ذا مِشْفَرٍ[(٥)].

وقيل: كان نُوبيًّا.

وقيل: كانَ تَلْمَذَ لألفِ نبيٍّ، وتَلْمَذَ له ألفُ نَبيٍّ[(٦)].

= الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣١) عن عكرمة والشعبي، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤٢) عن عكرمة والشعبي والسدي، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٠): «هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة». وقال الثعلبي: «واتفق العلماء أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيًّا، تفرد بهذا القول».

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٦٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٣١)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨).

(٣) في المطبوع من «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥): «نجارًا» بالراء، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٢) مثل ما ذكر المصنف والنجّاد: مَن ينجّد البيوت والفرش والبسط، كما في «تاج العروس» (٩/ ٢٠٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٠)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٧).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، وعده من العجائب.

﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: العقلَ، والعِلمَ، والعَملَ به، والإصابةَ في الأمورِ، وكانت الحكمةُ تجري على لسانِه.

وفي التَّفسيرِ: فأُخْبِرَ بذلك مولاه، فأرادَ أن يُجرِّبَه، فدعاه فقال: اذبَحْ شاةً وائتِني بأطيبِ مُضغتَينِ منها، فذبحَ شاةً وأتاه بالقلبِ واللِّسانِ، ثمَّ قال له: اذبَحْ شاةً وائتِني بأخبثِ مُضغتَين منها، فذبَحَ شاةً وأتاه بالقلبِ واللِّسانِ، فسألَه عن ذلك فقال: إنَّهما أطيبُ شيءٍ إذا طابا، وأخبثُ شيءٍ إذا خَبُثا[١].

وذكرَ الزَّجَّاجُ: أنَّ إنسانًا وقفَ عليه وهو في مجلِسِه فقال: ألستَ الذي كنتَ ترعى معي في مكانِ كذا وكذا؟ قال: بلى، فقال: ما بلغَ بك ما أرى؟ فقال: صِدْقُ الحديثِ، والصَّمتُ عمَّا لا يَعنيني[٢].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: قالَ له داودُ يومًا: كيفَ أصبَحتَ؟ فقال: أصبحتُ في يدَي غيري، فتفكَّرَ داودُ فيه، فصَعِقَ صَعقةً[٣].

وفي الحِكَمِ المرويَّةِ عنه كثرةٌ، وأبلغُها ما حكَى الله عنه في القرآنِ:

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الزَّجَّاجُ: لِأَنْ يَشكُرَ لله، قال: ويجوزُ أن تكونَ ﴿أَنِ﴾ المُفسِّرةَ، فيكونُ المعنى: أي اشكُرْ لله، وتقديرُه: قلنا له: اشكُرْ لله[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨)، عن خالد الربعي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨) عن عمرو بن قيس.

(٣) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٢١٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

وقيل: بدلٌ منَ ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ الشَّاكرَ يستحقُّ المزيدَ، من قولِه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ أي: تعودُ منفعةُ شُكرِه إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾؛ أي: ومَن كفرَ لـم يضُرَّ الله؛ فإنَّه غنيٌّ عن العبادِ وشكرِهم ﴿حَمِيدٌ﴾: محمودٌ في صُنعِه.

وقيل: مُستحمِدٌ إلى خلقِه بالإنعامِ عليهم.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَوضعُ ﴿إِذْ﴾ نصبٌ بقولِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ لأنَّ هذه الموعظةَ حكمةٌ[١].

وقيل: واذكُرْ إذ قال ﴿لِٱبْنِهِۦ﴾، واسمُه: أَنعَمُ. وقيل: مِشْكَمُ. وقيل: ماثانُ.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغيرُ تقريبٍ ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: معَ الله ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: وضعُ العبادةِ غيرَ موضعِها، ولا ذنبَ أعظمُ مِنه.

قيل: كان ابنُه كافرًا فأسلَمَ.

وعن بعضِ القُـرَّاءِ الوَقفُ علـى قولِـه: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ والابتـداءُ باليمينِ، وليس بالبعيدِ[٢].

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(١٤) ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه، وقد سبقَ في (العنكبُوتِ)[١].

وفصَلَ اللهُ به بينَ حكايةِ وصيَّةِ لُقمانَ لابنِه؛ لأنَّ كلامَ لُقمانَ في هذا المَعنى.

وقيل: تقديرُه: إنَّ الشِّركَ لظُلْمٌ عظيمٌ، ونحنُ قد وصَّيْنا الإنسانَ بوالدَيه حُسْنًا، وأمَرْناه ألّا يُطيعَهما في الشِّركِ[٢].

وجاء في كلامِ لُقمانَ أنَّه قال لابنِه: إنَّ الله رضيَني لك فلم يُوصِني بِكَ، ولم يرضَكَ لي فوصَّاكَ بي[٣].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: ضَعْفًا على ضَعْفٍ.

وقيل: شدَّةً على شدَّةٍ.

وقيل: جُهْدًا على جُهْدٍ.

وقيل: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ على حسبِ زيادتِه في بطنِها، وثِقَلِه عليها.

وفي الوهنِ ثلاثُ لغاتٍ: وَهَنَ يَهِنُ مثل: وَعَدَ يَعِدُ، ووَهِنَ يَوْهَنُ مثل: وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَهِنَ يَهِنُ مثل: وَرِثَ يَرِثُ.

---

(١) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١)، واستغربه.

(٣) رواه الشجري في «الأمالي الخميسية» (٢/ ١٦٨) عن عبد الله بن وهب السهمي.

ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠٤) عن الحماني من قول زيد بن علي بن الحسين لابنه يحيى.

وقيل: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ صفةٌ للولدِ؛ أي: نُطفةً ثمَّ علقةً.. إلى آخرِ الخِلْقةِ.

وقيل: ضَعفُ الوالدةِ على ضَعفِ الولدِ.

وقيل: ضَعفُ نُطفةِ الأبِ على ضَعفِ نُطفةِ الأمِّ.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾؛ أي: فِطامُه بعد الولادةِ في انقضاءِ حولَين، وذلك ممَّا يَزيدُها ضَعفًا.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ ليشكُرْ لي ويشكُرِ الوالدَين، وتقديرُه: وصَّيناه بأن اشكُرْ، فحُذِفَ الجارُّ.

المُبرِّدُ: محلُّه جرٌّ بالبدلِ من (والدَيه) بدلَ الاشتمالِ(١).

وقيل: وقُلنا له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: مصيرُكَ إليَّ، وحِسابُكَ عليَّ.

* * *

(١٥) - ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾؛ أي: أطِعْهما فيما يأمُرانِكَ به كلِّه، وإنْ حمَلاك على أن تجعَلَ لي شريكًا لـم يحصُلْ لك العلمُ بأنَّه لي شريكٌ ـ لأنَّ ذلك مستحيلٌ لا يكونُ ـ فلا تُطِعْهما على ذلك، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾؛ أي: أحسِنْ مُصاحبتَهما.

و﴿مَعْرُوفًا﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: مُصاحبةً أو صحابًا معروفًا يُستَحسَنُ.

---

(١) ذكره البيضاوي بلا نسبة في «تفسيره» (٤/ ٢١٤).

وقيل: وصاحِبْهما في أمورِ الدُّنيا بالمعروفِ لمثلِهما، وقال ﷺ: «رِضا الله في رِضا الوالدَين، وسُخْطُ الله في سُخْطِ الوالدَين»[١].

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه، وذلك أنَّه حين أسلَمَ أتاه عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وسعيدٌ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، فقالوا لأبي بكرٍ: آمنتَ وصدَّقتَ محمَّدًا؟ فقال: نعم، فأتَوا رسولَ الله ﷺ فآمَنُوا وصدَّقُوا، فأنزَلَ الله يقولُ لسعدٍ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: أبا بكرٍ رضي الله عنه[٢].

وقيل: اتَّبعْ محمَّدًا ﷺ.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموتِ.

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، كقولِه: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، ثمَّ ابتدأ فقالَ على وجهِ التَّهديدِ: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموتِ، ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعثِ، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أُجازيكُم عليه[٣].

وقيل: أُنبِّئُكم ذلك في كتابِ الحفَظةِ.

ثمَّ عادَ إلى عِظةِ لُقمانَ ابنَه فقال:

(١٦) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠١) واستغربه.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ﴾: إنَّ القِصَّةَ والأمرَ والشَّأنَ، وذلك فيمَن رفعَ ﴿مِثْقالُ حَبَّةٍ﴾، ومَن نصَبَ(١) جعلَها كنايةً عن الخصلةِ أو الفعلةِ.

وقيل: عن السَّيِّئةِ.

ومِثقالُ الشَّيءِ: ما يُساويه في الوزنِ، وكثُرَ في الكلامِ فصارَ عبارةً عن مقدارِ الدِّينارِ، وأنَّثَه مَن رفعَه لإضافتِه إلى مُؤنَّثٍ، وقد سبقَ.

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ هو: الحَبُّ المعروفُ؛ يُضرَبُ به المثَلُ في الصِّغرِ.

﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾: في أخفَى موضعٍ وأشدِّه.

﴿أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: في أجوافِ السَّماواتِ.

﴿أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أجوافِها.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يُحْضِرْها الله فيُجازي عليها.

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّها الصَّخرةُ التي عليها الأرضُ، وهي التي تُسمَّى: السِّجِّينَ، وليست منَ الأرضِ(٢).

وقيل: المُرادُ بها الجبلُ، والمُرادُ بالأرضِ: المِهادُ منها، كقولِه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦ ـ ٧].

وذُكِرَ أنَّ آخرَ ما قالَ لابنِه: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾، ثمَّ تفطَّرَ من هيبةِ هذه الموعظةِ فماتَ، وكانَ آخرَ كلامِه.

(١) قرأ بالرفع نافع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) قاله الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٢٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٢) عن الكلبي، ولا أدري من هم أكثر المفسرين الذين قصدهم، وهذه خرافة أثبت العلم خطأها.

وقيل: المُرادُ بها الرِّزقُ[1]؛ أي: إن كان للإنسانِ رزقٌ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ في هذه المواضعِ جاءَ بها الله حتَّى يُخرِجَها ويسوقَها إلى مَن هي رزقٌ له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجِ ذلك ﴿خَبِيرٌ﴾: عالِـمٌ بمكانِه.

* * *

(١٧) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: حافِظْ عليها لمواقيتِها وما شُرِعَ فيها.

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ما رأيتَه من معروفٍ حسَنٍ في العقولِ قد تُرِكَ، فأْمُرْ به.

﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وما رأيتَه من شيءٍ تُنكِرُه[2] يُؤتَى، فَانْهَ عنه وامْنَعْ منه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ في ذاتِ الله إذا أمرتَ بالمعروفِ ونهَيتَ عن المُنكرِ.

وقيل: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من شدائدِ الدُّنيا من الأمراضِ والفقرِ والهمِّ والغمِّ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ، وقيل: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي أوصيتُكَ به.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: ممَّا عزَمَ الله على عبادِه؛ أي: أمرَهُم به أمرًا حتمًا.

والعَزْمُ: تَوْطِينُ النَّفسِ على الفعلِ.

وقيل: ﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: ضبطُ الأمورِ وإصلاحُها.

المُؤرِّجُ: العَزْمُ: الحزْمُ بلغةِ هُذَيلٍ[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، واستغربه.

(٢) بعدها في (ن): «أن».

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٦).

المُبرِّدُ: الحزْمُ: العَزْمُ، قُلِبَ العينُ حاءً[١]، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما أصلٌ برأسِه مُطَّرِدٌ في جميعِ أحوالِه، والحزمُ: الحذَرُ، والعَزْمُ، الثَّباتُ، وقد سبقَ ذِكرُه.

***

(١٨) ـ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾: لا تُعرِضْ بوجهِك عمَّن يُقبِلُ عليك استخفافًا به، والصَّعَرُ: الميلُ في العُنُقِ، وصَعَّرَ وصاعَرَ لُغتانِ، كضَعَّفَ وضاعَفَ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: خُيَلاءَ وكِبْرًا، مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ.

وقيل: ﴿مَرَحًا ﴾؛ أي: في معصيةٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾: مُتكبِّرٍ، وقيل: مَنَّانٍ.

والاختيالُ: أن يرى لنفسِه طَولًا على غيرِه فيشمَخَ بأنفِه.

﴿فَخُورٍ ﴾: يُعدِّدُ مناقبَه تطاوُلًا.

***

(١٩) ـ ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾.

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ القَصْدُ: التَّوسُّطُ بين الغُلوِّ والتَّقصيرِ، قال الشّاعرُ:

كلا طَرَفَـــيْ قَصْـــدِ الأمـــورِ ذَميـــمُ[٢]

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤١٦).

(٢) عجز بيت لم ينسب لقائل، وقبله:

تَســامَحْ وَلَا تَسْــتَوْفِ حَقَّــكَ كُلَّــهُ ... وأَبْــقِ فَلَــمْ يَسْــتَوْفِ قَــطُّ كَرِيــمُ

ولا تَغْـلُ في شيءٍ مِـن الأمـرِ واقْتَصِـدْ ... كِلا طَـرَفَيْ قَصْـدِ الأُمُـورِ ذَمِيـمُ

انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٩٧)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (٤/ ٣٨٥)، و«معجم الأدباء» لياقوت (٢/ ٤٩٠).

المُؤرِّجُ: معنى ﴿اقْصِدْ﴾: أسرِعْ بلُغةِ هُذَيلٍ(١).

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كانوا يُنهَونَ عن خَبَبَ اليهودِ ودَبيبِ النَّصارى، ولكنْ مشيًا بينَ ذلك(٢).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «سُرعةُ المشيِ تُذهِبُ بهاءَ المُؤمنِ»(٣).

وقيل: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: انظُرْ في مشيِكَ موضعَ قدمِكَ.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: أنقِصْ منه، والغَضُّ: النُّقصانُ، وقد سبق.

﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أقبحَها.

وقيل: أثقلَها على السَّمعِ عند النّاسِ.

عكرمةُ: ﴿أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: شرَّ الأصواتِ(٤).

الحسنُ: أشدَّ الأصواتِ(٥).

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢/ ١١١).

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٢/ ٧١٧)، وأبو حيان في «البحر» (٨/ ٤١٦).

(٣) رواه ابن معين في «تاريخه» (٣/ ٢٥٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه عمرو بن صهبان، قال ابن معين: أحاديث عمرو بن صهبان لا تساوي فلسًا.
ورواه الماليني في «الأربعين في شيوخ الصوفية» (ص: ١٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٣٢): حديث منكر جدًّا.
ورواه ابن بشران في «أماليه» (ص: ١٥٨) عن أنس رضي الله عنه. وروي عن غيرهم وأسانيدها جميعا ضعيفة جدًّا. وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٥) لكن =

وقيل: أبعدَ الأصواتِ؛ لأنَّ أوَّلَه زفيرٌ وآخرَه شهيقٌ.

وعن سُفيانَ: صياحُ كلِّ شيءٍ تسبيحُه، إلّا الحمارَ؛ فإنَّه يصيحُ لرُؤيةِ الشَّيطانِ(١).

﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قيل: الصَّوتُ في معنى الجمعِ؛ لأنَّه مصدرٌ.

وقيل: بل الحميرُ في معنى الواحدِ؛ لأنَّه اسمٌ للجمعِ.

وقيل: أرادَ بذكرِ الحميرِ التَّزهيدَ في رفعِ الصَّوتِ على النَّاسِ، كما تقولُ: الشَّرَهُ من فعلِ الكلابِ.

وقيل: لا يمتنِعُ أن يكونَ في الأصواتِ ما هو أنكرُ من صوتِ الحمارِ، فيصيرُ تقديرُ الآيةِ: إنَّ من أنكرِ الأصواتِ لَصوتُ الحميرِ، فحُذِفَ (من) فارتفَعَ الصَّوتُ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الله يُبغِضُ ثلاثةَ أصواتٍ: نهقةَ الحميرِ، ونُباحَ الكلبِ، والدَّاعيةَ بالحَربِ»(٢)؛ يعني: النَّائحةَ.

وقيل: ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ هي: العطسةُ المُنكرةُ، حكاه أقضى القُضاةِ الماورديُّ(٣).

ولا أرى له وجهًا، ولعل هذا القائلَ جعلَ الحميرَ فعيلًا من قولِهم: طَعنةٌ حمراءُ؛ أي: شديدةٌ، ومن قولِهم: حَمارَّةُ القَيظِ: شِدَّتُه، والحمارُ سُمِّيَ حِمارًا لشِدَّتِه، ثمَّ لا تخصيصَ له بالعطسةِ دونَ غيرِها منَ الأصواتِ.

= عن الحسن بن مسلم لا ابن أبي الحسن البصري الذي يُقصد عند الإطلاق عادة.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٩).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢١) من طريق عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن النبي ﷺ. وهذا إسناد موضوع، عنبسة بن عبد الرحمن متهم بالوضع، ومحمد بن زاذان متروك.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤١) عن جعفر الصادق، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، وعده من العجائب.

(٢٠) - ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكَّنكُم من الانتفاعِ بما في السَّماءِ منَ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ، وما في الأرضِ منَ الجبالِ، والبحارِ، والنَّباتِ، والأشجارِ، والدَّوابِّ، والرِّيحِ، والسَّحابِ.

وقيل: معنى ﴿سَخَّرَها﴾: ذلَّلَها.

وقيل: سهَّلَها، والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾: تمَّمَ حتى فَضَلَ.

قُرِئَ: ﴿نِعْمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾(١) والمُرادُ بها الإسلامُ.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه(٢)؛ أي: ظاهرةً على اللِّسانِ وباطِنةً على الجوارحِ بالطَّاعةِ.

وقيل: في القلوبِ بالاعتقادِ والنِّيَّةِ.

ويجوزُ أن يكونَ واحدةً في اللَّفظِ جمعًا في المعنى، كقولِه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقُرِئَ ﴿نِعَمَهُۥ﴾ بالجمعِ(٣)؛ لأنَّ نِعَمَ الله لا تُحصى كثرةً.

ومعنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾: يراها النَّاسُ منَ الجاهِ والمالِ والخدَمِ والأولادِ، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: الخلُقُ والعلمُ، والقوَّةُ، وسائرُ ما يعلمُه العبدُ من نفسِه.

---

(١) قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، والباقون: ﴿نعمه﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٦٧) هكذا قراءة وتفسيراً.

(٣) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية حفص، وقد تقدمت قريباً.

وقيل: ﴿ظَٰهِرَةً﴾: ما يعلَمُ العبدُ من نفسِه ﴿وَبَاطِنَةً﴾: ما يعلَمُه الله ولا يعلَمُ العبدُ.

والهاء في ﴿نِعَمَهُۥ﴾ تعودُ إلى الله.

وقيل: إلى ما في السَّماواتِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ[1].

وقيل: في يهوديٍّ خاصمَ النَّبيَّ ﷺ فأخذَتْه صاعقةٌ فأهلكَتْه[2].

أي: ومع هذه النِّعمِ منهم مَن يُجادِلُ في توحيدِ الله ويميلُ إلى الشِّركِ والتَّعطيلِ بغيرِ علمٍ وعقلٍ ﴿وَلَا هُدًى﴾: سنَّةِ نبيٍّ ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزلَه الله، بل تقليدًا وإلفًا، وهو قولُه:

(٢١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ بوَسْوَسَتِه وتخييلِه وجوبَ اتِّباعِ الآباءِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: إلى ما يؤولُ إليه = يتَّبِعُونَه[3]؟ استفهامُ إنكارٍ وتعجيبٍ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٧٨) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١١٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٤٣).

(٣) قوله: «يتبعونه» جواب الشرط؛ أي: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يتَّبِعُونَه.

(٢٢) ـ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يُخلِصْ عملَه لله، و﴿إلى﴾ بمعنى: اللّامِ، كقولِه: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقيل: انقادَ لأمرِه واستسلَمَ.

وقيل: يقصدُ بطاعتِه إلى الله.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملِه مُخلِصٌ في نيَّتِه.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾: تمسَّكَ وتعلَّقَ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: كلمةِ التَّوحيدِ: «لا إلهَ إلا الله». وقيل: القرآنِ والإسلامِ.

و(العُرْوَةُ): ما يُعلَّقُ به الشَّيءُ. و﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تأنيثُ الأوثَقِ. والشَّيءُ الوثيقُ: ما يأمَنُ صاحبُه منَ السُّقوطِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: مصيرُ الأمورِ في أواخرِها إلى الله، وهو المُجازي عليها.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ولم يُسلِمْ وجهَه، ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ فليس عليك منه تَبِعةٌ.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ يومَ الحسابِ ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾: نُجازيهم على أعمالِهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بضمائرِ القلوبِ.

وقيل: بما في ضميرِكَ منَ الحزنِ على كُفرِهم.

* * *

(٢٤) ـ ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾: نُبقيهم في الدُّنيا يتمتَّعون فيها مدَّةَ أعمارِهم إلى حلولِ آجالِـهم، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾: شديدِ الآلامِ، كثيرِ الأجزاءِ لا يتناهَى.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: مع كُفرِهم مُقِرُّونَ بأنَّ خالقَ السَّماواتِ والأرضِ هو الله[١].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على انقطاعِ حجَّتِهم.

وقيل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: لمَن خلقَ هذه الأشياءَ، لا لمَن لا يخلُقُ وهم يُخلَقون.

وقيل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على العلمِ والهدايةِ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما في تركِ عبادةِ الله منَ العقابِ والعذابِ الأليمِ.

وقيل: لا يعملونَ بما يعلَمون.

وقيل: هو مُتَّصلٌ بما بعدَه تقديرُه: لا يعلَمون ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، كما تقولُ: لا تعلَمُ لزيدٍ ما في الدَّارِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن إيمانِهم وطاعتِهم ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴾: المحمودُ لا ينقطعُ حمدُه بكفرِهم.

***

---

(١) في (ن): «بأن الله خالق السماوات والأرض».

(٢٧) ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ في سببِ النُّزولِ: سألتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن الرُّوحِ، فأنزلَ الله بمكّةَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلمَّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ أتاه أحبارُ اليهودِ وقالوا: يا محمَّدُ، بلَغَنا عنك أنَّكَ تقولُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] أفعَنَيْتَنا أم قومَكَ؟ فقال: كُلًّا قد عنَيْتُ، فقالوا: ألستَ تتلُو فيما جاءَكَ أنَّا قد أُوتينا التَّوراةَ وفيها علمُ كلِّ شيءٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهو في علمِ الله قليلٌ، وقد آتاكُم الله ما إنْ عملتُم به انتَفَعْتُم». قالوا: يا محمَّدُ، كيفَ تزعُمُ هذا وأنتَ تقولُ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فكيفَ يجتمعُ هذا؟ علمٌ قليلٌ وخيرٌ كثيرٌ، فأنزلَ الله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾(١)؛ أي: لو بُرِيَتْ أشجارُ الأرضِ أقلامًا ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾: يزيدُ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: من بعد نفادِ ما فيه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ سوى بحارِ الدُّنيا؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَٱلْبَحْرُ ﴾ للعمومِ، وفيه الألفُ واللَّامُ للجنسِ؛ أي: فيصيرُ الكلُّ مِدادًا، كقولِه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقيل: ﴿يَمُدُّهُۥ ﴾: يجعلُه مِدادًا أسودَ يُكتَبُ به(٢).

قال أبو عبيدةَ: البحرُ هاهنا: الماءُ العذبُ؛ لأنَّ المِلْحَ لا يُنبتُ الأقلامَ(٣).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٦) عن المفسرين، ولعله مجموع من عدة أخبار، فقد روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وعطاء بن يسار.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٢٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٢)، وعده من العجائب.

قال القفَّالُ: قولُ أبي عبيدةَ: البحرُ المِلْحُ لا يُنبِتُ الأقلامَ، يُوجِبُ أنَّه جعلَ المعنى: والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ فأنبتَتْ أقلامًا، قولُ أبي عبيدةَ ضعيفٌ لأنَّ الله سبحانَه أرادَ التَّكثيرَ والمُبالغةَ، وليس فيما ذكرَ أبو عبيدةَ كثيرُ مُبالغةٍ.

وعُذرُ القفَّالِ عنه حسَنٌ، كأنَّه جعلَ هذه الآيةَ مُشتمِلةً على ذكرِ الأقلامِ فحسبُ، كما أنَّ ما في الكهفِ للمِدادِ فحسب؛ اكتفاءً بذكرِ أحدِهما عنِ الآخرِ، كما اكتفَى بذكرِ الأقلامِ والمِدادِ عن القِرْطاسِ أو ما يُكتَبُ عليه، أو عنِ الكَتَبةِ؛ لأنَّ تقديرَ الآيةِ: لو جُعِلتِ الأشجارُ أقلامًا، والبحرُ بعدَ المَدَدِ[1] مِدادًا، والسَّماواتُ والأرضُ قِرْطاسًا، والملائكةُ والجنُّ والإنسُ كُتَّابًا، ثمَّ كتبُوا به منه عليه، لنفِدَتْ هذه الأشياءُ وأعيَتِ الكتَبةُ قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربِّي، والله أعلَمُ.

﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ واختلفُوا في معنى ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ فقيل: المُرادُ بها: العلمُ، وسُمِّيَ علمُه كلماتٍ لأنَّه لا يُمكِنُ كتابتُه إلَّا إذا كانت كلماتٍ.

وقيل: معنى ﴿كَلِمَٰتُ﴾: أسماءُ ما خلقَه الله، وما[2] يخلقُه في الآخرةِ؛ لأنَّها غيرُ مُتناهيةٍ، والأقلامُ والبحارُ مُتَناهيةٌ.

وقيل: نِعَمُ الله على خلقِه.

وقيل: ما قضاه الله في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: منيعٌ في مُلكِه ﴿حَكِيمٌ﴾ في خَلْقِه.

قُرِئَ ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ بالرَّفعِ على الابتداءِ، وبالنَّصبِ[3] على العطفِ، أو بفعلٍ يدُلُّ عليه ما بعدَه.

---

(١) في (ن): «المداد».

(٢) في (ف): «ولما».

(٣) قرأ أبو عمرو بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢٨) ـ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: إلا كخَلقِ نفسٍ واحدةٍ، وبَعثِ نفسٍ واحدةٍ، يقولُ لها: كُنْ فيكونُ، لا حاجةَ إلى آلةٍ ولا إلى استعانةٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِ مَن أنكرَ البعثَ ﴿بَصِيرٌ﴾ بأحوالِ الأحياءِ والأمواتِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: كلُّ ذلك يجري إلى وقتِه المُسمَّى له ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الذي خَلقَ وصَنعَ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بسببِ أنَّه هو الله حقًّا.

وقيل: فَعَلَ ذلك لتعلَمُوا أنَّ الله هو الحقُّ.

﴿وَأَنَّ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ﴾[1]؛ أي: ما تَدْعونَ منَ الأصنامِ وتُسمُّونَه[2] آلهةً، وقيل: تجعلونَهم آلهةً. وقيل: تعبُدونَهم.

---

(١) قوله: ﴿تدعون﴾ هكذا جاءت في النسختين بالتاء، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي بكر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) في (ف): «وتسمونهم».

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على كلِّ شيءٍ ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: كلُّ شيءٍ دونَه.

* * *

(٣١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ الباءُ للحالِ؛ أي: مُنْعِمًا بها عليكم.

وقيل: ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالرِّيحِ؛ لأنَّ الرِّيحَ من نِعَمِ الله[1].

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: عجائبِ قُدرتِه في البحرِ إذا ركبتُموها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: للمُؤمنين؛ فإنَّ الإيمانَ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

وقيل: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ مادامَ فيها، ﴿شَكُورٍ﴾ إذا خرجَ منها.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾؛ أي: علاهُم فغطَّاهُم كالجبالِ.

وقيل: كالسَّحابِ.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يُخلِصون له الدُّعاءَ والطَّاعةَ، ولا يَدْعُون أحدًا سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: خلَّصهم ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٣)، واستغربه.

أحدُهما: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مُقيمٌ على طاعةِ[1] الله، ومنهم جاحدٌ، فحُذِفَ لقولِه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾ بعدَه.

والثّاني: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: جاحدٌ.

فيكونُ الاقتصادُ على القولِ الأوَّلِ مدحًا، وعلى القولِ الثَّاني ذمًّا.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدَّارٍ بدينِه أسوأَ غدرٍ، وقيل: جاحدٍ، ﴿كَفُورٍ﴾ لربِّه.

* * *

(٣٣) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾: خافُوه واستَتِروا عن عقابِكم بطاعتِكُم له ﴿وَٱخْشَوْاْ﴾: وخافُوا ﴿يَوْمًا﴾ يعني: يومَ القيامةَ ﴿لَّا يَجْزِى﴾؛ أي: فيه، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ حُذِفَ الهاءُ، والمعنى: لا يقضي، ولا يُغني، ولا يحمِلُ، وقد سبقَ.

﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ خُصَّ الوالدُ بالذِّكرِ لأنَّه أحرَصُ الأشياءِ على دفعِ المضرَّةِ عن الولدِ.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قولُه: ﴿مَوْلُودٌ﴾ عطفٌ على الوالدِ، و(هو) مبتدأٌ، و﴿جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ خبرُه، والجملةُ صفةٌ لـ﴿مَوْلُودٌ﴾.

ويجوزُ أن يُجعَلَ ﴿عَن﴾ من صلةِ ﴿يَجْزِى﴾، و﴿هُوَ جَازٍ﴾ صِفتُه؛ أي: في الدنيا[2].

---

(١) في (ف): «عبادة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤)، واستغربه.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؛ أي: السَّاعةَ.

وقيل: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾[1] منَ الثَّوابِ والعقابِ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: زينتُها وغَضارَتُها[2]، وقيل: آمالُـها.

وقيل: لا تشغلَنَّكم عن طاعةِ الله.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ الذي يدعوكُم إلى معصيةِ الله بأن يُرجِّيَكم التَّوبةَ والمغفرةَ، والمعنى: لا يُغفلنَّكم عن طاعةِ الله، تقولُ: (ما غرَّكَ به؟) و(ما أغفَلَك عنه؟) بمعنًى.

* * *

(٣٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في الوارثِ بنِ عمرِو بنِ حارثةَ بنِ مُحاربٍ، من أهلِ الباديةِ، أتى النَّبيَّ ﷺ فسألَه عن السَّاعةِ ووقتِها، وقال: إنَّ أرضَنا قد أجدَبَتْ فمتى ينزلُ الغيثُ؟ وتركتُ امرأتي حُبلى فماذا تلدُ؟ وقد علِمتُ أينَ وُلِدْتُ فبأيِّ أرضٍ أموتُ؟ وقد علِمتُ ما عمِلتُ اليومَ فما أعملُ غدًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[3].

---

(١) في (ف): «وقيل ما وعد».

(٢) الغضارة: سعة العيش ولينه وخصبه وبهجته. انظر: «تاج العروس» مادة: (غ ض ر) (١٣/ ٢٤٠).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وسمى الرجل: الوارث من بني مازن.

وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) دون عزو، واسم صاحب القصة عندهما كما هنا: الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب. =

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلَمُهنَّ إلا الله: لا يعلمُ متى تقومُ السّاعةُ إلّا الله، ولا يعلمُ ما تغيضُ الأرحامُ إلّا الله، ولا يعلمُ ما في غدٍ إلّا الله، ولا تعلمُ نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إلّا الله، ولا يعلمُ متى ينزلُ الغيثُ إلّا الله»(١).

قولُه: ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: علمُ قيامِ السّاعةِ.

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾؛ أي: ويعلمُ متى ينزلُ الغيثُ، وظاهرُ القرآنِ يدلُّ على أنَّ الله يُنزِّلُ الغيثَ، وليس فيه تعرُّضٌ لعلمِ وقتِ نزولِ الغيثِ، إلّا أن يُضمَرَ (أنْ)، فيصيرَ التَّقديرُ: علمُ السّاعةِ وإنزالِ الغيثِ(٢).

وكذلك قولُه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ يُضمَرُ (أنْ)، فيصيرُ التَّقديرُ: وعِلمُ ما في الأرحامِ منَ الذُّكورةِ والأُنوثةِ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: ما تعملُ في المُستقبلِ من خيرٍ أو شرٍّ.

= وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، واسم الرجل فيه: الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب.

وذكره الواحدي أيضاً في «البسيط» (١٨/ ١٢٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم الرجل في مطبوعه: الوارث بن عمرو المجازي. ولعله محرف عن: المحاربي.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٥) عن مجاهد ولم يسمه.

فهذا الخبر مع الاختلاف في اسم صاحب القصة لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(١) رواه البخاري (٧٣٧٩).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤): «قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ عطف على خبر ﴿إِنَّ﴾، الغريب: عطف على الساعة بإضمار (أنْ)، أي: علمُ الساعة وإنزالُ الغيث».

إنْ جعَلْتَ ﴿مَّاذَا﴾ في حكمِ كلمةٍ واحدةٍ فمحلُّه نصبٌ بـ﴿تَكۡسِبُ﴾، وإنْ جعلتَه كلمتَين فـ(ما) رفعٌ بالابتداءِ، و(ذا) خبرُه، والفعلُ صلتُه، والضَّميرُ مُقدَّرٌ.

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ في حضَرٍ أو سفرٍ، برٍّ أو بحرٍ.

وقيل: ﴿بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ من قَدَمٍ إلى قَدَمٍ؛ لأنَّ كلَّ قَدَمٍ تقعُ على أرضٍ غيرِ الأولى في المشيِ.

وقيل: ﴿بِأَيِّ أَرۡضٖ﴾: بأيِّ قَدَمٍ، والأرضُ: القدَمُ.

وقيل: في أيِّ خطوةٍ.

وقيل: بأيِّ قدمٍ منَ الشَّقاوةِ أو السَّعادةِ، حكاه النَّقَّاشُ(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بهذه الأشياءِ ﴿خَبِيرُۢ﴾ بها، فمَن ادَّعى علمَ شيءٍ من هذه الخمسةِ فهو كافرٌ بالله سبحانَه.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٤) دون نسبة، واستغربه.

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

سورةُ الم السَّجدة

ثلاثونَ آيةً[(١)]، مكِّيَّةٌ.

ويُقالُ لـها: تنزيلُ السَّجدة.

ويُقالُ لها: سورةُ الجُرُزِ[(٢)].

مكِّيَّةٌ إلّا خمسَ آياتٍ، من قولِه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾.

الكلبيُّ ومُقاتلٌ: إلّا ثلاثَ آياتٍ، من قولِه: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾[(٣)].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ - ٢) - ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ سبقَ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقديرُه: تنزيلُ

---

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧)، وفيه: «وهي عشرون وتسع آيات في البَصْري، وثلاثون آية في عدد الباقِينَ، اختلافها آيتان...».

(٢) لم أقف على تسميتها بسورة الجرز عند غير المصنف، وذكر كثير من المفسرين أن من أسمائها: سورة المضاجع؛ لوقوع لفظ المضاجع في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦].

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٥٢)، وذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧) عن ابن عباس وعطاء، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٤٧) أنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ الآية، وفيه: «وقال غير مقاتل: فيها ثلاث آيات مدنيات...».

الكتابِ من ربِّ العالمين، لا كما يزعمُ الكفَّارُ أنَّه من تقوُّلِ محمَّدٍ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكَّ فيه أنَّ الأمرَ كذلك.

وقيل: نفيٌ في معنى النَّهيِ؛ أي: لا ترتابوا فيه.

وقيل: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا كهانةَ ولا سحرَ ولا شعرَ فيه.

* * *

(٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل أيقولون ﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلَقَه محمَّدٌ، فتكونُ ﴿أَمْ﴾ هي المُنقطعةُ.

وقيل: هي المُتَّصلةُ، وتقديرُه: أيُصدِّقون أنَّه تنزيلٌ منَ الله أم يقولون افتراه؟

وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى الواوِ(١).

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لقولِهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾؛ أي: ليس كما زعمُوا، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ القرآنِ، وقيل: ضميرُ الكتابِ؛ أي: هو الحقُّ ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ لم يفترِه محمَّدٌ.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: أهلَ الفترةِ منَ العربِ، و﴿مَّا﴾ للنَّفيِ؛ أي: لم يأتِهم مُنذِرٌ قبْلَكَ؛ كقولِه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، والمعنى: لتُنذِرَ قومَكَ منَ العذابِ.

وقيل: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي، وهو بدَلٌ منَ القومِ، فيكونُ المعنى: أُنذِرَ آباؤُهم ولم يُنذَرْ هؤلاءِ، فهم غافلون، والوجهُ هو الأوَّلُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه، وقال: «وجميع حروف العطف قد تقوم مقام الواو».

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى الرَّشادِ بإنذارِكَ، ويرتدِعون عن كُفرِهم.

* * *

(٤) ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ سبقَ.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: سوى اللهِ ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولَّى أمرَكم ويقومُ بمصالحِكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ إنْ وافيتُموه كافرين.

وقيل: ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ ممَّا زعمتُم أنَّها لكم شفعاءُ.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتَّعِظونَ بمواعظِ الله.

* * *

(٥) ـ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ أي: أقامَ لذلك مُدبِّراتٍ كقولِه: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وهم: الملائكةُ في الأصحِّ.

وقيل: معنى ﴿يُدَبِّرُ﴾: يُوحي.

وقيل: يقضي؛ أي: يقضي ما يُريدُ أن يقضيَه[١] في السَّماءِ، فيكونُ ﴿مِنَ﴾ بمعنى: في، فينزلُ به المَلَكُ إلى الأرضِ، فيفعلُ ما أُمِرَ، ثمَّ يصعدُ إلى مكانِه مسيرةَ

---

(١) في (ف): «أن يقضيه».

خمسِ مئةِ سنةٍ نُزولًا، وخمسِ مئةِ سنةٍ صعودًا، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾؛ أي: من أيَّامِ الدُّنيا.

وقيل: مقدارُه ألفُ سنةٍ لو صعدَ فيها غيرُ المَلَكِ.

قيل[1]: الهاءُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ يرجعُ إلى الله سُبحانَه؛ أي: إلى حيثُ أمرَ الله، كقولِ إبراهيمَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]؛ أي: إلى حيثُ أمرَ ربِّي.

وقيل: يرجعُ إلى السَّماءِ، وجاز لأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ.

وقيل: يُدبِّرُ الله الأمرَ فيَظهرُ في اللَّوحِ المحفوظِ، فيَنزلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ إليه في ذلك اليومِ.

وقيل: يقضي قضاءَ ألفِ سنةٍ، فينزلُ به المَلَكُ، ثمَّ يعرُجُ لألفٍ آخرَ إذا مضى الألفُ.

وقيل: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعودُ إلى قولِه: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: مقدارُ كلِّ يومٍ ألفُ سنةٍ.

وقيل: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿يُدَبِّرُ﴾[2].

وقيل: ﴿كَانَ﴾ هاهنا زيادةٌ. ويحتملُ أن يكون بمعنى المستقبلِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

وقيل: كان مقدارُ العروجِ.

وقيل: ﴿يَعْرُجُ﴾ بمعنى: ينزِلُ.

---

(١) في (ن): «وقيل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٥)، واستغربه.

وقيل: ﴿يَعْرُجُ﴾ بمعنى: يَرْجعُ، وتقديرُه: يُدبِّرُ أمرَ الدُّنيا من أوَّلِـها إلى آخرِها، ثم يموتونَ ثمَّ يُبعَثون، ثمَّ يرجِعُ الأمرُ إليه.

وقيل: قولُه: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ كقولِ القائلِ: فلانٌ يملكُ منَ المشرقِ إلى المغربِ.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يعني: الشَّمسَ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ طُلوعًا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ غُروبًا، ثمَّ ترجعُ إلى موضعِها من حيثُ طلعَتْ.

قال: ومعنى ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ للسائرِ المُجِدِّ؛ لأنَّ مسيرَها منَ المشرقِ إلى المغربِ خمسُ مئةِ سنةٍ، ومثلُه: منَ المغربِ إلى المشرقِ[1].

وقولُه في الأخرى: ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] يأتي في موضعِه إنْ شاء الله.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا يجوزُ أن يكونَ كعادةِ العربِ في وصفِ اليومِ المكروهِ بالطُّولِ، واليومِ المحبوبِ بالقِصَرِ.

* * *

(٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: السِّرِّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: العَلَانِيَةِ.

وقيل: الغيبُ: الآخرةُ، والشَّهادةُ: الدُّنيا.

وقيل: الغيبُ: ما غابَ عن الخلقِ، والشَّهادةُ: ما ظهرَ لهم.

وقيل: الغيبُ: ما سيُوجَدُ، والشَّهادةُ: الموجودةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، وعده من العجائب.

والغيبُ: خَفاءُ الشَّيءِ عن الإدراكِ، والشَّهادةُ: ظهورُه للإدراكِ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ على أعدائِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على أوليائِه.

* * *

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ مَن سكَّنَه[1] فله وجوهٌ:

أحدُها: أنَّه بدلٌ من «كلَّ شيءٍ»، فيكونُ المعنى: الذي أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ.

وقيل: معناه: أتقَنَ.

وقيل: عَلِمَ، من قولِ العربِ: هو يُحسِنُ هذا؛ أي: يعلَمُ[2].

وقيل: ﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: أعطى، فيصير تقديرُه: أعطَى كلَّ شيءٍ حاجتَه ثمَّ هدى[3]، وقد سبقَ في (طه).

وقيل: ﴿خَلْقَهُ﴾ نصبٌ على المصدرِ؛ أي: خلَقَ كلَّ شيءٍ خَلْقًا.

ومَن قرأ: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بالفتحِ، فالتَّقديرُ: جميعُ مخلوقِ الله حَسَنٌ مُتقَنٌ.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ﴾: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِن طِينٍ﴾: من ترابٍ مُبْتَلٍّ بالماءِ.

* * *

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والباقون: ﴿خَلَقَه﴾ بالفتح وستأتي. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، وعده من العجائب.

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ ﴾: أولادَ آدمَ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ ﴾: من نُطفةٍ مُنتَزعةٍ كالفُضالةِ[1] ﴿مِّن مَّآءٍ ﴾ هو المَنِيُّ، وهو بدلٌ منَ (السُّلالةِ).

وقيل: معناه: سُلالةٍ سُلَّتْ من جملةِ ماءٍ[2].

﴿مَّهِينٍ ﴾: مُمْتَهَنٍ مُحتقَرٍ، (فعيلٌ) بمعنى: مفعولٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ يعني: الإنسانَ، وقيل: النَّسلَ؛ أي: خلقَه مُعتَدلًا في الشَّكلِ.

وقيل: مُعتَدلًا في الطَّبعِ.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ منَ الميِّتِ، والإضافةُ للتَّشريفِ؛ كبيتِ الله، وناقةِ الله.

وقيل: ﴿مِن رُّوحِهِۦ ﴾؛ أي: ريحِه التي يحيا بها الإنسانُ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ لتسمعوا وتُبصِروا وتعقِلوا وتعلموا[3].

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾؛ أي: تشكرون قليلًا، وقد سبقَ[4].

---

(١) «الفضالة» كالفضلة: البقية. انظر: «القاموس» مادة: (ف ض ل).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، واستغربه.

(٣) «وتعلموا» من (ف).

(٤) في تفسير الآية (١٠) من سورة (الأعراف)، وتقدم بتفصيل أوسع في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨].

(١٠) ـ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾: بَلِينا وهلَكَتْ أجسادُنا فيها، وصارَتْ ترابًا، وذهَبْنا عن أعيُنِ النَّاسِ كما يَضلُّ الماءُ في اللَّبنِ.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: نُحيَى كما كنَّا قبلَ موتِنا؛ أي: هذا عَجَبٌ مُنكَرٌ.

وقيل: ﴿ضَلَلۡنَا﴾: خَـمَدْنا فلم يُوجَدْ لنا لحمٌ ولا عظمٌ، قاله أبو عبيدةَ(١).

وقرئ بالصَّادِ(٢)، والمعنى: أَنْتنَّا.

﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: بالبعثِ والنُّشورِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحِدون.

وقيل: بسببِ إنكارِهم البعثَ كافرون.

***

(١١) ـ ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾: يُحصي آجالَكم، ويقبِضُ أرواحَكم، وهو من تَوْفِيَةِ العددِ؛ أي: يقبِضُ أرواحَ الكلِّ فلا يُنقِصُ أحدًا منكم.

وقيل: منَ الوفاءِ، ولا مُنافاةَ بين قوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨]، و﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، و﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، و﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [السجدة: ١١]؛ لأنَّ الملائكةَ رسلُ الله، وهم هاهنا أعوانُ ملَكِ الموتِ، وملَكُ

---

(١) انظر: «معجاز القرآن» (٢/ ١٣١).

(٢) قيدها بعضهم بفتح اللام وآخرون بكسرها، ونسبت لعلي وابن عباس والحسن وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣١)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٤٣٩)، و«البحر» (١٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

الموتِ يقبضُ بأمرِ الله، والدُّنيا بين يدَي ملكِ الموتِ كالطَّبَقِ يختارُ منها ما علِمَ أنَّه قد استوفى أجلَه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حَياءً وذُلًّا؛ أي: ينكُسونَ رؤوسَهم منَ الخزيِ.

﴿رَبَّنَآ﴾؛ أي: يقولون: ربَّنا ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾؛ أي: زالتِ الآنَ الشُّكوكُ في البعثِ والنُّشورِ فتيقَّنَّا.

وقيل: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ ما كنَّا لا نُصدِّقُ به.

وقيل: ﴿رَبَّنَآ﴾ لك الحجَّةُ علينا فقد ﴿أَبْصَرْنَا﴾ رسلَكَ ﴿وَسَمِعْنَا﴾ كلامَهم.

﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ لكنَّا نسألُ الرَّجعةَ، فارْجِعْنا إلى الدُّنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؛ أي: نعمَلْ على طاعتِكَ ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ.

وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ تقديرُه: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ في الدُّنيا ﴿هُدَىٰهَا﴾: ما يهتَدون به إلى النَّجاةِ.

وقيل: لأكرَهْناهم على الإيمانِ.

وقيل: ﴿هُدَىٰهَا﴾: الرَّجعةُ التي سألوها.

وقيل: ﴿هُدَىٰهَا﴾: طريقُ الجنَّةِ.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾: سبقَ وعيدي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: من كفَّارِ الجنِّ والإنسِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ تفسيرَ القولِ.

قال الحسنُ: لو آمنَ إلَّا واحدٌ لملأَها الله من ذلك الواحدِ[١].

* * *

(١٤) ـ ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَذُوقُواْ﴾؛ أي: العذابَ ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾؛ أي: تركتُم الإيمانَ به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تركناكُم فيها فلم ننظُرْ إليكم.

وقيل: جازَيناكُم على نسيانِكُم.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدّائمِ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ منَ الكفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: وُعِظُوا بها ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ خوفًا من عذابِ الله ولقائِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٦)، ولم أقف عليه عند غيره، وفي العبارة شيء، والله أعلم.

وقيل: ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: إذا دُعوا إلى الصَّلواتِ الخمسِ بالأذانِ أجابُوا.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: نزَّهُوا الله ويُثنون عليه بما يحمدونَه، فالباءُ للسَّببِ.

وقيل: حامدين، والباءُ للحالِ.

وقيل: إذا سجَدوا قالوا: سبحانَ الله وبحمدِه.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ به والسُّجودِ له، ولا يأنفون.

* * *

(١٦) - ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مالكُ بنُ دينارٍ: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه عن هذه الآيةِ: فيمَن نزلَتْ؟ فقال: كان أناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُصَلُّون من صلاةِ المغربِ إلى صلاةِ العشاءِ الآخرةِ، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ(١).

الحسنُ ومجاهدٌ: نزلَتْ في المُتهجِّدين(٢).

وقيل: فيمَن صلَّى العشاءَ الآخرةَ وصلاةَ الصُّبحِ في الجماعةِ(٣).

---

(١) رواه بإسناد صحيح أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٠).

(٢) رواه أبو داود عن الحسن عقب الحديث (١٣٢١) بلفظ: «قيام الليل». ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٢) عن مجاهد، وقد صح مرفوعًا عن النبيِّ عليه السلام تفسيرها بقيام العبد من الليل. رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٤)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٣) روى مسلم (٦٥٦) من حديث عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله».

ومعنى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾: ترتفعُ أضلاعُهم ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الفُرُشِ، ومواضعِ النَّومِ.

والمَضْجَعُ: موضعُ النَّومِ.

وقيل: عن النَّومِ، والمَضجَعُ: النَّومُ أيضًا، تقولُ إذا وضَعَ جنبَه: ضجَعَ ضَجْعًا وضُجوعًا.

والتَّجافي: التَّنحِّي إلى جهةِ الارتفاعِ.

وقيل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ لذكرِ الله بالدُّعاءِ، وهو قولُه:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾: للخوفِ وللطَّمعِ، فهو مفعولٌ له.

وقيل: حالٌ؛ أي: خائفينَ طامعينَ، كقولِه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقيل: مصدرٌ؛ أي: يخافون خَوفًا ويطمَعون طمعًا[١].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: يتصدَّقونَ، وقيل: يُزكُّونَ.

وقيل: يُنفِقون على عيالِهم.

* * *

(١٧) ـ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ يُريدُ: منَ الذين تتجافى جنوبُهم، وقيل: منَ المجاهدين[٢].

﴿مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: لا يعلمُ أحدٌ ما يُعطي الله عبادَه المؤمنين ممّا تقرُّ به عيونُهم منَ السُّرورِ والنِّعمِ؛ لأنَّه لا نهايةَ له ولا انقطاعَ، ومثلُه قولُه ﷺ حكايةً عن الله سبحانَه: «أعدَدْتُ لعباديَ الصَّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعَتْ، ولا

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه.

(٢) كذا في النسختين، ولم أقف عليه.

خطرَ على قلبِ بشرٍ، بَلْهَ ما أَطْلَعْتُهم عليه»، ثمَّ قال: «اقرَؤُوا إنْ شئتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»[1].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ ذكرُ بيانِ شيءٍ مما أعدَّ لهم، وذلك بعيدٌ؛ لأنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ».

﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: للجزاءِ على أعمالِـهم في الدُّنيا.

قولُه: ﴿مَّآ أُخْفِيَ﴾ ﴿مَّآ﴾ بمعنى: أيّ شيءٍ، ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ فيمَن قرأ: ﴿أُخْفِيَ﴾ بفتح الياء، ونصبٌ فيمَن قرأ: ﴿أُخْفِيْ﴾ بسكونِ الياءِ[2]، و﴿تَعْلَمُ﴾ مُعلَّقٌ.

وقيل: ﴿مَّآ﴾ بمعنى: الذي، فيكونُ العلمُ بمعنى المعرفةِ[3]، أو يكونُ المفعولُ الثّاني مُقدَّرًا[4]، والوجهُ هو الأوَّلُ.

* * *

(١٨) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال الوليدُ بنُ عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: أنا أحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لِسانًا، وأملأُ منك للكتيبةِ[5]، فقال له عليٌّ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزة: (أخفيْ) بسكون الياء، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) فينصب ﴿مَّآ﴾ على أنها مفعول به، ولا يحتاج على هذا القول إلى مفعول ثانٍ.

(٤) وتكون ﴿تَعْلَمُ﴾ على أصل معناها، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه.

(٥) في (ف): «وأملأ للكتيبة منك».

رضي الله عنه: اسكُتْ؛ فإنَّما أنتَ فاسقٌ، فنزلَتْ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾[1] يعني: عليًّا ﴿ كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ يعني: الوليدَ بنَ عُقبةَ.

ثمَّ قال: ﴿لَّا يَسْتَوُونَ ﴾؛ لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ[2].

وجُمِعَ لاطِّرادِ الحكمِ فيه، ولأنَّه غيرُ مصمودٍ بهما[3]، ودخلَ ﴿كَانَ﴾ لأنَّه يَحْكي حالَ القيامةِ؛ أي: أفمَن كان بهذه الصِّفةِ في الدُّنيا.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ يأوون إليها في الآخرةِ، ولا ينتقِلون عنها ﴿نُزُلًۢا﴾: منزلًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وهذا إسناد ساقط.
ورواه الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ١٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وهو ضعيف.
وأورده عن ابن عباس أيضاً السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، عن عطاء بن يسار مرسلاً.

(٢) في (ف): «العقبى».

(٣) أي: لم يُنصب هذا الحكم لعلي رضي الله عنه وعقبة دون غيرهما، والظاهر أنه يجب أن يقال: غير مصمود لهما؛ فقد قال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٢): «وإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبا مذهب الجمع، تقول في الكلام: ما جعل الله المسلم كالكافر فلا تسوينَّ بينهم أو بينهما، وكلٌّ صواب»

الحسنُ وعطاءٌ: هو ما يُعَدُّ للنّازلِ[١].

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ قال الحسنُ: يرفعُهم لهبُ جهنَّم حتَّى يصيروا في أعلاها وكادَ يقذِفُهم، فيضربُهم الزَّبانيةُ فيرجِعوا في أسفلِها[٢].

قال القفَّالُ: ليس أنَّهم يقصِدون ولا يطمَعون، ولكنْ هو كما تقولُ: كلَّما أرادَ الحائطُ أن يقعَ دعَمْتُه.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ وتقولون: لا جنَّةَ ولا نارَ.

* * *

(٢١) - ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾؛ أي: قبلَ العذابِ الأكبرِ.

والعذابُ الأدنى؛ قيل: القتلُ والسَّبْيُ.

وقيل: الجَدْبُ والقَحْطُ.

وقيل: المصائبُ والأمراضُ.

وقيل: الحدودُ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ دون نسبة الراغب في «المفردات» مادة: (ن ز ل) (ص: ٨٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٢)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٤٧١) عن الحسن بلفظ: «عطاء نزوله».

(٢) رواه نعيم في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٩) من طريق رجل عن الحسن، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٢٧).

وقيل: عذابُ القبرِ[١]، وهو ضعيفٌ في هذه الآيةِ؛ لقولِه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ فإنَّ الرُّجوعَ بعد الموتِ إلى الإيمانِ غيرُ مقبولٍ.

وقيل: يومُ بدرٍ.

والعذابُ الأكبرُ: النَّارُ.

وقيل: العذابُ الأدنى: غلاءُ الأسعارِ، والعذابُ الأكبرِ: خروجُ المهديِّ بالسَّيفِ، حكاه النَّقَّاشُ وغيرُه[٢].

الحسنُ: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: الشَّدائدِ ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: الاستِئصالِ؛ فإنَّه لا يكونُ في هذه الأمَّةِ[٣].

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعلَّ مَن بقيَ ولـم يُقتَلْ ﴿يَرْجِعُونَ﴾.

وقيل: لعلَّ المُعذَّبين بالعذابِ الأدنى سوى القتلِ يرجعون فيتوبونَ.

***

(٢٢) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتدبَّرْ فيها ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: لا ندعُ الانتقامَ ممَّن أشركَ بالله تمييزًا بين المُطيعِ والعاصي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٧)، واستغربه. ولم أقف على تفسير ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ بالاستئصال عن الحسن ولا عن غيره، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٩ و٦٣٣) من طريق قتادة عن الحسن: «﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: مصيبات الدنيا ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم القيامة».
ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٨) بلفظ: «﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: عقوبات الدنيا».

(٢٣) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التَّوراةَ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾؛ اختلفَ المُفسِّرون فيه:

فقيل: من لقاءِ موسى عليه السَّلامُ الكتابَ، وهذا ظاهرٌ.

وقيل: من لقائِكَ موسى ليلةَ الإسراءِ؛ فإنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ «رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي موسى بنَ عمرانَ رجلًا آدمَ طُوالًا جَعْدًا، كأنَّه من رجالِ شنوءةَ، ورأيتُ عيسى بنَ مريمَ رجلًا مربوعَ الخلقِ إلى الحمرةِ والبياضِ، سَبْطَ الرَّأسِ»(١).

وقيل: من لقاءِ موسى إيَّاك.

وقيل: تقديرُه: آتينا موسى الكتابَ فلقِيَ من قومِه شدائدَ، فلا تكُنْ في شكٍّ من لقاءِ مثلِه من قومِكَ(٢).

وقيل: من لقاءِ موسى ربَّه، حكاه النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»، وهذا مع قولِه: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] بعيدٌ؛ لإجماعِ المُفسِّرين على أنَّ المعنى: لن تراني في الدُّنيا، ولعلَّ النَّقَّاشَ أرادَ: فلا تكُنْ في مريةٍ من لقاءِ موسى ربَّه في الآخرةِ؛ أي: سيلقاه.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: هذا اعتراضٌ، وهو يرجعُ إلى أوائلِ السُّورةِ، وتقديرُه: ولقد آتينا موسى الكتابَ وجعلناه هدًى، وقولُه: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ مُتَّصلٌ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه.

بقولِه: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي: فلا تكُنْ أنتَ في مريةٍ من لقائِه[١].

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعنى: الكتابَ، وقيل: موسى.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾: هم علماؤُهم، وقيل: أنبياؤُهم.

﴿يَهْدُونَ﴾: يدلُّونَهم على الطَّريقِ المستقيمِ.

﴿بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: بأمرِنا إيّاهم بذلك.

وقيل: ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بدِينِنا.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: حين صبَروا على الطَّاعةِ وعن المعصيةِ.

وقُرِئَ: ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾[٢]؛ أي: لصبرِهم.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التَّوراةِ، وقيل: بالآياتِ التِّسعِ.

﴿يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونَها علمًا لا يُخالجُه شكٌّ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: يحكمُ بين الأنبياءِ وأُممِهم فيما اختلَفُوا.

وقيل: يفصلُ بين المؤمنين والمُشركين، فيُظهِرُ المُحِقَّ منَ المُبطِلِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

وقيل: ﴿يَفْصِلُ﴾: يُفرِّقُ بين الكافرين والمؤمنين بالمنازلِ؛ فالمؤمنون في الجنَّةِ، والكافرون في النَّارِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ فاعلُ ﴿يَهْدِ﴾ مُقدَّرٌ؛ أي: أوَلَـم يهدِ إهلاكُنا القرونَ الماضيةَ الذين يمشون هؤلاءِ[1] في مساكنِهم، والمعنى: لِـمَ لايعتبروا بإهلاكِهم، وهم يمشون في ديارِهم، ويرَون ما حلَّ بهم بسببِ كفرِهم؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لدلالاتٍ ومواعظَ وزواجرَ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يُوعَظون فيرتدِعوا؟

و﴿كَمْ﴾ في الآيةِ لا يجوزُ أن يكونَ فاعلَ ﴿يَهْدِ﴾ ولا مفعولَه؛ لأنَّ ﴿كَمْ﴾ للاستفهامِ، والاستفهامُ لا يعملُ فيه ما قبلَه، بل يعملُ فيه ما بعدَه، ومحلُّه في الآيةِ نصبٌ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ويحتمِلُ أن يكونَ ﴿يَهْدِ﴾ بمعنى: يُعلِمُ، ويُدري، ويُري، فيكونُ الفاعلُ مُضمَرًا يعودُ إلى الله، كقراءةِ مَن قرأ (نَهْدِ) بالنُّونِ[2]، ثمَّ يكونُ مُعلَّقًا.

واللامُ في ﴿لَهُمْ﴾ زيادةٌ.

---

(١) كذا في النسختين، والمراد: يمشي هؤلاء.

(٢) نسبت لعلي وابن عباس والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩). وهي رواية أبي عبد الرحمن السلمي وقتادة وأبي زيد عن يعقوب كما في «تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٠).
وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٨)، واستغربه، وفيه: «الغريب: فاعله (الله) بدليل قراءة يعقوب: (نَهدِ) بالنون، و(كم) نصب بـ(أهلكنا) ولا ترتفع بالفعل ألبتة؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله». وقال قبله: «فاعل ﴿يَهْدِ﴾: أهلكنا، ودل عليه فعله». كذا وقع، ولعله: (إهلاكُنا).

(٢٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ الماءُ: ماءُ المطرِ.

وقيل: ماءُ الأنهارِ.

والأرضُ الجرُزُ: اليابسةُ التي لا نباتَ بها، من قولِـهم: رجلٌ جَروزٌ: يأكلُ كلَّ شيءٍ، وسيفٌ جُرازٌ: يقطعُ كلَّ شيءٍ.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بالماءِ، ويحتمِلُ: بالمكانِ[١].

﴿زَرْعًا ﴾: نباتًا، وقيل: نباتًا وأشجارًا.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ التِّبْنَ، والورقَ، والحشيشَ.

﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ الحبَّ والتَّمرَ، وحُرَّ البقلِ.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ بأعيُنِهم، فيستدلُّوا به على قُدرتِه على إحياءِ الموتى.

وقيل: الأرضُ الجرُزُ: اسمُ موضعٍ بعينِه.

وقيل: هي اليمنُ.

وقيل: هي ما لا يصلُ إليه ماءُ النَّهرِ، فيسوقُ الله إليه المطرَ.

وقيل: لا يكفيه المطرُ، فيسوقُ الله إليه السَّيلَ.

ويحتمِلُ: أنَّها التي انقطعَ نباتُها في الشِّتاءِ، فإذا أصابَها مطرُ الرَّبيعِ نبتَ.

* * *

---

(١) في (ف): «المكان».

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ الفرَّاءُ: فتحُ مكّةَ[1]؛ وذلك أنَّ المؤمنين كانوا يَعِدُونَ المُشركين ذلك، فقالوا استهزاءً: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ﴾ فأنزلَ الله:

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ في أكثرِ التَّفاسيرِ: أنَّها نزلَتْ في قومٍ قتلَهم خالدُ بنُ الوليدِ يومَ فتحِ مكّةَ[2]، فيكون خاصًّا في ذلك القومِ؛ لأنَّ أكثرَ أهلِ مكّةَ آمنوا فنفعَهم إيمانُهم.

وقيل: المرادُ بالفتحِ: الفَصْلُ والقضاءُ يومَ القيامةِ؛ لأنَّهم كانوا يستهزِئونَ بذكرِه، ويُنكِرونَه فأنزَلَ الله: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ لأنَّهم مُضطرُّون فلا يستحِقُّونَ به ثوابًا.

الزَّجَّاجُ: أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا: يوشكُ أن يكونَ لنا يومٌ نستريحُ فيه،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٣).

(٢) ذكر المفسرون قصة مفادها: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة تحصَّن بنو جَذِيمة على أعلى جبل، فأرسل إليهم خالد بن الوليد يستنزلهم، فقالوا: قد أسلمنا، قال: فانزلوا إن أسلمتم، فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم؛ لأنهم كانوا قتلوا عوفًا أبا عبد الرحمن بن عوف وجدًّا لِخالد قبل ذَلِكَ. وليس في هذا شيء يصح، وخالد رضي الله عنه منزه عن أن يقتل قوماً بعد أن أعلنوا إسلامهم، أو يتعامل بإحن الجاهلية بعد إذ أكرمه الله بالإسلام، ويرده أيضاً ما رواه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى بني جَذِيمةَ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنوا أنْ يَقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجَعَل خالدٌ يَقتلُ منهم ويأسِرُ...» الحديث. فهم قالوا: صبأنا، ولم يقولوا: أسلمنا، فقتلوا؛ لأن ما أشهروه هو الكفر في الظاهر، لا الإسلام كما في ذاك الخبر.

فقال المُشركون: متى هذا الفتحُ؟ فأعلَمَ الله أنَّ الراحةَ في الجنَّةِ في الآخرةِ[١].

* * *

(٣٠) ـ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: عن مُشركي قريشٍ بمكّةَ.

والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ في (براءة)[٢].

وقيل: معناه: تَغافَلْ عن قولِهم: متى هذا الفتحُ؟

وقيل: أعرِضْ عنهم بالهجرةِ.

﴿وَانتَظِرْ﴾ أمرَنا بالجهادِ.

وقيل: ﴿انتظر﴾ نصرَنا.

وقيل: ﴿انتظر﴾ هلاكَهم.

وقيل: ﴿انتظر﴾ الفرصةَ فيهم.

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ الفرصةَ فيك.

وقيل: ﴿مُّنتَظِرُونَ ﴾ الموتَ.

وقيل: ﴿مُّنتَظِرُونَ ﴾ موتَكَ.

وقيل: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ لأنَّ الفتحَ مُتيقَّنٌ، فيقعُ بهم وقوعَ المُنتظِرِ. والله أعلَمُ.

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٢).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن قتادة، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٢٢) عن ابن عباس.

سُورَةُ الأَحزَابِ

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ثلاثٌ وسبعونَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ بالإجماعِ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أبي سفيانَ، وعِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وأبي الأعورِ السُّلَميِّ، قدِموا المدينةَ بعد قتالِ أُحُدٍ فنزلوا على عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، وقد أعطاهم النَّبيُّ ﷺ الأمانَ على أن يُكلِّموه، فقامَ معهم عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وطُعمةُ بنُ أُبيرِقٍ، فقالوا للنَّبيِّ ﷺ وعنده عمرُ ابنُ الخطَّابِ: ارفُضْ ذكرَ آلهتِنا اللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ، وقُل: إنَّ لها شفاعةً وشُفعَةً لمَن عبدَها، ونَدَعُكَ وربَّك.

وشقَّ على النَّبيِّ ﷺ قولُهم، فقال عمرُ رضي الله عنه: ائذَنْ لنا يا رسولَ الله في قتلِهم، فقال: «إنِّي أعطيتُهم الأمانَ»، فقال عمرُ رضي الله عنه: اخرُجوا في لعنةِ الله وغضبِه. وأُمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُخرِجَهم منَ المدينةِ، وأنزلَ الله هذه الآيةَ[2].

---

(١) «ثلاث وسبعون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٤)، والماتريدي =

والمعنى: اتَّقِ الله في نَقضِ العهدِ.

الزَّجَّاجُ: اثبُتْ على تقوى الله ودُمْ عليها[1].

وقيل: معناه: اتَّقِ الله وحدَه.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ والمُرادُ به أمَّتُه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالجمعِ.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من أهلِ مكّةَ ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهلِ المدينةِ، فيما يسألونَك منَ الرِّفقِ بهم، ولا في غيرِه.

وقيل: ولا تُطِعهم في إبعادِ الفقراءِ عنك ليُجالسوك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكونُ قبل كونِه ﴿حَكِيمًا﴾ بخَلْقِه قبل خَلْقِه.

* * *

(٢) ـ ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: أمْرَه؛ ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، ونهيَه؛ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقيل: واتَّبعْ أحكامَ الله التي يُوحيها إليك دون أحكامِ الجاهليَّةِ منَ الظِّهارِ والتَّبنِّي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾: لم يزَلْ عالمًا بأعمالِهم وأعمالِكم.

= في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥١). وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٢): «هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣).

(٣) ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه، ولا تخَفِ الكفَّارَ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾: حسبُكَ بالله قائمًا بأمورِكَ.

* * *

(٤) ـ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في جميلِ ابنِ مَعْمَرٍ الفِهريِّ، وكان رجلًا لبيبًا، حافظًا لِـمَا يَسمعُ، فقالت قُريشٌ: ما حفِظَ هذه الأشياءَ إلَّا وله قلبانِ، وكان يقولُ: إنَّ لي قلبَين؛ أعقِلُ بكلٍّ واحدٍ منهما أفضلَ من عقلِ محمَّدٍ.

فلمَّا كان يومُ بدرٍ وهُزِمَ المُشركون وفيهم جميلُ بنُ مَعْمَرٍ تلقَّاه أبو سفيانَ وهو مُعلِّقٌ إحدَى نعلَيه بيدِه والأخرى في رجلِه، فقال: يا مَعْمَرُ ما حالُ النّاسِ؟ قال: انهزَمُوا. قال: فما بالُكَ إحدَى نعلَيكَ في يدِكَ والأُخرَى في رِجلِك؟ فقال: ما شعرتُ إلا أنَّهما في رِجلي، فعرفوا يومئذٍ أنَّه لو كان له قلبانِ لَـمَا نسيَ نعلَه في يدِه(١).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، وهو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، وهو من مسلمة الفتح. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٧)، و«أسد الغابة» (١/ ٤٣٣)، و«الإصابة» (١/ ٥٠٠).

قال الزَّجَّاجُ: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّى فسَهَا كما يسهو الرَّجلُ في صلاتِه، وخطرَتْ على بالِه كلمةٌ، فقال المُنافقون: إنَّ له قلبَين؛ قلبًا معكم، وقلبًا مع أصحابِه(١).

قال الزَّجّاجُ: وجاء في التَّفسيرِ أيضًا: أنَّ عبدَ الله بنَ خَطَلٍ كانت تُسمِّيه قُريشٌ ذا القلبَين، ثمَّ ذَكَرَ عنه ما ذُكِرَ عن جميلِ بنِ مَعْمَرٍ(٢).

وقيل: جميلُ بنُ أسدٍ(٣).

وقيل: الحارثُ بنُ فِهْرٍ.

وقيل: مَعْمَرُ بنُ أسدٍ.

وقيل: هذا تكذيبٌ للمُنافقين في قولِهم للمُؤمنين: آمنّا بالله ونحنُ معكم، ثمَّ إذا خلَوا إلى شياطينِهم قالوا: إنّا معكم؛ أي: لا يجتمعُ قلبانِ؛ قلبٌ مؤمنٌ وقلبٌ كافرٌ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣)، والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩) وحسنه، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٥)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٥٣٩ - ٥٤٢)، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معهم - وعند ابن خزيمة: وقلباً مع أصحابه - فأنزل الله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «قابوس ضعيف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٣).

(٣) رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٠٥) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

الحسنُ: كان رجلٌ يقولُ: لي نفسٌ تأمُرُني، ونفسٌ تنهاني، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

وذهب جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا نهيٌ عن التَّبنِّي، وتسميةِ زيدٍ ابنَ رسولِ الله ﷺ؛ فإنَّ المولودَ إذا استقرَّتِ النُّطفةُ في الرَّحمِ صارَ له قلبٌ، فلا يجوزُ أن يصيرَ له قلبٌ آخرُ بالنُّطفةِ الدّاخلةِ عليه بالوطءِ الثَّاني، فإذا لم يجُزْ ذلك فهو كصاحبِ[٢] القلبِ، فلا يكونُ لرجلٍ واحدٍ قلبانِ ولا أبوانِ ولا أُمَّانِ، فانتظَمَتِ الآيةُ على هذه الثَّلاثةِ، وهو قولُه: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ حكاه القفَّالُ، وقال: حكى الشَّافعيُّ رحمه الله هذا التَّأويلَ عن بعضِ المُفسِّرين، وهو قولُ الزُّهريِّ ومُقاتلِ بنِ حيَّانَ[٣].

وقيل: مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ فإنَّ طاعتَهما لا تجتمِعُ مع الإيمانِ في قلبٍ واحدٍ، كما تقولُ: سيفانِ لا يجتمعانِ في غِمْدٍ واحدٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧).

(٢) في (ف): «لصاحب».

(٣) انظر: «تفسير الشافعي» (٣/ ١١٨٢)، و«أحكام القرآن للشافعي» جمع البيهقي (٢/ ١٥٦)، وفيه: «عن الشافعي أنه قال: زعم بعض أهل التفسير: أن قول الله جل ثناؤه: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾: ما جعل لرجل من أبوين في الإسلام. قال الشافعي: واستدل بسياق الآية: قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ قال الشيخ (يعني: البيهقي): قد روينا هذا عن مقاتل بن حيان وروي عن الزهري».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩) عن الزهري بلفظ: «بلغنا أنه كان في شأن زيد بن حارثة، ضرب له مثلًا، يقول: ليس ابنُ رجل آخر ابنَك»، لكن قال النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٣١٩): «قول ضعيف لا يصح في اللغة، وهو من منقطعات الزهري»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، وعده من العجائب.

وقيل: أعلَمَ اللهُ بذلك أنَّ النّاسَ سواءٌ فيما تُعلَمُ به الأشياءُ، وأنَّ الله لـم يجعَلْ لأحدٍ قلبًا يَعلَمُ به البواطنَ والغُيوبَ وحرَمَه آخرَ، بل جعلَ لكلٍّ واحدٍ قلبًا واحدًا، فهم في الاستدلالِ والمعرفةِ سواءٌ؛ ليُكذِّبوا مَن ادَّعى الغُيوبَ وعِلمَ الغيبِ منَ السَّحرةِ والكَهَنةِ وغيرِهم.

وقيل: هذا ردٌّ على مَن قال: إنَّ لمُحمَّدٍ قلبَين، فلهذا علِمَ ما لـم يعلَمْه غيرُه؛ يقصِدون بهذا الكلامِ تشكيكَ الضَّعفةِ في نُبوَّتِه، ويُوهِمُونَهم أنَّه إنَّما أتى بما عجزَ عنه غيرُه لأنَّ له قلبَين، فكذَّبَهم الله وقال: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾، وهو داخلُه الذي يكونُ فيه القلبُ ونحوُه منَ الأحشاءِ[1].

ودخلَ ﴿مِّن﴾ لعمومِ النَّفي.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ نزلَتْ في أوسِ بنِ الصَّامتِ وامرأتِه خولةَ بنتِ ثعلبةَ، وسيأتي في سورةِ (المُجادلةِ) إن شاءَ الله.

وكان من طلاقِ الجاهليَّةِ أن يقولَ الرَّجلُ لامرأتِه: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فرَدَّ الله ذلك، وأوجبَ الكفَّارةَ على مَن قال ذلك، والمرأةُ زوجتُه كما كانت.

و﴿اللَّائِي﴾ فيها ثلاثُ لغاتٍ؛ بياءٍ بعد الهمزةِ، وبالهمزةِ وحدَها، وبتليينِ الهمزةِ[2]، قال الشّاعرُ[3]:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٠٩)، واستغربه.

(٢) قرأ قالون وقنبل بالهمز من غير ياء، وورش بياء مختلسة بدلًا من الهمزة وإذا وقف صيرها ياء ساكنة، والبزي وأبو عمرو بياء ساكنة بدلاً من الهمزة في الحالين، والباقون بالهمز وياء بعدها في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٣) «الشاعر»: ليس في (ف).

مـنَ اللّاءِ لـم يحْجُجْنَ يبغيـنَ حِسْبةً   ولـكـنْ ليَقْـتُلْنَ البـريءَ المُغَفَّلا[(١)]

وفـي الظِّهـارِ لغاتٌ: ظاهَـرَ، وتظاهَـرَ، وتظَهَّـرَ[(٢)]، واشـتِقاقُه مـنَ (الظَّهْرِ) في قولِـهم: أنـتِ عليَّ كظَهْرِ أمِّي.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ جمعُ دَعِيٍّ، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، وكانت العربُ في الجاهليّةِ إذا رأى واحدٌ منهم فتًى أديبًا شُجاعًا ذا كفايةٍ ادَّعاه ابنًا فنُسِبَ إليه، وإذا ماتَ ورِثَه أسوةً بسائرِ أولادِه، فنهى الله عن ذلك.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في زيدِ بنِ الحارثةِ، وكان من بطنٍ من كنانةَ، سُبِيَ في صِغَرِه فصارَ عبدًا لخديجةَ رضي الله عنها، فوهبَتْه لرسولِ الله ﷺ فصارَ عبدًا لرسولِ الله ﷺ، فأعتَقَه وتبنَّاه قبل الوحيِ، فلمَّا تزوَّجَ النَّبيُّ ﷺ زينبَ بنتَ جحشٍ وكانت تحتَ زيدٍ، قال المنافقون: تزوَّجَ محمَّدٌ امرأةَ ابنِه وهو ينهَى النَّاسَ عنها، فأنزَلَ اللهُ هذه الآياتِ[(٣)].

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في «مجاز القرآن» (١/ ١٢٠).
ولهذيل الأشجعي كما في «الممتع في صناعة الشعر» (ص: ٣٣٥).
وللحارث بن ربيعة كما في «ربيع الأبرار» (٢/ ٢٩٨).
وللعرجي ـ وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ كما في «التمهيد» لابن عبد البر (٢٠/ ٢٢٧)، وهو في «ديوان العرجي» (ص: ٧٤).
وتمثلت به عائشة بنت طلحة كما في «العقد الفريد» (٧/ ١١٨).

(٢) قرأ عاصم: ﴿تظاهرون﴾ بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء، وابن عامر بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها، وحمزة والكسائي كذلك إلا أنهما يخففان الظاء، والباقون بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٤٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٢).

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: لا حقيقةَ له كما يقولُ النَّائمُ والهاذي، يوجدُ على الفمِ ولا حقيقةَ له؛ لأنَّ الابنَ يكونُ بالولادةِ، وكذلك الأمُّ لا تكونُ إلّا بالولادةِ.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: اللهُ يقولُ ما يجبُ أن يُقالَ.

وقيل: معناه: ما يقولُه الله في هذا وغيرِه هو الحقُّ الواجبُ الذي مَن عدَلَ عنه كان مُبطِلًا.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: الطَّريقَ المُؤدِّي إلى الفلاحِ.

***

(٥) ـ ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾: انسُبوهم إلى آبائِهم.

في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: أنَّه كان يقولُ: ما كنَّا ندعو زيدَ بنَ حارثةَ إلا زيدَ بنَ محمَّدٍ، حتَّى نزلَ في القرآنِ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾(١).

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أصدَقُ في القولِ وأعدَلُ، منَ (القِسْطِ) ـ وهو العدلُ ـ مصدرُ فِعلٍ لا يُستعملُ إلَّا بزيادةِ الألفِ، ولفظُ التَّفضيلِ فيه كقولِه: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤](٢).

وصار هذا ناسخًا لِمَا كانوا عليه منَ التَّبنِّي.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢) فيقال: أحسن إقساطاً، من الفعل (أقسط) بمعنى: عدل، أما الفعل (قسط) بمعنى: عدل، فهو غير مستعمل في رأي المصنف، وقد تقدم كلام للمصنف على هذا والتعليق عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانُكم في الدِّينِ.

﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾؛ أي: وبنو الأعمامِ؛ فإنَّ للدِّينِ لُحمةً كلُحْمةِ النَّسبِ.

وقيل: ﴿مواليكم﴾ إذا كانوا مُعْتَقِين.

وقيل: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ في الدِّينِ، فسمُّوهم بأسماءِ العربِ؛ عبدِ الله، وعبدِ الرَّحمنِ؛ أي: مَن كان له أبٌ نُسِبَ إلى أبيه، ومَن لـم يكُنْ له أبٌ نُسِبَ إلى مواليه، ومَن فقدَهما نُسِبَ إلى عُبودةِ الله وأديانِهم وصناعاتِهم.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: سهَوْتُم فنَسبْتُم إلى غيرِ أبيه.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ المُرادُ: لاجُناحَ عليك أن تقولَ له: يا بُنيَّ[1].

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ أي: ولكنَّ الجُناحَ عليكم فيما تعمَّدَتْ قلوبُكم، فقصدتُم النِّسبةَ إلى غيرِ الأبِ وخالَفْتُم أمرَ الله.

وقيل: ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قبل النَّهيِ، و﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النَّهيِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمُخطئِ ﴿رَّحِيمًا﴾ في رُخصتِه.

* * *

(٦) ـ ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معنـى ﴿أَوْلَىٰ﴾: أحـقُّ؛ أي: حُكمُـه أنفـذُ عليهـم مـن حُكمِهـم على أنفُسِـهم.

وقيل: أحقُّ بتدبير المؤمنين في أمور دَيْنِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٥).

وقيل: أولى بهم من بعضِهم لبعضٍ، كقولِه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: بعضِكم على بعضٍ.

وذكر النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: أنَّ سببَ نزولِ هذه الآية أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا أرادَ غزوةَ تبوكَ وأمرَ النَّاسَ بالخروجِ قال قومٌ: نستأذنُ آباءَنا وأمَّهاتِنا، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ[١].

قال القفَّالُ رحمه الله: للآيةِ وجهٌ آخرُ، وهو: ما روى مَعمرٌ عن الزُّهريِّ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه في قولِه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ: «أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه، فأيُّما رجلٍ ماتَ وتركَ دَينًا فإليَّ، وإنْ تركَ مالًا فهو لورثتِه»[٢].

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾؛ أي: مُنَزَّلاتٌ منزلةَ الأمَّهاتِ في التَّحريمِ والحُرْمَةِ، وليس يريد في الإرثِ ولزومِ النَّفقةِ.

واختلفوا فيمَن طلَّقَها النَّبيُّ ﷺ في حياتِه.

وفي بعضِ المصاحفِ: (وهو لهم أبٌ)[٣].

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه مرَّ بغلامٍ وهو يقرأُ: (وهو لهم أبٌ) فقال للغلامِ: حُكَّه منَ المُصحفِ، قال: هذا مصحفُ أُبيٍّ، فقال: ما هذا يا أُبيُّ؟ قال: كنتُ أشدَّ اشتغالًا منك بالقرآنِ[٤].

وكذلك قرأ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[٥].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٣٩٩)، ومسلم (١٦١٩)، وليس عند مسلم ذكر الآية.

(٣) رويت عن أبي وابن عباس رضي الله عنهم كما سيأتي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٧)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٠٨).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤٢٠)، وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله «بل طلحة ساقط».

وذكرتِ الأئمّةُ أنَّ سورةَ (الأحزابِ) كانت تُعادِلُ سورةَ (البقرةِ)، وفيها آيةُ الرَّجمِ[١].

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: وذَوو القراباتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾؛ أي: في التَّوارُثِ، وكانوا يتوارَثون بالهجرةِ والإسلامِ والحِلْفِ والمُؤاخاةِ، من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فنُسِخَ ذلك بهذه الآيةِ، وقد سبق[٢].

وقولُه: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يريدُ[٣] آيةَ المواريثِ.

وقيل: في حكمِ الله.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ المُؤمنون في هذه الآيةِ الأنصارُ؛ وكانت المُؤاخاةُ بين المُهاجرين والأنصارِ، فتكونُ ﴿مِنَ﴾ للتَّفضيلِ[٤].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: وأولو الأرحامِ منَ المُؤمنين والمُهاجرين بعضُهم أولى ببعضٍ ممَّن لم يُؤمِنْ ولم يُهاجِرْ، فتكونُ ﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ[٥]. وقيل: صلةٌ[٦].

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ في حياتِكم، أو وصيَّةً بالثُّلثِ.

وذهبَ الحسنُ إلى أنَّ هذا في النَّسبِ وإنْ كان من أهلِ الشِّركِ جوَّزَ أن يوصيَ لهم[٧]، وزيَّفَه أكثرُ المُفسِّرين.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٢٠)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢١٢٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧١١٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قوله.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن سلام (ص: ٢٢٤)، وللنحاس (ص: ٣٣٣ و٤٧٤).

(٣) في (ف): «يعني».

(٤) يعني أنها متصلة باسم التفضيل ﴿أَوْلَىٰ﴾.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، وعده من العجائب.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٨) بلفظ: «إلا أن يكون لك ذو قرابة ليس على دينك فتوصي =

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في القرآنِ.

وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في التَّوراةِ.

﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوبًا؛ لأنَّ في التوراةِ: إذا نزلَ رجلٌ بقومٍ من أهلِ دينِه فعليهم أن يُكرِموه ويُواسوه، وميراثُه لذَوي قرابتِه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ القفَّالُ: مسطورًا حينَ أخَذْنا(١).

الزَّجَّاجُ: واذكُرْ إذ أخَذْنا منَ النَّبيِّين(٢).

﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾: عُهودَهم على تبليغِ الرِّسالةِ، والوفاءِ بها، وتصديقِ بعضِهم بعضًا، وتبشيرِ بعضِهم ببعضٍ.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قَدَّمَ نبيَّنا تعظيمًا وتبجيلًا.

وقيل: لأنَّ الواوَ لا يوجبُ ترتيبًا، ولأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كنتُ أوَّلَهم في الخَلْقِ وآخِرَهم في البعثِ»(٣).

= له بالشيء من مالك، فهو وليك في النسب، وليس وليك في الدين».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٣) عن قتادة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١١٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٢)، وتمام في «فوائده» (١٠٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله =

وقيل: خصَّهُما بالذِّكرِ لأنَّ نوحًا أوَّلُـهم بعد الغَرَقِ، ومحمدًا ﷺ آخرُهُم.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ خَصَّهم بالذِّكرِ لأنَّهم كانوا أصحابَ الشَّرائعِ من بينِهم، وغيرُهم منَ الأنبياء فيها تبعٌ لهم.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: مُؤكَّدًا باليمينِ، وأعاد ذكرَ الميثاقِ لانضمامِ الوصفِ إليه.

* * *

(٨) ـ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: الأنبياءَ ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾؛ أي: عمَّا قالوه لقومِهم.

ويحتمِلُ أنَّ الصِّدقَ بمعنى: التَّصديقِ؛ أي: عن تصديقِ قومِهم إيَّاهم، كما جاء في الأُخرى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، والسُّؤالُ توبيخٌ لمَن كذَّبَهم(١).

وقيل: ليس هناك سؤالٌ، إنَّما المُرادُ: أن يُحاسَبَ الصَّادقُ والكاذبُ، فيُجازَى كلٌّ بما كسبَ(٢).

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في القبرِ والقيامةِ.

ولامُ ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ مُتَّصلٌ بالأخذِ.

* * *

= عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٤٢): «سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١١)، وعده من العجائب.

(٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾: ما منَّ به عليكم.

﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ منَ المشركين؛ يعني: الأحزابَ، وهم قريشٌ وغَطَفانُ، وظاهَرَهم أهلُ الكتابِ من بني قُريظةَ والنَّضيرِ، فحاصروا المسلمين أيَّامَ الخندقِ.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ الصَّبا؛ قلَعَتْ خيامَهم، وأكفأَتْ قُدورَهم، فلم يُمكِنْهم القَرارُ في مواضِعِهم، وكانت تلك الرِّيحُ مُعجزةً لرسولِ الله ﷺ؛ لأنَّه لم يكُنْ بينَ العسكرَين إلّا مقدارٌ يسيرٌ يرى فيه بعضُهم بعضًا، فأنزلَ اللهُ على الكافرين ريحًا باردةً شغلَتْهم بأنفُسِهم، وقلعَتْ أخبيتَهم وأبنيتَهم، وكان رسولُ الله ﷺ وأهلُ عسكرِه من ذلك في عافيةٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من حفرِ الخندقِ؛ إنْ قُرِئَتْ بالتّاءِ، وبما يعملُ المشركون وجنودُهم منَ المُحاربةِ؛ إنْ قُرِئَتْ بالياءِ[1].

﴿بَصِيرًا﴾: عالـمًا.

***

(١٠) ـ ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾.

﴿ إِذۡ جَآءُوكُم ﴾ بدلٌ من: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ﴾.

﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾؛ أي: من جوانبِ مكَّةَ والمدينةِ، وصفَهم بالكثرةِ والانثيالِ عليهم.

---

(١) قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: عدلَتْ عن مَقرِّها، وقيل: شخَصَتْ طامحةً منَ الفزعِ.

الفرَّاءُ: مالَتْ عن كلِّ شيءٍ إلا إلى عدوِّها[1]، تنظرُ إليها مُتحيِّرةً لشدَّةِ الأمرِ وصُعوبتِه عليكم.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾؛ فإنَّ الرِّئةَ تنتفخُ عند الخوفِ، فيرتفعُ القلبُ حتَّى يكادَ يبلُغُ الحَنْجَرةَ.

وقيل: اضطربَ الفؤادُ فلم يَستقِرَّ مكانَه، بل بلغَ بحركتِه إلى الحلقِ والحَنْجَرةِ.

وقيل: ﴿بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ مجازٌ أبلَغُ منَ الحقيقةِ.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾؛ أي: ظُنونًا مختلفةً؛ فالمُخْلِصُ يظُنُّ أنَّ الله مُنجِزٌ وعدَه في إعلاءِ محمَّدٍ ﷺ على عدوِّه، والضَّعيفُ يظنُّ غيرَ ذلك لِـمَا يرى من كثرةِ العدوِّ، والمنافقُ يقولُ: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

***

(١١) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبِروا فظهرَ المُخلِصُ منَ المُنافقِ.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: حُرِّكوا تحريكًا بليغًا بالفتنةِ والتَّمحيصِ، فثَبَتوا على إيمانِهم.

والزَّلزلةُ: شِدَّةُ الحركةِ.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٦).

(١٢) ـ ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ عطفٌ على الأولى.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ وضعفٌ في المُعتَقَدِ.

قيل: هو وصفٌ للمنافقين بالواوِ، كما قال الشّاعرُ[١]:

إلى الملِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ وليثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمِ[٢]

وقيل: هم قومٌ كان المنافقون يستَميلونهم بإدخالِ الشُّبهةِ عليهم.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ قال المُفسِّرون: نزلَتْ في مُعتِّبِ بنِ قُشَيرٍ؛ وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين أمرَ بحفرِ الخندقِ عرضَتْ صخرةٌ شَقَّتْ على مَن كانَ يليها، فلمَّا رأى رسولُ الله ﷺ ذلك نزَلَ في الخندقِ، وأخذَ مِعْوَلًا من سلمانَ رضي الله عنه، فضرَبَ تلك الصَّخرةَ ثلاثَ ضرباتٍ، فخرجَ مع كلِّ ضربةٍ كهيئةِ البرقِ، فقال سلمانُ رضي الله عنه: لقد رأيتُ أمرًا عظيمًا، فقال ﷺ: «كذا وقد رأيتَ ذلك؟» قال: نعم، والذي أنزلَ عليك القرآنَ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لقد رأيتُ في الضَّربةِ الأولى أبيضَ المدائنِ، وفي الثّانيةِ قُصورَ اليمنِ، وفي الثّالثةِ مدائنَ الرُّومِ، وليفتحَنَّ الله هذه على أمَّتي».

فلما حصرَهم الأحزابُ واشتدَّ عليهم المجالُ قال مُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ: يعِدُنا أن يُفتحَ علينا قصورُ الرُّومِ والفُرسِ واليمنِ، ولا يستطيعُ أحدُنا أن يذهبَ إلى الخلاءِ، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٣]؛ أي: باطلًا.

---

(١) «الشاعر»: ليس في (ف).

(٢) تقدم عند تفسير الآية (٢٤) من سورة هود.

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٢٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي =

(١٣) ـ ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ يثربُ: هو[١] المدينةُ.

وقيل: أرضٌ، والمدينةُ في ناحيةٍ منها.

ورُوِيَ عن البراءِ رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن قال للمدينةِ: يثرب؛ فليستغفِرِ الله، هي طابةُ» ثلاثَ مرَّاتٍ[٢].

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: لا مكانَ لكم تقومون فيه؛ فإنَّ الأحزابَ قد ضيَّقوا عليكم بالحَصْرِ.

وقيل: لا موضعَ تُقيمون فيه؛ أي: ليس هذا موضعَ قرارٍ.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلِكم بالمدينةِ، أمروهم بتركِ رسولِ الله ﷺ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قد خرجَ إلى سَلْعٍ لقتالِ القومِ.

= (٣/ ٤٣٥). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩ ـ ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٨ ـ ٤٢٠)، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير متروك. وليس فيه تسمية القائل. ورواه الطبري دون تسمية القائل أيضًا عن قتادة وابن زيد.

وقصة تبشير النبي ﷺ بمدائن كسرى وقيصر وقعت عند كسر الصخرة التي عرضت لهم أثناء حفر الخندق أخرجها النسائي في «المجتبى» (٣١٧٦) من طريق أبي سكينة ـ رجل من المحررين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) كذا في النسختين، والأظهر: يثرب هي المدينة، وما ذكره المصنف تبع فيه السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥١٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٦٨٨)، وضعف إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٣٤٨). وروى البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وقيل: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ على دينِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿فَارْجِعُواْ﴾ إلى الشِّركِ تسلَمُوا من هذه الشَّدائِدِ.

وقيل: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ على القتالِ، ﴿فَارْجِعُواْ﴾ إلى الأمانِ.

﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ يجوزُ أن يعودَ الضَّميرُ إلى الطّائفةِ، ويجوزُ أن يعودَ إلى المُنافقين.

السُّدِّيُّ: هو أَوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ، وأبو عَرابةَ بنُ أوسٍ(١).

الضَّحَّاكُ: رجعَ ثمانون رجلًا بغير إذنٍ(٢).

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حصينةٍ نخافُ عليها من العدوِّ والسَّرَقِ، تقولُ: عَوِرَ المكانُ يَعْوَرُ عَوَرًا: صارَ عَوْرَةً، والعَوْرَةُ: كلُّ ما خِيفَ عليه أو كُرِهَ انكِشافُه، وكذلك العورةُ منَ الإنسانِ، فكَذَّبَهم اللهُ وقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ أي: هي حصينةٌ.

وقيل: ما هي بعورةٍ؛ لأنَّ الله يحفظُها(٣).

وقيل: زعموا أنَّ بها عدوًّا من جملةِ العسكرِ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ، فلم يجِدْ بها عدوًّا، حكاهُما القَفَّالُ(٤).

﴿إِن يُرِيدُونَ﴾: ما يُريدون بهذا القولِ ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ منَ القتالِ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٨٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٢) عن القفال، واستغربه.

(٤) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤) عن قتادة بلفظ: «﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ وإنها مما يلي العدو، وإنا نخاف عليها السراق، فبعث النبي ﷺ، فلا يجد بها عدوًّا».

(١٤) ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ أي: دُخِلتِ المدينةُ، وقيل: البيوتُ.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: جوانبِها؛ أي: من أيِّ جانبٍ دُخِلَتْ.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾؛ أي: ثمَّ سألوهم أن يُشرِكوا ويرتَدُّوا لأشرَكوا، ومَن قرأ بالمدِّ[1]: لأعطَوها في مُقابلةِ السُّؤالِ.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾؛ أي: بالإجابةِ ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾: قليلًا؛ أي: أسرَعوا الإجابةَ[2].

وقيل: ما تلبَّثوا بالمدينةِ أو البيوتِ بعد ذلك ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ حتَّى يأتيَهم اللهُ بالعذابِ.

***

(١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ يعني: بني حارثةَ يومَ أُحُدٍ، حين فَشِلوا ثمَّ تابُوا وعاهَدُوا أنْ لا يعودوا لمثلِه.

وقيل: عاهَدُوا قبل مجيءِ الأحزابِ وحلَفوا لا ينهزِمون.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾؛ أي: مسؤولًا عنه مُجازًى عليه.

وقيل: ﴿مَسْئُولًا﴾: مُطالبًا، تقولُ: سألتُ فلانًا حقِّي؛ إذا طالبتَه به.

***

(١) ابن كثير ونافع وابن عامر بالقصر، والباقون بالمد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٢)، واستغربه.

(١٦) - ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لأنَّ الحذرَ لا يُغني عن الأجلِ، والموتُ ضدُّ الحياةِ، والقتلُ نقض[1] البنيةِ التي تصحُّ معها الحياةُ.

وقيل: يجوزُ أن يعيشَ بعد الفِرارِ؛ لقولِه: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: حياةً يسيرةً في أيَّامٍ قلائلَ.

* * *

(١٧) - ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من عذابِ الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: من عذابِ الآخرةِ.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: ظُهورًا على عدوِّكم.

وقيل: خيرًا في الدُّنيا والآخرةِ.

ويحتملُ أن تقفَ على قولِه: ﴿سُوٓءًا﴾، ثمَّ تبتدئَ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ لأنَّه لا يَحسُنُ عطفُ الرَّحمةِ على العِصمةِ؛ لأنَّها تُستعملُ في دفعِ المكروهِ، ويكونُ التَّقديرُ: أو أرادَ بكم رحمةً فمَن يَحرِمُكم ثوابَه؟

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافظًا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا.

* * *

(١٨) - ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾؛ أي: منكم مَن يُعوِّقُ عن نُصرةِ رسولِ الله ﷺ؛ أي:

---

(١) في (ف): «ضد»، وانظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٠٦).

يمنعُ ويُعَسِّرُ الأمرَ في الخروجِ معه، تقولُ: عاقَ يَعُوقُ؛ إذا منعَ، وعَوَّقَ؛ أي: عَسَّرَ وبالغَ في المنعِ.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الكفرِ ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أقبِلوا إلينا، ودَعوا عسكرَ محمَّدٍ، واترُكوا شهودَ القتالِ معه؛ فإنَّ محمَّدًا وأصحابَه أكلةُ رأسٍ.

و﴿هَلُمَّ﴾ معناه: تعالَ، لا يُثنَّى ولا يُجمَعُ عند أهلِ الحجازِ، وأهلُ نجدٍ يُؤنِّثون ويُثنُّون ويجمعون.

الخليلُ: أصلُه: ها لُـمَّ[1]، الفَرَّاءُ: هَلْ أَمَّ[2].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا من جملةِ كلامِهم، والمعنى: لا يأتي أصحابُ محمَّدٍ إلّا قليلًا، لا يُقاوِمون الأحزابَ.

والثّاني: أنَّه استئنافٌ منَ اللهِ؛ أي: يُعوِّقُونَ النَّاسَ ويتخلَّفون بأنفُسِهم في أكثرِ الأحوال[3].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا رياءً وسُمعةً.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: كارِهين.

وقيل: معناه: لا يُغْنُون إلَّا غَناءً قليلًا.

وقيل: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ إلَّا إتيانًا قليلًا.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٢/ ٥١٤)، وابن جني في «الخصائص» (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه.

وقيل: إنَّه منصوبٌ على أصلِ الاستثناءِ، وكان مرفوعًا على البدلِ[١]، كقراءةِ ابنِ عامرٍ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٦٦][٢].

***

(١٩) ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

قولُه: ﴿أَشِحَّةً﴾: جمعُ شحيحٍ، وهو: البخيلُ؛ أي: يبخلون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالظَّفرِ والغنيمةِ، وبالنَّفقةِ في سبيلِ الله؛ أي: هم جُبَناءُ عند اللِّقاءِ، أشِحَّاءُ عند العطاءِ.

وهي حالٌ عن ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾، وقيل: منَ ﴿الْقَائِلِينَ﴾، وقيل: منَ الضَّميرِ في: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾.

وقيل: صفةٌ لقولِه: ﴿قَلِيلًا﴾ فيمَن جعلَه في محلِّ رفعٍ.

وقيل: ﴿أَشِحَّةً﴾ نصبٌ على الذَّمِّ.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾؛ أي: خوفُ القتالِ، وقيل: خوفُهم منكم.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قيل: نَظَرَ رجاءٍ، وقيل: كأنَّهم ينظرون إليك.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقِهم يمينًا وشمالًا.

﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: دَورانًا كدَورانِ عينِ الذي يُغْشَى عليه، وفي مُصحفِ أُبيٍّ: (كدَورانِ الذي يُغشَى عليه)[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه.

(٢) انظر: «السبعة» (٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٣)، واستغربه، ولم أقف على القراءة عن غير المؤلف.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾: زالَ ذلك[1] الخوفُ وأمِنُوا ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أكثَروا معكم الكلامَ بألسنةٍ ذَرِبةٍ يطلُبون الغنيمةَ: أعطُونا أعطُونا؛ إلحاحًا منهم.

وقيل: معنى ﴿سَلَقُوكُم﴾: يَطعنون فيكم بالمعائبِ كذِبًا وزُورًا، من قولِ العربِ: صَلَقَتِ المرأةُ وسَلَقَتْ: صَخِبَتْ.

وقيل: جادَلوكُم.

وقيل: ﴿إذا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾: مدَحُوكم وأحسَنُوا القولَ فيكم خلافَ الحالةِ الأولى، من قولِـهم: خطيبٌ مِسْلَقٌ وسلّاقٌ.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ كرَّرَ لأنَّ الأوَّلَ مُطلقٌ، والثّانيَ مُقَيَّدٌ بالخيرِ.

والخيرُ: ثوابُ الله.

وقيل: الغنيمةُ. وقيل: الدِّينُ. وقيل: المالُ. وقيل: الكلامُ الحسَنُ الجميلُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: مَنْ كان هذه صفتُه فليس بمُؤمنٍ.

﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطَلَ ما أظهروا لفسادِ ما أضمَروا.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إحباطُ أعمالِـهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: هيِّنًا.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾؛ أي: لجُبنِهم يظنُّونَ قُريشًا وغطفانَ ومَن كان

(١) «ذلك»: ليس في (ف).

معهم لم ينصرِفُوا بعد أن كانوا قد انصرَفُوا، غيرَ أنَّهم كانوا لم يتباعَدوا بعدُ في المسيرِ.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾: ولو رجعَ الأحزابُ بعد انصرافِهم ﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: يتمنَّى المُنافقون لجُبنِهم لو كانوا في البوادي منَ العربِ؛ ليأمَنُوا على أنفُسِهم، ويعتزِلُوا ممّا فيه المؤمنون منَ القتالِ.

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: عن أخبارِكم مَن تلقَّاهم منَ القادِمين من جانبِ المدينةِ، وعلى هذا ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿يَوَدُّواْ﴾.

وقيل: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ استئنافٌ؛ أي: منهم مَن كان في أطرافِ المدينةِ لم يحضُروا الخندقَ، يسألون النَّاسَ عن أنباءِ العسكرِ مُتوقِّعين غلبةَ المُشركين محمَّدًا ﷺ[1].

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من غيرِ نيَّةٍ ولا بَصيرةٍ.

***

(٢١) ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ثمَّ عاتبَ هؤلاءِ فقال: لقد كان لكم قُدوةٌ برسولِ الله ﷺ حين خرجَ للحربِ مع ما قاساه منَ البردِ والجوعِ، وحفرِ الخندقِ وغيرِها، فهلَّا اقتدَيتُم به.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ثوابَ الله ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: نعيمَ اليومِ الآخرِ.

وقيل: لمَن يخافُ الله ويخافُ اليومَ الآخِرَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٤)، واستغربه.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في الخوفِ والرَّجاءِ، والشِّدَّةِ والرَّخاءِ.

أي: هؤلاء هم الذين يقتَدون به دونَ مَن لا يرجو ولا يذكرُ.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ ﴿لِّمَن﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿لَكُمْ﴾، وفيه ضَعفٌ؛ لأنَّه لا يجوزُ البدلُ من ضميرِ المُخاطَبِ.

وقيل: صفةٌ لـ﴿أُسْوَةٌ﴾، وهو الأظهرُ.

وقيل: هذا أمرٌ للمُؤمنينَ بالائتِساءِ، وقيل: مدحٌ لهم.

* * *

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: وعدَنا الله بقولِه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، ووعَدَ رسولَه ﷺ بقولِه عليه السَّلامُ لهم: «سيشتَدُّ بكم الأمرُ باجتماعِ الأحزابِ عليكم، والعاقبةُ لكم عليهم»[١].

وقيل: كانَ رسولُ الله ﷺ قالَ لهم: «إنَّهم قد خرجُوا عليكم، وهم يصيرون إليكم بعد تسعٍ أو عشرٍ»، فلمَّا رأَوهم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[٢]؛ أي: ظهرَ صِدقُ خبرِ الله ورسولِه[٣]، وهذا في مُقابلةِ قولِ المُنافقين: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

---

(١) ذكره البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٩) بلا سند ولا عزو.

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢١٦)، عن الكلبي.

(٣) في (ف): «أي ظهر صدق خبرهما».

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾ بالله ﴿وَتَسْلِيمًا ﴾ لأمرِه؛ لعلمِهم أنَّه كما صدَقَ في البَلاءِ صدَقَ في النُّصرةِ والثَّوابِ.

واختُلِفَ في فاعلِ ﴿زَادَهُمْ﴾ فقيل: ما رأوا.

وقيل: نظرُهم.

وقيل: مجيئُهم.

وقيل: ما نزَلَ بهم منَ الشَّدائدِ.

وقيل: اجتماعُ الأحزابِ عليهم.

وقيل: ﴿تَسْلِيمًا﴾ بمعنى: إسلامٍ؛ أي: إلَّا إيمانًا وإسلامًا.

وقيل: إلّا إيمانًا بالله وتسليمًا لرسولِه.

* * *

(٢٣) ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: رواه البخاريُّ رحمَه الله في «الصَّحيحِ» عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّه قال: نزلَتْ في عمِّي أنسِ بنِ النَّضرِ، قال: وبه سُمِّيتُ أنسًا، غابَ عن قتالِ بدرٍ، فشقَّ عليه لمَّا قدِمَ، وقال: غِبْتُ عن أوَّلِ مشهدٍ شهدَه رسولُ الله ﷺ، والله لَئِنْ أشهدَني قتالًا ليَرَينَّ الله ما أصنعُ، فلمَّا كان يومُ أُحدٍ انكشَفَ المسلمون فقالَ: اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا جاءَ به المُشركون، وأعتذِرُ إليك ممّا صنعَ هؤلاءِ؛ يعني: المسلمين، ثمَّ مشى بسيفِه فلقيَه سعدُ بنُ مُعاذٍ فقال: أيْ سعدُ، والذي نفسي بيدِه إنِّي لأجِدُ ريحَ الجنّةِ دونَ أُحدٍ! فقاتلَهم حتى قُتِلَ.

قال أنسٌ رضي الله عنه: فوجَدْناه بين القتلى به سبعٌ وثمانونَ جِراحةً من بين

طعنٍ وضربٍ ورَمْيٍ، وقد مَثَلوا[١] به، فما عرَفْناه حتَّى عرَفَتْه أختُه ببَنانِه، ونزلَتْ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٢].

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في طلحةَ بنِ عُبيدِ الله، ثبَتَ مع رسولِ الله ﷺ حتَّى أُصيبَتْ يدُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوْجَبَ طلحةُ الجنَّةَ»[٣].

ومرَّ طلحةُ على النَّبيِّ ﷺ فقال: «هذا ممَّن قضى نحْبَه»[٤].

وقيل: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ نزلَتْ في مُبايعتِهم ليلةَ العقبةِ.

وقيل: ﴿مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ بنَذرٍ نذَروه بأنْ قاتَلَ حتَّى قُتِلَ، أو قاتلَ حتَّى يُقتَلَ أو يُنصَرَ.

الفرَّاءُ: ﴿مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نزلَتْ في حمزةَ وأصحابِه رضي الله عنهم[٥].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ بل هو[٦] عازمٌ على أن يفعلَه إذا اتَّفقَ له المشهدُ.

---

(١) مثل ومثل بالقتيل: جدع أنفه وقطع أطرافه وشوَّهه. انظر: «تاج العروس» مادة: (م ث ل) (٣٠/ ٣٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٦)، وقول النبي ﷺ: «أوجب طلحة» دون سبب النزول: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤١٧)، والترمذي (٣٧٣٨)، عن الزبير رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، ورواه الدورقي في «مسند سعد» (٩٠) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٤٠)، وابن ماجه (١٢٦)، عن معاوية رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٠)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤) دون سند، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في (ف): «﴿تَبْدِيلًا﴾ وهو».

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ ماتَ؛ أي: ماتَ حَتْفَ أنفِه ثابتًا على عهدِه، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الموتَ ناوِيًا الصِّدقَ.

وقيل: ﴿نَحْبَهُۥ﴾ أجلَه.

وقيل: ﴿نَحْبَهُۥ﴾ عهدَه.

وذكرَ القفَّالُ أنَّ النَّحْبَ يأتي على وجوهٍ:

أحدُها: النَّذْرُ؛ أي، قضى نذرَه.

ومنها: الخطرُ؛ أي: فرغَ من خطرِ الحياةِ؛ لأنَّ الحيَّ على خطرٍ ما عاشَ.

ومنها: السَّيْرُ السَّريعُ؛ أي: سارَ بسرعةٍ إلى أجلِه.

ومنها: النَّوبةُ؛ أي: قضى نوبتَه.

ومنها: النَّفَسُ؛ أي: فرغَ من أنفاسِه.

ومنها: النَّصَبُ؛ أي: فرغَ من نَصَبِ العيشِ وجُهدِه.

قال: وهذا كلُّه يعودُ إلى معاني الموتِ وانقضاءِ الحياةِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ قيل: اللَّامُ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿عَٰهَدُواْ﴾ ليجزيَ.

وقيل: ﴿ما بَدَّلُواْ﴾ ليجزيَ.

وقيل: ﴿وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] ليجزيَ اللهُ.

وقيل: ﴿ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] ليجزيَ(١).

وقيل: أمرَ بالوفاءِ ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: على صدقِهم.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾؛ أي: الكاذبين ﴿إِن شَآءَ﴾، في الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ منَ المُنافقين مَن تابَ من نفاقِه فاستحقَّ أن يتوبَ عليه.

والثّاني: يُعذِّبُ المُنافقين بأنْ لا يُوفِّقَهم للتَّوبةِ من نفاقِهم إنْ شاءَ، فالاستثناءُ منَ التَّوفيقِ لا منَ العذابِ.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ تابوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمَن تابَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بعبادِه.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: مالًا.

وقيل: ظفرًا، وسمَّاه ﴿خَيْرًا﴾ بزعمِهم(٢).

ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: خرجْتُ يوم الأحزابِ أَسْتروِحُ الأخبارَ، فإذا أنا برجلٍ يقولُ:

لبِّثْ رُوَيدًا يلحَقِ الهيجا جَمَلْ(٣)

فإذا أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ، وإذا امرأةٌ تسوقُ بعيرًا، فقلتُ: ما الخبرُ؟ فقالت: ردَّ الله الذين

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، واستغربه.

(٣) الرجز لحمل بن سعدان بن حارثة الكلبي، وفد على النبي ﷺ، وعقد له لواء، وتمثل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٧٦).

كفروا بغيظِهم لم ينالُوا خيرًا، ورسولُ الله لـم يمُتْ، فأنزلَ الله على لسانِها الآيةَ[١].

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بريحِ الصَّبَا والملائكةِ، وكبَّرَ الملائكةُ في عسكرِهم، فلمَّا سمعوا التَّكبيرَ قالوا: قد بدأ محمَّدٌ بالسِّحرِ، فانصرَفُوا لا يلوُونَ على شيءٍ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

***

(٢٦) ـ ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهم: بنو قُريظةَ، ظاهَروا أبا سفيانَ والمُشركينَ على رسولِ الله ﷺ والمسلمين، وكانت بنو قُريظةَ قد عاهَدوا رسولَ الله ﷺ على التَّكافِّ[٢]، فنقَضُوا العهدَ لـمَّا رأوا كثرةَ الأحزابِ، ولـم يشُكُّوا أنَّهم يَغلبونَ المؤمنين، فلمَّا انهزمَ الأحزابُ جاء جبريلُ عليه السَّلامُ وقال: يا محمَّدُ أَتنْزِعُ لَأْمتَكَ والملائكةُ لـم يضَعُوا سلاحَهم منذ أربعينَ ليلةً؟ ثمَّ قال له: إنَّ الله يأمُرُكَ أن

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤١) بإسناد الأموي عن أبيه عن الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبي ثابت، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، واستغربه، وذكر نحوه الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٥٨٣) وفيه: «وكانت عائشة زوج النبي ﷺ خرجت في نسوة تستروح الخبر ـ ولم يضرب الحجاب يومئذ ـ حتى إذا كانت بمنقطع الحرة وهي هابطة من بني حارثة إلى الوادي، لقيت هند بنت عمرو بن حرام أخت عبد الله بن عمرو بن حرام تسوق بعيراً لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلاد ابن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر. فقالت عائشة: عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت هند: خيراً، أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال...».

(٢) تكافَّ القوم عن بعضهم؛ أي: امتنع بعضهم عن بعض. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» مادة: (ك ف ف) (٣/ ١٩٤٤).

تسيرَ إلى بني قُريظةَ؛ فإنِّي قد قطعْتُ أوتادَهم، وفتحتُ أبوابَهم، وتركتُهم في زلزالٍ وبَلْبالٍ، واستلأمَ رسولُ الله ﷺ، ودعا عليًّا رضي الله عنه فأعطاه لواءَه، وأمرَ بلالًا فنادى: أَنْ لا تُصلُّوا العصرَ إلا ببني قُريظةَ، فحاصرَهم إحدى وعشرين ليلةً، ثمَّ نزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ رضي الله عنه فيهم، فحكَمَ سعدٌ أن يُقتَلَ مُقاتلتُهم، ويُسبى ذراريهم، ويُقسَمَ أموالُهم، ويكونَ عقارُهم للمُهاجرين، وقال للأنصارِ: إنَّكم ذَوو عقارٍ وليس للمُهاجرين عَقارٌ، فكبَّرَ رسولُ الله ﷺ وقال: قضَى فيهم بحكمِ الله فوقَ سبعةِ أرقعةٍ، فقُتِلَ منهم أربعُ مئةٍ وخمسون، وسُبِيَ سبعُ مئةٍ وخمسون(١).

والمعنى: أنزَلَ الله الذين أعانُوا الأحزابَ منَ اليهودِ ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حُصونِهم.

والصِّيصِيَةُ: القَرْنُ، وشوكةُ الدِّيكةِ، وشوكةُ الحائكِ، والصِّيصيةُ: الأصلُ أيضًا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧٢) عن قتادة. وروى البخاري قطعًا منه مفرقة:

فقد روى البخاري (٤١١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين؟» قال: ها هنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم».

وروى البخاري (٤١٢١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم». فقال: «هؤلاء نزلوا على حكمك». فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: «قضيت بحكم الله» وربما قال: «بحكم الملك».

وروى البخاري (٤١١٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم.

ويحتمِلُ أن يكونَ المعنى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: من أُصولِـهم؛ أي: فجَذَّ الله أصولَـهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوفَ.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: الرِّجالَ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: النِّساءَ والذَّراري.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: مزارِعَهم ﴿وَدِيَـٰرَهُمْ﴾: بلادَهم وحُصونَهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾: المواشيَ والذَّهبَ والفِضّةَ والأثاثَ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: لـم تُقاتلوا عليها:

قيل: هي خيبرُ.

وقيل: مكّةُ.

وقيل: فارسُ والرُّومُ.

وقيل: جميعُ ما يَظهر عليه المسلمون إلى يومِ القيامةِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: قادرًا بذاتِه.

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: السَّعةَ في الدُّنيا، وكثرةَ المالِ ﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

كان أزواجُ النَّبيِّ ﷺ سألْنَه من عرَضِ الدُّنيا، وآذَينَه بزيادةِ النَّفقةِ وبالغَيرةِ، فهجرَهُنَّ وآلَى ألَّا يقربَهنَّ شهرًا، فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ، فأمرَه الله بتخييرِ نسائِه حسمًا لمادَّةِ أذاهُنَّ، فقرأها عليهنَّ فاخترنَه.

قولُه: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أُعطِكُنَّ ما عندي، فيه أقوالٌ:

قال بعضُهم: إنَّما قال: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ لأنَّ قولَـهن لو قُلْنَ: نُريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها = كان طلاقًا، فيكونُ بعدَه المتعةُ ثمَّ التَّسريحُ؛ لأنَّ هذا منه ﷺ كقولِ الرَّجلِ لامرأتِه: اختاري، فقالت: اخترتُ نفسي، وقعَ الطَّلاقُ.

وقال بعضُهم: هذا تخييرٌ بين الدُّنيا وزينتِها وبين الآخرةِ ونعيمِها، فإن اخترْنَ الدُّنيا طلَّقهُنَّ حينَئذٍ، وتقديرُ الآيةِ على هذا: فتعالَين أُطلِّقْكُنَّ، وأُمتِّعْكُنَّ، وأُسرِّحْكُنَّ.

وقال بعضُهم: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بالطَّلاقِ، وجاز تقديمُ المتعةِ لأنَّها من بابِ الأموالِ، وتقديمُ حقوقِ الأموالِ جائزٌ.

ومَن قال: يقعُ الطَّلاقُ بمُجرَّدِ قولِه: اختاري[1]؛ فليس له منَ الآية دليلٌ.

قولُه: ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا ضرارَ فيه ولا مُشاجرةَ.

***

(٢٩) ـ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: تنَلْنَ من صُحبتي ما تُرِدْنَ من رِضا الله، وقيل: جنَّتَه.

---

(١) ذكر ذلك عن الحسن، ورُوي عن عليّ وزيد. انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٥/ ٢٠٩).

(٣٠) ـ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: معصيةٍ ظاهرةٍ.

وقيل: نشوزٍ وسوءِ خلُقٍ.

وقيل: زنًى بيِّنٍ.

﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾؛ أي: ضعفَي عذابِ غيرِهنَّ منَ النِّساءِ تعظيمًا لهنَّ، كما جُعلَ حدُّ الحرِّ ضِعفَي حدِّ المملوكِ.

قيل: هو في الدُّنيا.

وقيل: هو في الآخرةِ.

وقيل: عذابُ الدُّنيا وعذابُ الآخرةِ.

وقيل: جعلَ العذابَ ضعفَين كما جعل الأجرَ مرَّتَين.

قال أبو عبيدةَ: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: ثلاثةُ أعذبةٍ[1]، وأنكرَه الزَّجّاجُ[2] وقُطربٌ، وغيرُهما من المُفسِّرين، وقالوا: ضِعفُ الشَّيءِ مثلُه، ولا يكونُ أن يُعطيَ على الطَّاعةِ أجرَين وعلى المعصيةِ ثلاثةَ أعذبةٍ[3].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٥)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٠)، وذكر الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩١) عن أبي عمرو البصري: أنه قد جعل (يُضعَّف) بمنزلة المثلين، و(يضاعَف) ثلاثة أمثال، ولذلك اختار في القراءة: (يُضعَّف).

ويحتمِلُ أنَّ أبا عُبيدةَ لـم يقُلْ: (ثلاثةَ أعذبةٍ) من حيثُ ردَّ عليه المُفسِّرون؛ لأنَّ ذلك في غايةِ البُعدِ، فإنَّ الضِّعْفَ الواحدَ يُنبِئُ حينئذٍ عن واحدٍ ونصفٍ ضرورةً، وهذا لا يقولُه أحدٌ، بل من وجهٍ آخرَ، وهو أنَّ الدِّرهمَ إذا ضاعَفْتَه مرّةً صار درهمَين، وإذا ضاعفتَه مرَّتين صار ثلاثةَ دراهمَ، فصارَ معنى قولِه: ﴿يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ﴾[1] يُجعلُ لها العذابُ ومِثْليه.

وما ذهبَ إليه بعضُ الفقهاءِ أنَّ الرَّجلَ إذا قال: (أوصَيتُ لزيدٍ بضعفِ نصيبِ عمرٍو)، ونصيبُ عمرٍو درهمٌ، يلزمُه درهمانِ، ثمَّ إن قال: (بضعفَي نصيبِ عمرٍو) قال: يلزمُه ثلاثةُ دراهمَ؛ استدلالًا بقولِ أبي عبيدةَ= فشيءٌ لا وجهَ له في العربيَّةِ؛ لأنَّ أبا عبيدةَ ذهبَ إلى ذلك لوجودِ لفظِ التَّضعيفِ أو المُضاعفةِ، وليس كذلك الوصيَّةُ. والله أعلمُ[2].

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي: تضعيفُ العذابِ على الله سهلٌ.

وقيل: ﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: لا اعتراضَ عليه.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: ومَن يَدُمْ منكنَّ على طاعةِ الله وطاعةِ رسولِه.

---

(١) هكذا جاءت هنا في النسختين: ﴿يُضَعَّف﴾ بالياء وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ ابن عامر وابن كثير: ﴿نُضعِّف﴾ بضم النون وتشديد العين ﴿العذابَ﴾ بالنصب، وباقي السبعة: ﴿يُضاعَفْ﴾ بالياء وألف بعد الضاد وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٦)، واستغربه.

وقيل: ومَن يُطِعْ.

وقيل: ومَن يخضَعْ.

﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: طاعةً ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مِثْلَ ثوابِ غيرِها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: جليلَ القَدْرِ، وهو الجنَّةُ.

وقيل: ومَن يقنُتْ منكنَّ لطاعةِ[1] النَّبيِّ عليه السَّلامُ فيما بينَهنَّ وبينَه من أمورِ الزَّوجيّةِ، ويكونُ ذكرُ الله على وجهِ التَّعظيمِ كما سبقَ في قولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

* * *

(٣٢) ـ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾؛ أي: الله فضَّلَكُنَّ على سائرِ النِّساءِ بأنْ جعلكُنَّ أزواجًا لنبيِّه الذي هو أكرمُ خلقِه عليه، وذلك التَّقوى فالزَمْنَها.

وقيل: إنَّ التَّكليفَ عليكُنَّ أشدُّ، كما أنَّ ثوابَكُنَّ أكثرُ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ﴾.

وإنَّما قال: ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولـم يُؤنِّثْ؛ لأنَّ لفظَه للعمومِ، يقعُ للواحدِ والجمعِ والمُذكَّرِ والمُؤنَّثِ.

وقيل: يقعُ على مَن يَعقلُ وعلى مَن لا يَعقلُ أيضًا.

---

(١) في (ن): «بطاعة».

قولُه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: في مخاطبةِ الأجانبِ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نفاقٌ.

وقيل: فُجورٌ.

وقيل: مَيلٌ إلى المعصيةِ.

وقيل: شهوةٌ.

وقيل: حبُّ الزِّنى.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: سديدًا مستقيمًا.

* * *

(٣٣) - ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ مَن فتحَ فمِن (قَرِرتُ) بالكسرِ (أَقَرُّ) بالفتحِ، وكان الأصلُ: اِقْرَرْنَ، فنُقِلت الفتحةُ إلى القافِ، فحُذِفَ الرّاءُ لالتقاء الساكنين والألفُ للاستغناء عنه.

ومَن كسرَ[1] جعلَه من (قَرَرْتُ) بالفتحِ (أقِرُّ) بالكسرِ على ما ذكرتُ.

وقيل: هو أمرٌ من (وَقَرَ يَقِرُ)، والمعنى: لا تخرُجْنَ من بُيوتكُنَّ وكنَّ فيها ذواتِ وقارٍ وسكونٍ.

---

(١) قرأ نافع وعاصم: ﴿وَقَرْنَ﴾ بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قيل: التَّبرُّجُ: التَّبخترُ في المشيِ والانكسارُ، وأصلُ البروجِ: الظُّهورُ.

قال المُؤرِّجُ: لا تخرُجْنَ، بلغةِ كنانةَ.

وقيل: التَّبرُّجُ: التَّزيُّنُ، يُستعملُ في النِّساءِ[1] خاصَّةً.

وقيل: التَّبرُّجُ: إظهارُ الزِّينةِ.

والتَّقديرُ: لا تبرَّجْنَ تبرُّجًا مثلَ تبرُّجِ النِّساءِ في الجاهلية الأولى.

والجاهليَّةُ: ما كانوا يتعاطَونَه مما لم يأتِ به شرعٌ.

والأوَّلُ والأُولى: اسمٌ للسَّابقِ المُنفرِدِ تأخَّرَ عنه غيرُه[2] أو لم يتأخَّرْ.

واختلفوا في زمانِ الجاهليَّةِ؛ فقيل: هو ما بين آدمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ، ثماني مئةِ عامٍ.

وقيل: ما بين نوحٍ وإدريسَ عليهما السَّلامُ.

وقيل: ما بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السلام.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الجاهليَّةُ الأولى ألفَ سنةٍ[3].

وقيل: هو زمنُ داودَ عليه السَّلامُ، كانت المرأةُ تلبسُ درعًا منَ اللُّؤلؤِ مُفرَّجَ الجانبَين لا ثوبَ عليها غيرُها تمشي في الطُّرقِ.

وقيل: كانت في الجاهليّة الأولى أمورٌ قبيحةٌ، منها: أنَّ المرأةَ كانت تجمعُ زوجًا وخِلْمًا؛ أي: خِدْنًا، فتجعلُ للزَّوجِ النِّصفَ الأسفلَ، وذلك ممنوعٌ عنِ الخِلْمِ،

---

(١) في (ف): «يستعمل للنساء».

(٢) في (ف): «غيره عنه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٠).

وللخِلْمِ النِّصفَ الأعلى لا تـمنعُ من تقبيلِها وترشُّفِها، فعند ذلك يقولُ أحدُ الخلومِ لزوجِ صاحبتِه:

فهـل لـك فـي البـدالِ أبـا حروبٍ ... فـأرضــى بـالأكارعِ والعُجـوبِ(١)

وقيل: الجاهليةُ الأولى: قبلَ الإسلامِ، والثَّانيةُ: حالُ مَن عملَ بعملِ أولئك في الإسلامِ.

وقيل: الجاهليةُ الأولى: هي التي تقولُ لها: الجاهليَّةُ الجهلاءُ.

ومعنى الأولى: القديمةُ.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبةَ، ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما يأمرُ وينهى.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: نزلَتْ في خمسةٍ؛ في النَّبيِّ ﷺ، وعليٍّ، وفاطمةَ، والحسنِ، والحسَينِ، رضي الله عنهم(٢).

وعـن أمِّ سلـمةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في بيتِها، فأتته فاطمةُ رضي الله عنها ببُرمةٍ فيها خَزيرةٌ، فدخلَتْ بها عليه فقال لها: «ادْعِي لي زوجَكِ وابنَيكِ». قالت: فجاءَ عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، فدخَلُوا وجلَسُوا يأكلونَ من تلك الخزيرةِ، وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على منامةٍ له، وكان تحتَه(٣)

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٣٩) وفيهما: «أبا خبيب»، بدل «أبا حروب»، و«والعجوز» بدل: «والعجوب»، وذكره ابن الجوزي في «أخبار النساء» (ص: ٤٧) عن الأصمعي، وفيه: «أبا زنيم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٢).

(٣) في (ف): «لحفه».

كساءٌ خيبريٌّ، قالت: وأنا في الحجرةِ أُصلِّي، فأنزلَ الله هذه الآيةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

قالت: فأخذَ فضلَ الكساءِ فغشَّاهُم به، ثمَّ أخرجَ يدَيه فألوى بهما إلى السَّماءِ ثمَّ قال: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي فأذهِبْ عنهم رجسَ الشَّيطانِ وطهِّرْهم تطهيرًا». قالت: فأدخلتُ رأسي البيتَ فقلتُ[1]: وأنا معكُم يا رسولَ الله؟ قال: «إنَّكِ إلى خيرٍ، إنَّكِ إلى خيرٍ»[2].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ هذه الآيةُ في نساءِ النَّبيِّ ﷺ[3].

عِكرمةُ: ليس الذي تذهبون إليه في الآيةِ، إنَّما هي في أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، وكان عِكرمةُ يُنادي بهذا في السُّوقِ[4].

والمُحقِّقون على أنَّها نزلَتْ فيهم خمستِهم وفي جميعِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ بدليلِ ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ منَ الآياتِ، ولأنَّ امرأةَ الرجلِ من أهلِ بيتِه بدليلِ قولِ الله في قصَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

---

(١) في (ف): «وقلت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣١)، ورواه الترمذي (٣٨٧١) مختصراً وقال «هذا حديث حسن صحيح: وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وأبي الحمراء»، قلت: وفي الباب من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٢٤٢٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٥).

ومَن ذهبَ إلى الأوَّلِ جعل هذا اعتراضًا، وتقديرُه: وأَطِعْنَ الله ورسولَه واذكُرْنَ ما يُتلى.

و﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منصوبٌ على النِّداءِ، وأجازَ الزَّجَّاجُ نصبَه على المدحِ(١).

***

(٣٤) ـ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ في ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ قولانِ:

أحدُهما: اذكُرْنَ نعمَتي عليكُنَّ إذ جعلتُكُنَّ أهلَ بيتِ النُّبوَّةِ، ومعدنَ نزولِ الوحيِ، وأزواجَ رسولِ الله ﷺ.

والثّاني: أمَرَهُنَّ أن يتَّعِظْنَ به، ويعمَلْنَ بموجَبِه.

وفي ﴿الْحِكْمَةِ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّها الكتابُ.

والثّاني ـ وهو قولُ الجمهورِ ـ: أنَّها السُّنَنُ، فيكونُ من بابِ قولِه:

مُتقلِّـدًا سـيفًا ورُمحًـا(٢)

فإنَّه لا يُقالُ: تلوتُ السُّنَّةَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٢) أي: وحاملًا رمحاً، وهذا عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، وتقدم عند تفسير الآية (٤٠) من الحج.

وقال أبو عليٍّ: التِّلاوةُ لا تُستعملُ إلّا في قراءةِ كتابِ الله[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾؛ أي: ﴿لَطِيفًا﴾ باختيارِكُنَّ له ﴿خَبِيرًا ﴾ بأحوالِكُنَّ.

***

(٣٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال قتادةُ: لـمَّا ذكرَ اللهُ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ دخلَتْ نساءٌ منَ المسلماتِ عليهنَّ وقُلنَ: ذُكِرْتُنَّ ولـم نُذْكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢].

قال مقاتلُ بنُ حيَّان: بلَغَني أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ لـمَّا رجعَتْ منَ الحبشةِ مع زوجِها جعفرِ بنِ أبي طالبٍ دخلَتْ على نساءِ النَّبيِّ ﷺ فقالَتْ: هل نزلَ فينا شيءٌ منَ القرآنِ؟ قُلنَ: لا.

فأتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالَتْ: إنَّ النِّساءَ لفي خَيبةٍ وخسارٍ يا رسول الله، قال: «ومِمَّ ذاك؟» قالَتْ: لأنَّهن لا يُذكَرْنَ بخيرٍ كما يُذكَرُ الرِّجالُ، فأنزَلَ الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[٣]، وهم الذين على دينِ الإسلامِ في قولِه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقيل: المُتذلِّلين.

---

(١) قال أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٤٩): «التالي: القارئ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥٦).

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: هم الذين كُتِبَ في قلوبِهم الإيمانُ.

وقيل: المُصَدِّقون اللهَ فيما وعدَهم وأوعدَهم.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المُطيعينَ لله في أمرِه ونهيِه. وقيل: الدَّاعين.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾؛ أي: في أيمانِهم وعُهودِهم. وقيل: في أخبارِهم وأفعالِهم.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على أمرِ الله وعن نهيِه. وقيل: الصّابرين في البأساءِ والضَّرّاءِ.

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾: المُتواضِعين الخائفين. وقيل: المُصلِّين.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾: الذين يُخرِجون زكاةَ أموالِهم. وقيل: المُتطوِّعين بإعطاءِ النَّوافلِ.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ يُريدُ صومَ شهرِ رمضانَ.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾؛ أي: عمَّا لا يحلُّ، وأرادَ: والحافِظاتِها، فحُذِفَ منَ الثّاني؛ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليه.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ، والذّاكِراتِه.

وقيل: التَّالينَ القرآنَ.

وقيل: المُصلِّين.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لطاعاتِهم.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ في التَّفسيرِ: أنَّها نزلَتْ في زينبَ بنتِ جحشٍ وأخيها، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ خطَبها لزيدٍ فكرِهَتْ ذلك وكرِهَه أخوها، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ فرضِيا به(١).

وقال بعضُهم: كانت هذه أمَّ كلثومٍ بنتَ عقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وهَبَتْ نفسَها للنَّبيِّ ﷺ فزوَّجَها زيدَ بنَ حارثةَ، فكرِهَتْ ذلك فنزلَتْ(٢).

والمعنى: ما كانَ لأحدٍ من أهلِ الإيمانِ حين حكمَ الكتابُ أو السُّنَّةُ بأمرٍ أن يختارَ غيرَه، ولا يجوزُ له أن يفعلَ إلَّا ما حكمَ اللهُ به في القرآنِ أو حكمَ به رسولُه في السُّنَّةِ.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ فخالفَ الكتابَ ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ فخالفَ السُّنَّةَ، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عنِ الصَّوابِ والرَّشادِ ﴿ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: غيرَ خافٍ.

والخِيَرةُ: التخيير، قالَه الزَّجَّاجُ(٣).

---

(١) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٦)، من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٧): رواه الطبراني وفيه حفص بن سليمان وهو متروك وفيه توثيق لين. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٢ و١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٥) عن قتادة مرسلًا، ورواه أبو عوانة في «المستخرج» (١١/ ٣١٨) عن أنس رضي الله عنه، وليس فيه ذكر أخيها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٤) عن ابن زيد، وهو معضل.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٨).

الأخفشُ: إرادةُ اختيارِ الشَّيءِ على غيرِه من أمرِهم[1].

ومعنى ﴿قَضَى﴾: حكَمَ، وقيل: أحكَمَ.

***

(٣٧) ـ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالإسلامِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاقِ والتَّبَنِّي؛ يعني: زيدًا.

وقيل: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ ذُكِرَ تعظيمًا وإجلالًا؛ كما يقولُ الرَّجلُ لعبدِه: أعتقَكَ الله وأعتَقْتُكَ، ومثلُه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وكذلك ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] في أحدِ وجوهِهما.

وأجمعَ المُفسِّرون على أنَّها نزلَتْ في زينبَ بنتِ جحشٍ، وكانت ابنةَ عمَّةِ النَّبيِّ ﷺ، زوَّجَها منه بعد أن كانت تكرَهُ ذلك، فرضِيَتْ لنزولِ الآيةِ على ما سبقَ في الآيةِ الأولى، وكانا لا يتَّفقانِ لِـمَا فيها منَ الكِبْرِ والحِدَّةِ، فلمَّا رآهما لا يتَّفقانِ وكثُرَتْ شكايةُ زيدٍ منها ومن تكبُّرِها عليه، خطرَ ببالِه ﷺ لأجلِ القرابةِ التي بينَهما أنْ لو طلَّقَها لتزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ، ويُؤويها إلى نفسِه كما يضُمُّ القريبُ قريبَه إلى نفسِه، وكلَّما شكا زيدٌ إليه قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني: زينبَ، ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في

---

(١) «من أمرهم»: ليس في (ف).

أمرِها، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[1] أي: وتُخفي في نفسِكَ نكاحَها أنْ لو طلَّقَها زيدٌ، وهو الذي أبداه الله، فالمُخْفَى المُبْدَى هو النِّكاحُ.

وقال بعضُ المُفسِّرين: إنَّ زينبَ شاوَرَتْ رسولَ الله ﷺ في رجلَينِ أن يتزوَّجَها أحدُهما، معاويةُ، والثَّاني: أبو الجهمِ. فقال ﷺ: «أمَّا معاويةُ فصُعلوكٌ لا مالَ له، وأمَّا أبو الجهمِ فلا يرفعُ عصاه عن أهلِه، ولكنِّي أُزوِّجُكِ من زيدٍ»، فقالَتْ: لا أرضاه وأنا أَيِّمُ قُريشٍ وابنةُ عمَّتِكَ. فقال ﷺ: «لكنِّي أرضاه لكِ»، ونزلَتِ الآيةُ، فرضِيَتْ[2].

ثمَّ بعد أن تزوَّجَها زيدٌ أتى النَّبيُّ ﷺ منزلَ زيدٍ لحاجةٍ فرأى زينبَ في درعٍ وخمارٍ، فقال: «سبحانَ الله مُقلِّبِ القلوبِ» وخرجَ، فلمَّا عادَ زيدٌ أعلَمَتْه زينبُ ما كان منَ النَّبيِّ ﷺ، فعلِمَ أنَّها وقعَتْ في قلبِه، وفي بعضِ الرِّواياتِ: فكُرِّهَتْ إليه في الوقتِ، فأرادَ أن يفارِقَها[3].

---

(١) كذا ذكر المؤلف هذه القصة، ولم أقف عليها بهذا السياق، وما ذكره من أنه لمَّا رآهما لا يتَّفقانِ وكثُرَتْ شكايةُ زيدٍ منها، خطرَ ببالِه ﷺ لأجلِ القرابةِ أنْ لو طلَّقَها لتزوَّجَها ويُؤويها إلى نفسِه، فلا أدري أهو خبر أم تفسير، وفي كلا الحالين فهو غير صحيح، وسيأتي قريباً ذكر ما صح منها.

(٢) لعل المصنف وهم في هذا، فالمعروف أن هذا في فاطمة بنت قيس وزواجها من أسامة بن زيد، فقد روى مسلم (١٤٨٠) عن فاطمة بنت قيس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا حللت فآذنيني»، فآذنته، فخطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد» فقالت بيدها هكذا: أسامة، أسامة، فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك»، قالت: فتزوجته، فاغتبطت.

(٣) قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٤): ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرج الطبري معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله.

قلت: هو في «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٤٥٢)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦) عن ابن زيد.

=

ورُوِيَ عن زينبَ أنَّها قالت: لـمَّا وقعتُ في قلبِ النَّبيِّ ﷺ لـم يستطِعْني زيدٌ وما أمتنعُ منه غيرَ ما يمنعُه الله منِّي، فلا يقدرُ على ذلك، فأتى النَّبيَّ ﷺ وقال: إنَّ زينبَ فيها كِبرٌ، وأنا أُريدُ طلاقَها، فقال النَّبيُّ ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وفي نفسِه حبُّ تزوُّجِها أنْ لو طلَّقَها، وهو قولُه: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، يعني: تزوُّجَها ونكاحَها؛ لأنَّ الله قال: ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، وهو سُبحانَه لـم يُبدِ إلا تزوُّجَها، ولو كان فيها غيرُه لأبداه(١).

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾؛ أي: وتخشى أن يعيبَ النَّاسُ ما فعلتَ.

وقيل: تستَحيي النَّاسَ.

وقيل: ﴿تَخْشَى﴾: تكرَهُ.

= وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً، أما السند فلانقطاعه مع ضعف ابن زيد نفسه، وأما المتن فلما فيه من أنه أبصرَهَا بعْدَما أنكحهَا إيَّاهُ فوقَعتْ في نفْسِه، وللقاضي عياض في الرد على هذا الخبر في كتابه «الشفا» كلام طويل، وقد نقل عن القشيري قوله: وكيف يقال: رآها فأعجبَتْه، وهي بنتُ عمَّتِه، ولم يزَلْ يرَاها منذُ وُلِدَت، ولا كان النساءُ يحتجِبْنَ منه عليه السلام؟ وهو زوَّجَها لزيدٍ، وإنَّما جعلَ اللهُ تعالى طلاقَ زيدٍ لها، وتزويجَ النبيِّ ﷺ إياها؛ لإزالةِ حرمةِ التبنِّي وإبطالِ سنَّتِه؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وقال أيضاً: وأصحُّ ما في هذا ما حكاه أهلُ التفسيرِ عن عليِّ بن الحسينِ رضي الله عنهما.

قلت: سيأتي خبر علي بن الحسين قريباً.

(١) وهذا أيضاً لا يصح، فإن هذه رواية نوح بن أبي مريم رفع الحديث إلى زينب أنها قالت ذلك، كما ذكر القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩)، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة قال عنه ابن حجر في «التقريب»: كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

وقيل: تخشى قالةَ النَّاسِ؛ أي[١]: يقولون: أمرَه بتطليقِها ثمَّ تزوَّجِها.

وقيل: يقولونُ نكحَ امرأةَ ابنِه.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ لو كانَ في ذلك ما تخشى.

وروى المُفسِّرون عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما أنَّه قال: كان اللهُ سبحانَه أعلمَه أنَّها ستكونُ من أزواجِه وأنَّ زيدًا يُطلِّقُها[٢]، فيكونُ المعنى على هذا:

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦ ـ ١١٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٦).

وفصَّل القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٩٠) هذا القول فقال: وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خُلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: «اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك» وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يُردْ أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال: ﴿أَمْسِكْ﴾ مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية؛ أي: في كل حال.

ثم قال: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين: كالزهري، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوَّج بزوجة ابنه، فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته، قال الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» ـ وأسند إلى علي بن الحسين قوله ـ: فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر ودرًّا من الدرر، أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أن =

﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ في بيانِ ما أخبرَكَ الله به من تزوُّجِها، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ فلا تكتُمْ ما أخبرَكَ به؛ أي: هَلَّا أظهرتَ ذلك، ولِـمَ قُلتَ له: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ بعد ما أخبرَكَ به، فأظهرتَ[1] خلافَ ما أضمرتَ، وكان أن تخشى اللهَ في إظهارِ غيرِ ما في القلبِ أولى من أن تخشى النّاسَ.

قالت عائشةُ: لو كتَمَ رسولُ الله ﷺ شيئًا مـمَّا أُنزِلَ عليه لكتَمَ هذه الآيةَ[2].

وقال الحسنُ: ما أَتَتْ عليه أشدُّ منها[3].

وقال القفَّالُ: ليس في هذه القصَّةِ عتابٌ لرسولِ الله ﷺ، ولا إضافةُ مكروهٍ إليه فيما كانَ منه، وذلك أنَّها إن وقعَتْ بقلبِه فلا لومَ عليه فيه؛ لأنَّه ليس من فعلِ العبدِ.

ومعنى الآيةِ: أنَّ الله أخبرَه بإكرامِه إيَّاه بإيصالِه إلى محبَّتِه فقال: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تقولُ هذا عامِلًا بما يلزمُك أن تعمَلَه؛ لأنَّ مَن يقعُ في قلبِه استحسانُ امرأةِ غيرِه فلا لومَ عليه في ذلك ولا عيبَ، ولكنْ ينبَغي له أن لا يُظهِرَ لذلك أمرًا يَخرجُ معه إلى مساءةِ زوجِ المرأةِ، ولا أن يسعى في إفسادِ ما بينهما بإغراءٍ وتضريبٍ وسعايةٍ وإكراهٍ على الفراقِ، فإذا لـم تفعَلْ هذا فقد جاهَدْتَ نفسَك، وعلى الله ثوابُك، ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ

= ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ وأخذته خشية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾.

(١) في (ف): «وأظهرت».

(٢) رواه عن عائشة رضي الله عنها مسلم (١٧٧)، ورواه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩١): «رواه الطبراني من طريق رجال بعضها رجال الصحيح».

مُبْدِيهِ﴾ وهو محبَّتُك لأنْ تَبِينَ من زوجِها فتتزوَّجَها، فتقضيَ وطرَكَ منها بالوجهِ الذي أباحَه الله لك، وهذا أيضًا مدحٌ له، ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: قالةَ النّاسِ لو أظهرَ الله ما أخفيتَ فيُزوِّجُكَها[1]، بأن يقولوا: نكحَ امرأةَ ابنِه، أو يقولوا: هَوِيَها فعَلِمَ بذلك زيدٌ فطلَّقَها ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ أي: لو كانَ في ذلك ما تخشى بأن يكونَ فعلًا لك لكانَ اللهُ عندَك أحقَّ بأن تخشاهُ، فلم تكُنْ لتفعلَه أصلًا، فمَن لامَكَ فهو جاهلٌ، فلا تكترِثْ بلَومِه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾؛ أي: فقد أكرمْتُكَ بأن كَرَّهْتُها إلى زيدٍ فطلَّقَها فزوَّجْتُكَها إيصالًا لك إلى محبَّتِكَ، وتوسعةً عليك في المَلاذِّ المُباحةِ لك[2].

﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ في نكاحِ أزواجِ المُتبنَّينَ ﴿إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾.

قولُه: ﴿قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ كنايةٌ عن الطَّلاقِ؛ كما يقولُ الرجلُ لامرأتِه: لا حاجةَ لي فيك؛ يريدُ به طلاقًا، فتطلقُ.

وقيل: قضى محبَّتَه منها بغَضْتُها إليه.

وقيل: فلمَّا نالَ منها مُرادَه وملَّها فطلَّقَها.

ومعنى قضاءِ الوَطَرِ: إدراكُ الحاجةِ وبلوغُ المُرادِ منه.

﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾؛ أي: ما قضاه الله كائنٌ، وقيل: وكان تزويجُ[3] زينبَ كائنًا لا محالةَ.

---

(١) كذا في النسختين، والظاهر أنها ينبغي أن تكون: «فزوَّجكها».

(٢) وهذا كله مبني على أخبار لا تصح كما بيَّنا، وقد ذكرنا الصحيح في القصة، فلا حاجة لمثل هذه التعليلات.

(٣) في (ن): «تزوج».

وقيل: وكان قضاءُ الله في تزويجِ الأدعياءِ كائنًا بخلافِ أبناءِ الولادةِ وأبناءِ الرَّضاعِ.

وجاء في الحديثِ: أنَّ زينبَ رضي الله عنها كانت تفتخرُ على سائرِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وتقولُ: إنَّ الله تولَّى إنكاحي[١] منَ النَّبيِّ ﷺ، وأنتُنَّ إنَّما زوَّجَكُنَّ أولياؤُكُنَّ[٢].

قال الشَّعبيُّ: كانت زينبُ تقولُ للنَّبيِّ ﷺ: إنِّي لأُدِلُّ عليك بثلاثٍ لا تُدِلُّ بها غيري؛ جدِّي وجدُّك واحدٌ، وأنِّي أنكَحَنيكَ الله في السَّماءِ، وأنَّ السَّفيرَ جبريلُ[٣].

وقال يحيى بنُ سلامٍ: دعا رسولُ الله ﷺ زيدًا فقال له: ائتِ زينبَ فأخبِرْها أنَّ الله سبحانَه قد زوَّجَنيها، فانطلَقَ زيدٌ واستفتحَ البابَ، فقالت: مَن هذا؟ فقال: زيدٌ، قالت: وما حاجةُ زيدٍ إليَّ وقد طلَّقَني؟ فقال: رسولُ الله أرسلَني، فقالت: مرحبًا برسولِ رسولِ الله، ففتحَتْ له فدخَلَ عليها وهي تبكي، فقال زيدٌ: لا أبكى الله عينَكِ، قد كنتِ نعمتِ المرأةُ، إن كنتِ لتبَرِّينَ قَسَمي، وتُطيعينَ أمري، وتتَّبعينَ دَعوَتي[٤]، وقد أبدَلَكِ الله خيرًا منِّي، قالت: مَن لا أبا لكَ؟ قال: رسولُ الله ﷺ، فخرَّتْ ساجدةً[٥].

قال أنسٌ رضي الله عنه: وجاء رسولُ الله ﷺ حتَّى دخلَ عليها بغيرِ إذنٍ[٦].

---

(١) في (ف): «نكاحي».

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٤).

(٤) في «تفسير يحيى بن سلام»: «وتتبعين مسرتي».

(٥) ذكره بهذا السياق يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٢) عن الكلبي، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٨٥٠) مختصرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٦) رواه مسلم (١٤٢٨).

وكانت زينبُ أوَّلَ امرأةٍ ماتَتْ بعد موتِ النَّبيِّ ﷺ من أزواجِه، وأوَّلَ امرأةٍ حُمِلَتْ على نعشٍ؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه قال حينَ ماتَتْ: واسَوأتاه؛ تُحمَلُ أمُّ المؤمنين مكشوفةً كما يُحمَلُ الرِّجالُ، فقالت أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ: يا أميرَ المُؤمنين، إنِّي كنتُ شاهَدْتُ في بلادِ الحبشةِ شيئًا فيه للمرأةِ صيانةٌ، فوصفَتْه له، فأمرَ بعملِه، فلمَّا رآه قال: نِعمَ خِباءُ الظَّعينةِ[1].

* * *

(٣٨) ـ ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾: إثمٍ وضيقٍ.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: أحلَّ له وأمرَه به، وهو نكاحُ زينبَ امرأةِ زيدٍ.

وقيل: ﴿فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: وَقَّتَ له من عَدَدِ النِّساءِ.

وقيل: معناه: في التي وهبَتْ نفسَها للنَّبيِّ.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: سنَّةَ الله في الأنبياءِ الذين مَضَوا من قبلِه في زوالِ الحرجِ منهم ومن أمَّتِهم فيما أباحَه وأحلَّه لهم منَ الملاذِّ والمناكحِ.

الكلبيُّ ومُقاتلٌ: أرادَ داودَ عليه السَّلامُ جمعَ الله بينَه وبينَ المرأةِ التي هوِيَها حتَّى ولدَتْ ولدًا مثلَ سليمانَ عليه السَّلامُ[2].

وقيل: الإشارةُ بالسُّنَّةِ إلى النِّكاحِ؛ فإنَّه من سنَّةِ الأنبياءِ.

وقيل: إلى كثرةِ الأزواجِ، مثل قصَّةِ داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٦) عن الكلبي ومقاتل، وسيأتي الكلام على مثل هذه الروايات في تفسير سورة (ص).

و﴿سُنَّةَ﴾ نصبٌ على المصدرِ من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ، وقال الكوفيُّونَ: نصبٌ على القطعِ[١].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: ماضيًا كائنًا.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذين كانوا يُبلِّغونَ، فحُذِفَ (كان) لأنَّ قولَه: ﴿خَلَوْا﴾ يدُل عليه.

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذه صفةُ ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾، ومحلُّه جرٌّ، والمعنى: لا يخشَونَ قالةَ النَّاسِ ولائِمَتَهم فيما أحلَّ اللهُ لهم وفرَضَ عليهم.

القَفَّالُ: يجوزُ أن يكونَ وصفًا للنَّبيِّ عليه السَّلامُ في قولِه: ﴿عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾، ويكونَ المرادُ به العمومَ[٢].

قال: ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالخبرِ، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بـ(أعني).

وقيل: هذه الخشيةُ غيرُ تلك؛ لأنَّ تلك في الدِّينِ، وهذه استِحياءٌ، وكانت في حقِّ نفسِه عليه السَّلامُ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: حافظًا لأعمالِ خلقِه ومُحاسِبَهم عليها.

* * *

---

(١) يستعمل الفراء مصطلح القطع ويريد به الحال، ويستعمله ويريد به النصب بفعل محذوف، ويستعمله ويريد به الاستئناف، ولعل هذا هو المراد هنا. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٧) و(٢/ ٤٢٥) و(٢/ ٣٤٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٧)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؛ أي: من رجالِكم البالغين، وليس المُرادُ بالرِّجالِ الذُّكورَ؛ فإنَّه ﷺ كان أبا القاسمِ، والطَّيِّبِ، والطَّاهرِ، وإبراهيمَ، والحسَنِ، والحُسَينِ، عليهما السَّلامُ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كلُّ بني ابنةٍ منسوبون إلى أبيهم إلا الحسنَ والحسينَ»، ورُوِيَ: «إلا أولادَ فاطمةَ، فإنِّي أنا أبوهم وعصبتُهم»[1].

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قُرِئَ بالكسرِ والفتحِ[2]؛ فمَن كسرَه جعلَه اسمَ الفاعلِ من خَتَم؛ أي: ختمَ به النَّبيِّين[3]، فليس بعده نبيٌّ، ومَن فتحَ جعلَه اسمًا؛ أي: آخِرَ النَّبيِّين.

وقيل: الفتحُ والكسرُ لغتانِ في الاسمِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فلعِلْمِه بمصلحةِ عبادِه جعلَ محمدًا ﷺ آخِرَ النَّبيِّين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٣١)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ: «كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة؛ فإني أنا أبوهم وعصبتهم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٤): «فيه بشر بن مهران، وهو متروك».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٢٣) بلفظ: «لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم، وأنا عصبتهم»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٤): «فيه شيبة بن نعامة، وهو ضعيف».

(٢) قرأ عاصم: ﴿خاتَم﴾ بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) في (ف): «ختم النبيين».

وأفادَ دخولُ ﴿لَكِنْ﴾ أنَّ محمَّدًا ﷺ ليس بأبي أحدٍ من رجالِكم، بل هو أبو الجميعِ كما في مصحفِ أُبيٍّ: (وهو لهم أبٌ)[1].

وقيل: الفائدةُ فيه نفيُ الابنِ؛ لأنَّ منصبَه يقتَضي أنَّ ابنَه لو عاشَ لكان نبيًّا، فلم يكُنِ النَّبيُّ ﷺ حينئذٍ خاتمَ النَّبيِّين، فلمَّا كانَ خاتمَ النَّبيِّين عُلِمَ أنَّه ما كان محمَّدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم.

***

(٤١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ.

وقيل: اذكُروه؛ أي: أطيعُوه، والطَّائعُ للهِ ذاكرُ اللهِ وإنْ كانَ ساكتًا، ولا تكونوا كالمُنافقين الذين لا يذكرون الله إلَّا قليلًا.

***

(٤٢) ـ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: آخرَ النَّهارِ.

وقيل: التَّسبيحُ: الصَّلاةُ؛ أي: صلُّوا بالغداةِ والعشيِّ، وخُصَّتا بالذِّكرِ لأنَّ ملائكةَ اللَّيلِ وملائكةَ النَّهارِ مُجتمعون فيهما.

وقيل: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاةُ الفجرِ ﴿وَأَصِيلًا﴾: الظُّهرُ والعصرُ والمغربُ والعِشاءُ.

وقيل: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: دائمًا.

---

(١) رواها عن أبي بن كعب رضي الله عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٦)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٦)، ونسبت لابن مسعود في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

أبو عبيدة: الأصيلُ: العصرُ[١].

غيرُه: الأصيلُ: العشيُّ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: هو الذي يرحمُكم معاشرَ المُؤمنين ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾؛ أي: يستغفِرون لكم بأمرِه، من قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ الآيات [غافر: ٧ ـ ٩].

وقيل: نزلَتْ هذه بعد نزولِ قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وسيأتي ذِكرُه إنْ شاءَ الله.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: منَ الضَّلالةِ إلى الهدى، ومنَ الشِّركِ إلى الإيمانِ.

وقيل: من ظُلماتِ جهنَّمَ إلى نورِ الجِنانِ.

وقيل: منَ الجهلِ إلى العلمِ.

والمعنى: ليستَديمُوا الخروجَ منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ، لا أنَّهم حين يُصلِّي الله عليهم وملائكتُه في الظُّلماتِ.

وقيل: ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: يُثني عليكم، من قولِه: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨) وفيه: «ما بين العصر إلى الليل».

أبو عُبيدةَ: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يُبارِكُ عليكم[١].

الفَرَّاء: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: يغفرُ لكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ تستغفرُ لكم[٢].

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: وسبِّحوه بكرةً وأصيلًا ليُخرِجَكم منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ هو الذي يُصلِّي عليكم وملائكتُه.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

* * *

(٤٤) - ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي: تحيَّةُ المُؤمنين منَ الله يومَ دخولِ الجنَّةِ سلامٌ.

وقيل: تحيَّتُهم منَ الله السَّلامةُ لهم من جميعِ الآفاتِ، فيكونُ مُضافًا إلى المفعولِ.

وقيل: تحيَّةُ بعضِهم بعضًا السَّلامُ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ على أبوابِ الجنَّةِ بالسَّلامِ، وإذا دخلوها حيَّا بعضُهم بعضًا بالسَّلامِ، ثمَّ يأتيهم تحيَّةُ ربِّهم إيَّاهم بالسَّلامِ.

وقيل: تحيَّتُهم يومَ يلقَونَ الموتَ سلامٌ؛ أي: يُحيِّيهم ملَكُ الموتِ ويقولُ: الله يُقرِئُك السَّلامَ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: ثوابًا عظيمَ القَدْرِ؛ يعني: الجنَّةَ ونعيمَها.

* * *

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥).

(٤٥) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ لأمَّتِكَ وعليهم ﴿وَمُبَشِّرٗا ﴾ للمُؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا ﴾ للكافرين.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى توحيده ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بأمرِه لك بالدُّعاءِ.

وقيل: ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بتوفيقِه.

﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ السِّراجَ القرآنُ، فيكونُ له تقديرانِ:

أحدُهما: وتاليًا سراجًا.

والثّاني: وذا سراجٍ مُنيرٍ، ذا كتابٍ بيِّنٍ.

وقيل: (السِّراجُ المنيرُ) صفةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: ضياءً لمَن اهتدَى به.

وقيل: السِّراجُ المنيرُ: الدَّالُّ المُبيِّنُ للنَّاسِ أمورَ دينِهم حتَّى يتبيَّنوا ذلك كتبيُّنِهم بالسِّراجِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾؛ أي: يُعطيهم الزِّيادةَ على ما يستحِقُّونَ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فيما يَدْعونَكَ إليه من مُهادنةٍ ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ الأذى بمعنى: الإيذاءِ، فيحتمِلُ أن يكونَ مُضافًا إلى الفاعلِ؛ أي: لا تُبالِ بهم، ولا تخَفْ من إيذائِهم إيّاكَ، وقيل: تحمَّلْ عنهم[1].

ويحتمِلُ أن يكونَ مُضافًا إلى المفعولِ؛ أي: دَعْ إيذاءَكَ إيَّاهُم، وإليه ذهبَ الحسنُ[2]، وقال: هي مكّيةٌ، ومثلُها: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فتكونُ منسوخةً، والأوَّلُ أظهرُ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فوِّضْ أمورَكَ إليه؛ فإنَّه[3] لك كافٍ، وهذا يُقوِّي الوجهَ الأوّلَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافِظًا ومُعينًا.

* * *

(٣٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: إذا تزوَّجتُم النِّساءَ المُؤمناتِ.

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تُجامِعوهُنَّ.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: فليس عليهنَّ أيامُ التَّربُّصِ بأنفُسِهنَّ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، وذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢١٩) بلا نسبة، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٥١).

(٣) في (ف): «وإنه».

﴿تَعۡتَدُّونَهَا﴾ (اعتدَّ) يأتي على وجهين:

أحدُهما: بمعنى: عَدَّ، تقولُ: عَدَّ الشَّيءَ واعتَدَّه: أحصاه، ومنه: اعتَدَّتِ المرأةُ، فيكونُ إسنادُه إلى الرِّجالِ في هذه الآيةِ لبيانِ أنَّ العِدَّةَ حقُّ الزَّوجِ استبراءً للرَّحمِ(١).

والثاني: بمعنى: استَوفَى، كما تقولُ: زانَه وازدانَه، وكالَه واكتالَه، وعدَّه عليه واعتَدَّه، فيكونُ المعنى: فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ تستَوفُونَها.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا لغيرِ المدخولِ بها غيرِ المفروضِ لـها، إنَّ المفروضَ لـها نصفُ ما فُرِضَ(٢).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المتعةَ واجبةٌ لكلِّ مُطلَّقةٍ، وقد سبَق في (البقرةِ).

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: طلِّقوهُنَّ للسُّنَّةِ.

وقيل: أخرِجُوهُنَّ من منازِلكم؛ إذ ليس لكم عليهنَّ عِدَّةٌ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهُنَّ، وسُمِّيَ أجرًا لأنَّه العِوَضُ عن الشَّيءِ؛ أي: تزوَّجْتَهُنَّ على مهرٍ مفروضٍ معلومٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٢) قوله: «أن المفروضَ لـها نصفُ ما فُرِضَ»، كذا وقعت العبارة في النسختين، ولعل الصواب: «أمّا المفروضُ لـها فلها نصفُ ما فُرِضَ»، أو: «فإن المفروضَ لها لها نصفُ ما فُرِضَ».

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ في التَّفسيرِ: كانت عندَه صفيَّةُ بنتُ حُييٍّ، وجُوَيريَةُ بنتُ الحارثِ، وكانَ ﷺ أعتقَهما وتزوَّجَهما، ومارِيةُ القِبْطيَّةُ أهداها ملكُ إسكَنْدَر[ية][1].

القفَّالُ: هي ما كان يصطَفيه منَ الغنائمِ مـمَّا يشاءُ من جاريةٍ وغيرِها.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾: بناتِ العبَّاسِ وغيرِه من أولادِ عبد المُطَّلبِ.

﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ من ولدِ بناتِ عبد المُطَّلبِ.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ من ولدِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ.

﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ هاجَرْنَ دارَ الشِّركِ كما هاجَرْتَ، ووحَّدَ العمَّ والخالَ وجمَعَ العمَّاتِ والخالاتِ لأنَّ بني العمِّ وبني الخالِ كثُرَ دَوْرُها في الكلامِ فحَسُنَ الإيجازُ[2] وعُرِفَ، ولـم يكثُرْ دَورُها مع العمَّةِ والخالةِ فجاءت على الأصلِ.

المُبرِّدُ: الواحدُ الذي يقومُ مَقامَ الجمعِ لا يكونُ إلا مذكَّرًا، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، و﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ [الأنبياء: ٨]، قال: ولـم يأتِ مثلُ ذلك في المُؤنَّثِ[3].

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ﴾ تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ أحلَلْنا له، فيكونُ بمعنى المستقبلِ؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يكونُ في الماضي البتَّةَ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، ومارِيةُ القبطيةُ هي ماريةُ بنتُ شَمعونَ أهداها إلى رسول الله ﷺ المقوقسُ صاحبُ الإسكندريَّة، وأَهدى معها أختها سيرينَ. رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٨١٩) عن مصعب بن عبد الله الزبيري.

(٢) في (ف): «المجاز».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٠).

ويُقوِّي هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومجاهدٍ، فإنَّهما قالا: لـم يكُنْ عندَه ﷺ امرأةٌ وهبَتْ نفسَها له[١].

قال القفَّالُ: معنى ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ﴾: إدامةُ إحلالِ مَن كُنَّ عندَه ﷺ، واستئنافُ إحلالِ مَن لـم يكُنْ عندَه.

وقُرِئَ (أَنْ وهَبَتْ) بالفتحِ[٢]، و: (وَهَبَتْ) من غيرِ ﴿إِن﴾[٣]، فعلى هذَين الوجهَين محمولٌ على الأوَّلِ.

واختلَفُوا في الواهبةِ نفسَها منه ﷺ: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومجاهدٌ: لـم يكُنْ عندَه امرأةٌ وهبَتْ نفسَها له، كما ذكرْتُ[٤].

قالت عائشةُ رضي الله عنها: إنَّها خولةُ بنتُ حكيمٍ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥) عن مجاهد بلفظ: «﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾: إن تهب نفسها».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١) عن الحسن وعيسى وسلاَّم، و«المحتسب» (٢/ ١٨٢) عن أبي بن كعب والحسن وسلاَّم.

(٣) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٩)، واستغربه.

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٥) عن عائشة رضي الله عنها. وصح هذا عن عروة بن الزبير، رواه البخاري (٥١١٣) عنه قال: «كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل. قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٦٤): «هذا مرسل؛ لأن عروة لم يدرك زمن القصة، لكن السياق يشعر بأنه حمله عن عائشة رضي الله عنها».

وقيل: ميمونةُ بنتُ الحارثِ[1].

وقيل: زينبُ بنتُ خُزَيمةَ أمُّ المساكينِ، امرأةٌ منَ الأنصارِ[2].

وقيل: هي أمُّ شَرِيكٍ بنتُ جابرٍ[3].

﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ نَكَحَ واستنكَحَ بمعنًى.

وقيل: طلَبَ نكاحَها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥)، من طريق سعيد عن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وروواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٦٦) و(٢٢٦٧) من قول عكرمة والزهري وقتادة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٨٢)، عن الشعبي. وقولهم فيه: «من الأنصار» تعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٣) بقوله: «وأمَّا حكايةُ الماوَرديِّ عن الشَّعبي أنَّ زينبَ بنتَ خُزيمةَ أمَّ المساكينِ أنصاريةٌ، فليس بجيدٍ؛ فإنها هلاليةٌ بلا خلافٍ».
قلت: وقد ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٤) عن الشعبي فقال: «الهلالية» على الصواب.
وقد روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥)، عن الشعبي: «أنها امرأة من الأنصار وهبت نفسها للنبي، وهي ممن أرجأ».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٦)، عن علي بن الحسين. وفي هذه المصادر: أنها من الأَزْد، وليس فيها: «بنت جابر». وكونها بنت جابر رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٥٥) عن منير بن عبد الله الدوسي في خبر طويل، وفيه أنه ﷺ قد قبلها. وروى النسائي في «الكبرى» (٨٨٧٩) عن هشامِ بن عروةَ، عن أبيه، عن أم شَرِيك: «أنها كانت فيمَن وهبت نفسها للنبي ﷺ» قال الحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٤٠): «ورجاله ثقات، ولم ينسبها».
وقد وقع في اسمها ونسبها، وهل قبلها النبي أم لم يقبلها؟ خلاف كثير. انظر: «الإصابة» (٨/ ٢٣٧و٢٣٨) ترجمة أم شريك الدوسية، وأم شريك العامرية القرشية، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٥٣).

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ابنُ زيدٍ في جماعةٍ: معناه: أنَّ الواهبةَ نفسَها لك خالصةٌ لا يحلُّ لأحدٍ من أمَّتِك أن يتزوَّجَها في حياتِك وبعد وفاتِك[١].

قتادةُ ومجاهدٌ: هو أن يتزوَّجَها بغيرِ مهرٍ، ولا يحلُّ لغيرِك[٢].

وقيل: إنَّ النِّكاحَ بغيرِ وليٍّ ولا شهودٍ خالصةٌ للنَّبيِّ.

وقيل: تملكُ نكاحَها بلفظِ الهبةِ، وليس ذلك لغيرِك.

وقيل: خلوُّ الوطءِ عن البدلِ خالصةٌ لك.

وقيل: ﴿خَالِصَةً﴾ صفةٌ للمرأةِ؛ أي: خصَّكَ الله بها.

وقيل: ﴿خَالِصَةً﴾ ترجعُ[٣] إلى جميعِ ما في الآيةِ؛ أي: هذا الإكثارُ منَ النِّكاحِ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأنهم مقصورون على أربعِ نسوةٍ، وهذا القولُ عن أبيِّ بنِ كعبٍ[٤].

و﴿خَالِصَةً﴾ و(خاصَّةً) مصدرانِ يستوي فيهما لفظُ المذكَّرِ والمُؤنَّثِ؛ كالخاطئةِ والكاذبةِ واللّاغيةِ بمعنى: الخطيئةِ والكذبِ واللَّغوِ.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يُريدُ: شرائطَ صِحَّةِ النِّكاحِ: من حُضورِ الوليِّ، والشُّهودِ، والصَّداقِ، وأن يكون على عددٍ معلومٍ.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٣) عن ابن زيد قال: «كان كل امرأة آتاها مهرًا فقد أحلها الله له، إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا امرأة لها زوج».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٢).

(٣) في (ف): «يرجع».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٤).

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ﴾ بالشِّرى وغيرِه من وجوهِ الإملاكِ.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ فقصَرْناهُم على أربعٍ.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضِيقٌ وحظرٌ، ولامُ ﴿لِكَيْلَا﴾ مُتَّصلٌ بما قبلَه؛ أي: قد خصَصْناكَ في بابِ النِّكاحِ بأشياءَ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في النِّكاحِ، فعلى هذا يكونُ قولُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مُتَّصلًا بالمؤمنين، والوصلُ أحسنُ منَ الوقفِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ المعنى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ إذا سألَكَ المؤمنون عن فرضِ النِّكاحِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمَن قامَ بهذه الأحكامِ ولـم يتعدَّها ﴿رَّحِيمًا﴾ حيثُ وسَّعَ عليه الأمرَ.

* * *

(٥١) - ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ حين غارَ بعضُ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وآذينَه بالغَيرةِ وطَلَبِ زيادةِ النَّفقةِ، فهجرَهُنَّ رسولُ الله ﷺ شهرًا حتَّى نزلَتْ آيةُ التَّخييرِ، وأمرَه الله أن يُخيِّرهُنَّ بين الدُّنيا والآخرةِ، وأن يُخلِّيَ سبيلَ مَن اختارَتِ الدُّنيا، ويُمسِكَ مَن اختارتِ الله ورسولَه على أنَّهنَّ أمَّهاتُ المُؤمنين، ولا يُنكَحْنَ أبدًا، وعلى أنَّه يُؤوي مَن يشاءُ إليه، ويُرجي مَن يشاءُ منهنَّ ويرضينَ به؛

قسَمَ لهنَّ، أو لـم يَقسِمْ، أو فَضَّلَ بعضَهُنَّ على بعضٍ في النَّفقةِ والقِسمةِ، ويكونُ الأمرُ في ذلك إليه، يفعلُ ما يشاءُ، فرَضِينَ بذلك كلِّه، فكانَ رسولُ الله ﷺ مع هذا كلِّه يُسوِّي بينهُنَّ في القَسْمِ(١).

روَتْ مُعاذةُ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ بعدما نزلَتْ هذه الآيةُ يستأذِنُنا إذا كان في يومِ المرأةِ منّا، قالت مُعاذةُ: فقلتُ: ما كنتِ تقولين؟ قالت: كنتُ أقولُ: إنْ كان ذلك إليَّ لـم أُوثِرْ أحدًا على نفسي(٢).

وعن هشامِ بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّها قالت لرسولِ الله ﷺ حين نزلَتْ هذه الآيةُ: أرى ربَّكَ يُسارِعُ لك في هواك(٣).

والإيواءُ: الضَّمُّ والتَّقريبُ.

والإرجاءُ: التَّأخيرُ، يُهمَزُ ولا يُهمَزُ(٤).

وكانت ممَّن آوى: عائشةُ، وحفصةُ، وزينبُ، وأمُّ سلمةَ.

وكانت ممَّن أرجى: أمُّ حبيبةَ، وميمونةُ، وصفيَّةُ، وسودةُ، وجُوَيريَةُ، رضي الله عنهنَّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٢) عن ابن زيد، وهو مرسل، وأوله عند مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر قال: «دخل أبو بكر على النبي ﷺ والناس على الباب جلوس...»، الحديث، وفيه قول النبي ﷺ: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فذكر الحديث، وفيه: «فأنزل الله آية التخيير».
وقوله: «وهجرهن شهراً» هو من حديث عائشة عند البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٠٨٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٩)، ومسلم (١٤٧٦).

(٣) رواه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر: ﴿تُرْجِئُ﴾ بالهمز، وباقي السبعة بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: تُطلِّقُ مَن تشاءُ، وتُمسِكُ مَن تشاءُ(١).

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طلَبْتَ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: طَلَّقْتَ بالرَّجعةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

الحسنُ: هذا في الابتداءِ؛ أي: تتركُ نكاحَ مَن شئتَ وتنكحُ مَن شئتَ، ومَن طلبتَ ممَّن تركتَ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾(٢).

وقيل: هذا مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾؛ أي: تَرُدُّ نكاحَ مَن شئتَ، وتقبَلْ نكاحَ مَن شئتَ.

مجاهد: تعزِلُ مَن شئتَ منهنَّ فلا تأتيها، وتأتي مَن شئتَ فلا تعزلُها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾(٣).

قتادةُ: تُؤخِّرُ عن الفراشِ، وتُؤوي إلى الفراشِ(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٥)، كلاهما دون قوله: «ومن طلبت...».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٦).

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٩/ ١٤٣) بلفظ: «كان هذا شيء جعله الله لنبيه وليس لأحد غيره، كان يدع المرأة من نسائه ما بدا له من غير طلاق، فإذا شاء راجعها ويتركها كذلك»، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٤) بلفظ: «كان النبي ﷺ موسعاً عليه في قسم أزواجه أن يقسم بينهن كيف شاء فذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] إذا علمن أن ذلك من الله»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٣) بلفظ: «هذه في نسائه، إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه».

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ خبرُه، ويجوزُ أن يكونَ نصبًا، ويكونُ شرطًا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ جزاؤُه.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾؛ أي: إنَّك إذا لـم تجعَلْ لواحدةٍ منهنَّ يومًا كُنَّ في ذلك سواءً؛ تُؤمِّلُ أن تُؤْوِيَها إلى فراشِكَ بدلًا عن صاحبَتِها.

وقيل: هذا يرجعُ إلى قولِه: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؛ أي: إذا آويتَ المعزولةَ طابت سائرُ المعزولاتِ نفسًا، فلم ينقطِعْ طمعُهنَّ فيك.

وقيل: معناه: هذا الذي أبحتُه لك من تركِ القَسْمِ وغيرِه إذا علِمْنَ أنَّه من قِبَلي ومن أمري طابَتْ نفوسُهنَّ بذلك منك؛ لعلمِهنَّ بالثَّوابِ على طاعتِهنَّ، وإذا كان مِن قِبَلِك حزِنَّ وحمَلْنَ على مَيلِكَ إلى بعضِهنَّ دون بعضٍ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فاجتَهِدوا في الإحسانِ إليهنَّ وطلَبِ رِضاهُنَّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمَن عدلَ فيهنَّ ﴿حَلِيمًا﴾ عمَّنْ لا يعدلُ، فلا يُعجِّلُ بالجزاءِ.

و﴿كُلُّهُنَّ﴾ رفعٌ تأكيدٌ للضَّميرِ في ﴿يَرْضَيْنَ﴾.

* * *

(٥٢) ـ ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ في هذه الآيةِ أقوالٌ:

عليٌّ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما والضَّحَّاكُ: ذهبوا إلى أنَّها منسوخةٌ بالآيةِ

التي سبقَتْ وهي: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾[١]، وإلى هذا ذهبَتْ عائشةُ رضي الله عنها، وقالت: ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له النِّساءَ[٢].

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: لـم يمُتْ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له أن يتزوَّجَ منَ النِّساءِ مَن شاء إلّا ذاتَ مَحرَمٍ[٣].

ولا يمتنعُ صحةُ هذا التَّأويل لتقدُّمِ الآيةِ النَّاسخةِ على المنسوخةِ؛ لأنَّ ذلك في التِّلاوةِ لا في النُّزولِ، كما قلنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] في (البقرة).

والقولُ الثّاني: أنَّها مُحكَمةٌ، وأنَّ الله سبحانَه أحلَّ لنبيِّه نساءَه التِّسعَ وستّةَ أصنافٍ أُخرى؛ بناتِ العمِّ، وبناتِ العمّةِ، وبناتِ الخالِ، وبناتِ الخالةِ، وامرأةً مؤمنةً تهبُ نفسَها للنَّبيِّ، وما شاء منَ الإماءِ، وحرَّمَ ما سوى ذلك منَ الكتابيَّاتِ، والعربيَّاتِ النَّسبِ كما تقدَّمَ في الآية الأولى، وهي: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ الآية.

والقولُ الثّالثُ: قال الحسنُ: قصَرَه الله على التِّسعِ اللَّاتي اخترْنَ الله ورسولَه، وحرَّمَ عليه أن يتزوَّجَ سواهُنَّ، وأباحَ له التَّسرِّيَ ما شاء[٤].

قوله ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ قيل: من بعد هذه الصِّفةِ.

---

(١) ذكره النحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وعلي بن الحسين والضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢١)، واستغربه.

(٢) رواه الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٧).

وقيل: من بعدِ المسلماتِ.

وقيل: من بعدِ ما قصَّ عليك.

وقيل: من بعدِ اللَّواتي عندك.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾؛ أي: ليس لك أن تستبدلَ بهنَّ غيرَهن وإن وقعَ في قلبِك حبُّهنَّ.

قيل: إنَّ التي أعجبَه حسنُها أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ بعد قتلِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ عنها[1].

وقيل: حرَّمَ عليه أن يُبدِّلَ بعضَ نسائِه بيهوديَّةٍ أو نصرانيَّةٍ، وفيه بُعْدٌ.

وأبعَدُ من هذا ما حُكِيَ عن ابنِ زيدٍ: أنَّ العربَ كانت تُبادِلُ بأزواجِها، يقولُ أحدُهم للآخرِ: خُذْ زوجتي وأعطِني زوجتَك[2]، فنفَى الله ذلك عنه ﷺ، وهذا يقتَضي: ولا أنْ تُبادِلَ بهنَّ.

قولُه: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾؛ أي: الإماءُ، و﴿مَا﴾ محلُّه رفعٌ، وإن شئتَ قلتَ: نصبٌ[3].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾: حافظًا غيرَ ساهٍ ولا غافلٍ.

* * *

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٣). ونسبه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٤) لابن عباس رضي الله عنهما. وضعفه ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٦٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٧).

(٣) النصب على الاستثناء، والرفع على البدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾؛ لأن الاستثناء تام منفي، فجاز فيه الوجهان.

(٥٣) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا بنى بزينبَ بنتِ جحشٍ أَوْلَـمَ عليها بتمرٍ وسَوِيقٍ، وذبَحَ شاةً، قال أنسٌ رضي الله عنه: وبعَثَتْ أمِّي أمُّ سُلَيمٍ بحَيْسٍ في تورٍ من حجارةٍ، فأمرَني النَّبيُّ ﷺ أن أدعوَ أصحابَه إلى الطَّعامِ، فدعَوتُهم، فجعلَ القومُ يجيئون ويأكُلون ويخرُجون، ثمَّ يجيءُ القومُ فيأكُلون ويخرُجون، فقلتُ: يا نبيَّ الله، قد دعوتُ حتَّى ما أرى أحدًا أدعوه. فقال: «ارفَعُوا طعامَكم» فرفَعُوا، وخرجَ القومُ وبقيَ ثلاثةُ نفرٍ[١] يتحدَّثون في البيتِ، فأطالُوا المكثَ، وتأذَّى بهم رسولُ الله ﷺ، وكان شديدَ الحياءِ، فنزلَت هذه الآيةُ[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في ناسٍ منَ المُؤمنين كانوا يتحيَّنون طعامَ رسولِ الله ﷺ فيدخُلون عليه قبل الطَّعامِ إلى أن يُدْرِكَ، ثمَّ يأكُلون ولا يخرُجون، وكان رسولُ الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلَتْ هذه الآية[٣].

---

(١) «نفر» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨). ولفظ المصنف من «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥١٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٧٨).

والمعنى: لا تدخُلوا منازلَ النَّبيِّ ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾؛ أي: إلا أن يدعوَكم إلى طعامٍ يُريدُ أن يُطعِمَكُموه، والتَّقديرُ: إلا بأنْ[١] يُؤذَنَ، ولِأَنْ يُؤذَنَ لكم.

﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: غيرَ مُنتَظرين إدراكَه وما يُرادُ أن يبلغَه، وفيه ثلاثُ لغات: أَنى الشَّيءُ أَنًى، وإِنًى، وأَنْيًا.

و﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ حالٌ من ﴿لَكُمْ﴾، والمعنى: غيرَ مُنتظِرين إناه.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (غيرِ) بالجرِّ[٢]، وأجازَه الفرَّاءُ[٣]، وهو ضعيفٌ عند البصريِّين غيرُ جائزٍ؛ لأنَّه جرى على غيرِ مَن له الفعلُ، فلا بدَّ من إبرازِ الضَّميرِ وهو «أنتم»[٤].

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾: تفرَّقوا ولا تمكُثوا بعد الفراغِ من الطَّعامِ.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾؛ أي: لا تشتَغِلوا بعد الفراغِ منَ الطَّعامِ بحديثٍ يحدِّثُ بعضُكم بعضًا ليُؤنسَه به.

و﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾ نصبٌ بالعطفِ على ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾.

الفرَّاءُ: جرٌّ بالعطفِ على ﴿نَٰظِرِينَ﴾؛ أي: غيرَ ناظرين وغيرَ مُستأنسين[٥].

الزَّجَّاجُ: نصبٌ تقديرُه: لا تدخُلوا مستأنِسين[٦].

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢١) عن نصر بن علي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٤) قال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٣٤): «ولا يجوز الخفض في (غير)؛ لأنها إذا كانت نعتاً للطعام لم يكن بد من إظهار الفاعل، لا يجوز إلا: غير ناظرين إناه أنتم».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٧).

(٦) لم أجده عن الزجاج صريحاً، ولكن الزجاج قدّر فعلًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، ثم قال: «وهذا كما قال»، وذكر الآية، فلعل المصنف نقل عنه لأجل هذا. انظر «معاني =

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾؛ أي: إنَّ في لُبثِكم بعد الفراغِ أذًى للنَّبيِّ، يضيقُ المنزلُ عليه وعلى أهلِه ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يأمُرَكم بالخروجِ من منزلِه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: لا يتركُ إبانةَ الحقِّ، بل يأمُركم بما فيه تعظيمُ نبيِّه بتركِ دخولِ بيتِه بغيرِ إذنِه، وتركِ اللُّبثِ في منزلِه بعد الفراغِ ممَّا يدعوكُم له.

وقُرِئَ بينَ يدَي إسماعيلِ بنِ حكيمٍ[1] هذه الآيةُ فقال: هذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثُّقلاءَ[2].

وعن الحسنِ والسُّدِّيِّ قالا: ذكرَ الله الثُّقلاءَ في القرآنِ فقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾[3].

= القرآن» (٥/ ١٣٩)، وهذا القول قاله السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٠)، وذكره دون عزو المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢١).

(١) في «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٢٤): «إسماعيل بن أبي حكيم». ووهَّم البخاري من قال: إسماعيل بن حكيم، وهو إسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان، وقيل: مولى الزبير بن العوام، مدني قرشي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان كاتب عمر بن عبد العزيز، وله به اختصاص، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: «تهذيب الكمال» (٣/ ٦٣ـ٦٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٣٧٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢)، واستغربه.

(٣) ذكره عنهما ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٥٦)، وعن الحسن ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٤٢٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣٠١)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥) عن ابن عائشة، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤٩) عن سليمان بن أرقم في قوله: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال: «نزلت في الثقلاء».

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ أثاثًا. وقيل: صحُفَ القرآنِ. وقيل: شيئًا مـمَّا يُنتَفَعُ به من طعامٍ وآلةٍ وأداةٍ.

﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ذهبَ جلُّ المُفسِّرين إلى أنَّ سببَ نزولِ آيةِ الحجابِ قولُ عمرَ رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: لو حجَّبْتَ أمَّهاتِ المؤمنين؛ فإنَّه يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ(١).

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ رجلًا كان يأكلُ مع النَّبيِّ ﷺ وعائشةُ رضي الله عنها معهما، فأصابَتْ يدُ الأعرابيِّ يدَ عائشةَ، فكرِهَ النَّبيُّ ﷺ ذلك(٢).

وقيل: كان ذلك الرَّجلُ عمرَ رضي الله عنه، فأصابت أصبعُه أصبعَ عائشةَ رضي الله عنها فقال: حَسِّ - وهي كلمةٌ تستعملُ عندَ الوجعِ منَ(٣) الشَّيءِ مثلُ (أوه) - لو أُطاعُ ما رأتكُنَّ عينٌ، فنزلَتْ آيةُ الحجابِ(٤).

وقيل: نزلَتْ في عرسِ زينبَ رضي الله عنها كما سبقَ.

فضربَ عليهنَّ رسولُ الله ﷺ الحجابَ، وأُمِرْنَ أن يحتجِبْنَ من المؤمنين.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٩٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٠) عن مجاهد.

(٣) في (ف): «عن».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٥٨) عن مجاهد مرسلًا، ووصله البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٥)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٢٧)، و«الأوسط» (٢٩٤٧)، من طريق مجاهد عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٣): «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير، وهو ثقة».

قولُه: ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ يُريدُ: نساءَ النَّبيِّ ﷺ، ولـم يتقدَّمْ في الآيةِ ذِكرُهنَّ، لكنَّ لفظَ البيوتِ دلَّتْ عليهنَّ، كأنَّه قال: لا تدخلوا بيوتَ النَّبيِّ وفيها النِّساءُ.

وقيل: النِّساءُ عامٌّ.

وذهبَ بعضُهم: إلى أنَّ البيوتَ هاهنا النِّساءُ[١]، كما قال الشَّاعرُ:

مالــي إذا نَزَعْتُهــا صَأَيْــتُ   أَكِبَــرٌ غَيَّرنــي أم بَيْــتُ[٢]

وهذا بعيدٌ، لا يُقالُ: (دخلتُ البيتَ) إذا أرادوا به المرأةَ.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من خواطرِ الشَّيطانِ وعوارِضِ الفِتَنِ من مَيلِ الرِّجالِ إلى النِّساءِ والنِّساءِ إلى الرِّجالِ طبعًا.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ هذا هو الأوَّلُ، وتقديرُه: إنَّ ذلكم كان يُؤذي النَّبيَّ وليس لكم أن تُؤذوا رسولَ الله، و﴿كَانَ﴾ زيادةٌ عند أبي عبيدةَ[٣]، بل أفاد ﴿كَانَ﴾ أنَّ هذا هو حكمُ الله السَّابقُ.

والقولُ الثَّاني: ﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بمُخالفةِ ما أمرَ الله في حقِّ نسائِه.

﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾؛ أي: بعد موتِه، وقيل: بعد فِراقِه وطلاقِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢)، وعده من العجائب.

(٢) نسب الرجز لرؤبة. انظر: «ملحق ديوان رؤبة» (ص: ١٧١)، و«كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٤٢٥).

وهو بلا نسبة في: «معجم ديوان الأدب» (٣/ ٢٩٨)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٣٨)، و«الصحاح» مادة: (ص أ ى)، وفيه: الصَّئِيُّ على فَعيل: صوت الفرخ ونحوه. يقال: صأى الفرخ؛ إذا صاح.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٠).

وفي سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال رجلٌ من سادةِ قُريشٍ: لو تُوفِّيَ رسولُ الله لتزوَّجْتُ عائشة، فأنزلَ الله ما أنزلَ[١].

أي: ما كان لكم أن تُؤذوه في حياتِه ولا بعد مماتِه؛ لأنَّ مَن فارقَ الدُّنيا وعنده أنَّ امرأتَه لا تَنْكحُ زوجًا بعده كان ذلك أطيبَ لنفسِه في تلك الحالةِ، وإنَّما حُرِّمْنَ لأنَّهنَّ أمَّهاتُ المؤمنين، والرَّجلُ لا ينكحُ أمَّه، ولأنَّهنَّ أزواجُ النَّبيِّ ﷺ في الجنَّةِ، والمرأةُ في الجنّةِ لآخرِ أزواجِها كما جاء في الحديثِ[٢]، ولهذا لـم تجِبْ عليهنَّ العِدَّةُ بوفاةِ رسولِ الله ﷺ، ولزِمَتْ نفقاتُهنَّ في بيتِ المالِ.

وقيل: وجبَتْ عليهنَّ العِدَّةُ؛ لأنَّها عبادةٌ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: نكاحُ نسائِه من بعدِه، وإظهارُ هذه اللَّفظةِ في حالِ حياتِه.

﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ في الإثمِ يُستحَقُّ عليه الوعيدُ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ فيه إيذاءُ النَّبيِّ ﷺ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسِكم ممَّا لو ظهرَ له لآذاه.

ويحتمِلُ أنَّ بعضَهم أضمرَ نكاحَ بعضِ نسائِه في قلبِه، وبعضَهم أظهرَ، فتُوعِّدَ بذلك الفريقانِ بقولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾؛ أي: فاحذَروا مُخالفتَه.

---

(١) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤١٨)، وذكره الواحدي في أسباب النزول» (ص: ٣٦١) واللفظ له، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧٢) عن قتادة.

(٢) هو ما رواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٣٠) عن أبي الدرداء: «أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٠) «فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط»، قلت: له شاهد رواه أبو يعلى، وقال عنه البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٤/ ١١٥): «رجاله ثقات».

(٥٥) - ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ ثمَّ استثنى مَن يجوزُ لهنَّ ألّا يحتجِبْنَ عنه فقالَ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّهنَّ النِّساءُ المؤمناتُ؛ أي: عليهنَّ الاحتِجابُ عن الكوافرِ والكتابيَّاتِ، والإضافةُ إشارةٌ إلى الاجتماعِ على الإيمانِ.

وقيل: عامٌّ.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قيل: الإماءُ.

وقيل: عامٌّ في العبيدِ والإماءِ، وقد سبق في سورةِ (النُّورِ).

ولـم يذكرِ الأعمامَ والأخوالَ لِـمكانِ بَنِيهم، ولـم يذكرِ البُعولةَ لأنَّ الاحتجابَ لأجلِهم.

وأما بنو البُعولةِ فقال عمرُو بنُ دينارٍ: كان الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما لا يريانِ أمَّهاتِ المؤمنين. وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ رؤيتَهنَّ لهما تحلُّ[1].

وقيل: لـم يُذكَرا لأنَّهما كانا يومَئذٍ صغيرَين.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: عقابَ الله من دخولِ الأجانبِ عليكنَّ.

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٩١) بلفظ: «عن عمر بن دينار عن محمد بن علي، قال: كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين. قال ابن عباس: يرى أن رؤيتهن لهما حل».

وقيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ في مجاوزةِ ما أُمرتُنَّ به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ عالمًا.

وقيل: شاهدًا يشهدُ على كلِّ نفسٍ بما عملَتْ.

***

(٥٦) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن كعبِ بنِ عجرةَ رضي الله عنه قال: قيل للنَّبيِّ ﷺ: قد عرَفْنا السَّلامَ عليك، فكيف الصَّلاةُ عليك؟ فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فقال ﷺ: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللّهمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ كما بارَكْتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ»(١).

وروى بعضُهم: «كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ»، وكذلك: «كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ»(٢).

وفي روايةِ أبي(٣) مسعودٍ رضي الله عنه: «كما باركتَ على آلِ إبراهيمَ في العالمين»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في النسختين: «ابن»، والمثبت من «صحيح مسلم».

(٤) رواه مسلم (٤٠٥).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه عشرًا»(١).

وقال مجاهدٌ: لـمَّا نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: ما أعطاكَ الله من خيرٍ إلّا أشركْتَنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾(٢).

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: صلاةُ الله المغفرةُ، وصلاةُ الملائكةِ الاستغفارُ، وصلاةُ المؤمنين الدُّعاءُ(٣).

وقيل: صلاةُ الله الثَّناءُ، وصلاةُ الملائكةِ الدُّعاءُ.

وقيل: صلاةُ الله على النَّبيِّ إشاعةُ الخيرِ عنه.

وقيل: معنى صلِّ على محمَّدٍ: زِدْ محمَّدًا بركةً ورحمةً.

ورُوِيَ أنَّهم قالوا: أرأيتَ يا رسولَ الله قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟ قال: «هذا منَ العلمِ المكنونِ، ولولا أنتم سألتُموني عنه لَـمَا أجبتُكم، إنَّ الله وكَّلَ بي ملكَين، فلا أُذكَرُ عند عبدٍ مسلمٍ فيُصلِّي عليَّ إلّا قال ذانِكَ الملَكان: غفرَ الله لك، وقال الله وملائكتُه لذينِك الملَكين: آمين، ولا أُذكَرُ عند عبدٍ

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ابن حبان في «صحيحه» (٩٠٦). ورواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه عن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٢)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٦) عن أنس رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩١٨)، واستغربه.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٣٩) بلفظ: «﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته».

مُسلمٍ فلا يُصلِّي عليَّ إلّا قال ذانِك الملكانِ: لا غفرَ الله لك، وقال الله وملائكتُه لذَينِك الملَكين: آمين»(١).

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه إذا صلَّى عليه مرَّةً فقد امتثلَ وأدَّى الفرضَ(٢)، والجمهورُ على أنَّه يجبُ كلَّما ذكرَه أو ذُكِرَ بين يدَيه.

قال أبو عليٍّ: ليس في قولِه: ﴿يُصَلُّونَ﴾ ضميرُ الله سبحانَه؛ لأنَّ الله لا يُضمَرُ مع غيرِه كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وقد سبق، وتقديرُه: إنَّ الله وملائكتَه يُصلُّون هم وهو(٣).

المُبرِّدُ: لا يجوزُ (وملائكتُه) بالرَّفعِ، ولو كان التَّقديرُ: «إنَّ الله يُصلي وملائكتُه يُصَلُّون» لجازَ؛ لأنَّك لا تقولُ: إنَّ الله يُصلون(٤).

قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ قيل: معناه: وسلِّموا عليه سلامًا.

وقيل: أُمِروا بأن يقولوا: صَلِّ على محمَّدٍ وسلِّمْ.

وقيل: معناه: انقادوا لأمرِ الله، وابذُلوا الجهدَ فيه، وسلِّموا الأمرَ بالطّاعةِ له.

* * *

(٥٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قيل: يُؤذون أولياءَ الله، فحُذِفَ المُضافُ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٠) من حديث الحسن رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٣): «فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣)، وللتنبيه على هذا الخطأ قصة ذكرها الزجاجي في «أماليه» (ص: ٢٢٦).

وقيل: ذِكرُ الله تعظيمٌ كما سبقَ في قولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقيل: معنى ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾: يعصونَ الله.

وفي جميع التَّفاسيرِ[1]: هم أصحابُ التَّصاويرِ، كأَنَّهم يُعارِضون الله ويرَون أَنَّهم يخلُقون مثلَ خلقِه.

وأذى الرَّسولِ ما كان المنافقون يقولون في نكاحِ زينبَ وفي نكاحِ صفيَّةَ بنتِ حُيِيٍّ.

وقيل: الآيةُ عامَّةٌ لجميعِ المعاصي الكبيرةِ.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبْيِ وعذابِ القبرِ ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالنّارِ والعذابِ الأليمِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يُهينُهم مع الإيلامِ.

* * *

(٥٨) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ = أنَّ عمرَ رضي الله عنهما رأى جاريةً من الأنصارِ مُتبرِّجةً، فضربَها وكزةً لِمَا رأى من زينتِها، فذهبَتْ إلى أهلِها تشكو عمرَ، فخرَجُوا إليه فآذَوه، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[2].

---

(١) كذا في النسختين، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣): «ذهب جماعة إلى أنهم أصحاب التصاوير»، واستغربه؛ ففي نسبته هنا لجميع التفاسير إشكال، والله أعلم.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٨٣) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا طريق روي عن ابن عباس بإسناد ساقط.

مُقاتِلٌ: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه، وذلك أنَّ ناسًا منَ المُنافقين كانوا يُؤذونَه ويُسمِعونَه(١).

الضَّحَّاكُ والكلبيُّ والسُّدِّيُّ: نزلت في الزُّناةِ الذين كانوا يمشون في طرقِ المدينةِ يَتْبعون النِّساءَ إذا برَزْنَ باللَّيلِ لقضاءِ حوائجِهنَّ، فيرَونَ المرأةَ فيَدْنونَ منها فيغمِزونَها؛ فإنْ سكَتَتْ اتَّبعوها، وإن زجَرَتْهم انتهَوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلّا الإماءَ، ولكنْ لم يكُنْ يومَئذٍ تُعرَفُ الحرَّةُ منَ الأمةِ، إنَّما يخرُجْنَ في درعٍ وخمارٍ، فشكَونَ ذلك إلى أزواجِهنَّ، فذكروا ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلَتْ هذه الآيةُ(٢).

وقيل: نزلَتْ في قصَّةِ عائشةَ وصفوانَ رضي الله عنهما(٣).

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا﴾: كذبًا عظيمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا.

***

(٥٩) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: حرائرِ المؤمنين.

وقيل: أزواجِ المؤمنين.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾: يُغطِّين في بروزِهنَّ منَ البيوتِ أبدانَهنَّ بمَلاحفِهنَّ وأردِيَتِهنَّ، بخلافِ الأَمَةِ التي هي مكشوفةُ الرَّأسِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٧).

(٢) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) عن السدي، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٢٣) عن الضحاك.

المُبرِّدُ: الجلبابُ: ما يسترُ الكلَّ مثلُ المِلْحَفةِ، تقولُ العربُ: تَجَلْبَبْتُ اللَّيلَ؛ أي: تستَّرتُ به[1].

ابنُ عيسى: هي الخمارُ؛ أي: المِقنَعة.

وفي أكثرِ التَّفاسيرِ: الرِّداءُ، أمرَهُنَّ الله بسترِ مواضعِ العورةِ من أبدانهنَّ.

وقيل: تسترُ بالإزارِ وجهَها إلّا عينًا واحدةً.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ بزيِّهن أنَّهنَّ حرائرُ ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يُؤذِيهنَّ أهلُ الرِّيبةِ.

وقيل: يُعرَفْنَ بالعفافِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما سلَفَ من تركِ الجلبابِ ﴿رَّحِيمًا﴾ بعبادِه.

* * *

(٦٠) ـ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ هم الذين أظهروا الإيمانَ وأسرُّوا الكفرَ ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، وقيل: زنًى[2].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم ثلاثةُ نفرٍ، ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: هم قومٌ منَ المسلمين يُرجِفونَ بالأخبارِ الكاذبةِ يسمعونها فيُذيعونها حبًّا منهم للفتنةِ.

وأصلُ الإرجافِ: تحريكُ القلوبِ، من قولِه سبحانه: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٥٨٧٠)، وفيه: «وقال المبرد: الجلباب كل ملحفة تستر من ثوب أو ملحفة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٠) و(٢٣٨١) عن عكرمة بلفظ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: «الزُّناة».

[النازعات: ٦]؛ أي: إنْ لـم ينتَهِ هؤلاءِ مِن أذى المؤمنين، والتَّضريبِ بينَهم، وإلقاءِ الشُّكوكِ في قلوبهم، والإرجافِ بأنْ فعلَ فلانٌ كذا وفعلَتْ فلانةُ كذا، وتوليدِ الأخبارِ التي لا أصلَ لها من عندِ أنفسِهم.

وقيل: هم قومٌ واحدٌ، وهم المنافقون، وصِفُوا بهذه الأوصافِ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنُسلِّطنَّك عليهم، ولنأمُرنَّك بقتالِهم كما أمرناك بقتالِ الكفَّارِ منَ المُشركين.

والإغراءُ: الدُّعاءُ إلى تناوُلِ الشَّيءِ بالتَّحريضِ عليه.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾: في المدينةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذا أمرناك بقتلِهم وقتالِهم لم يطُلْ مقامُهم معك في المدينةِ، بل يُضْطَرُّون إلى الجلاءِ عنها إلى بلادٍ أُخَرَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: زمانًا قليلًا، أو: جِوارًا قليلًا.

والقِلَّةُ: الذِّلَّةُ، والقِلَّةُ: ضدُّ الكثرةِ.

* * *

(٦١) ـ ﴿ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾.

﴿ مَّلْعُونِينَ﴾ الزَّجَّاجُ: منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: لا يُجاورنَك إلّا وهم ملعونون[١]. هذا لفظُه.

ابنُ عيسى: يجوزُ: ﴿ مَّلْعُونِينَ﴾ على الذَّمِّ، وعلى الصِّفةِ لـ﴿قَلِيلًا﴾، كأنَّه قيل: إلّا أذِلَّاءَ ملعُونين. قال: ويجوزُ أن يكونَ حالًا منَ الضَّميرِ في قولِه: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾. هذا لفظُه[٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦).

(٢) هذه الوجوه الثلاثة التي أجازها ابن عيسى أجازها الفراء من قبل، وسيذكرها المصنف عنه، وليس بينهما إلا اختلاف الاصطلاح، علماً أن الفراء استخدم مصطلح (الذم) في نصب ﴿ مَّلْعُونِينَ﴾. =

الفـرَّاءُ: ﴿ مَّلۡعُونِينَ ﴾ منصوبةٌ على الشَّـتمِ، وعلى الفعـلِ؛ أي: لا يُجاوِرونَك فيها إلا ملعونين(١).

قال: وقد يجوزُ أن تُجعلَ القِلَّةُ من صفتِهم، كأنَّك قلتَ: إلّا أقِلَّاءَ ملعونين(٢).

وإنَّما حَكَيْتُ ألفاظَهم لأنَّهم جميعًا أجازوا النَّصبَ على الحالِ منَ الضَّميرِ في ﴿يُجَاوِرُونَكَ ﴾، وفيه نظرٌ؛ لأنَّ ما قبلَ ﴿إِلَّا﴾ لا يعملُ فيما بعدَه، ولعلَّهم جعلوا في النِّيةِ مُقدَّمًا على مثلِ ما يأتي في القرآنِ منَ التَّقديمِ والتَّأخيرِ.

وفيه وجهٌ رابعٌ لـم يذكُروه، وهو: النَّصبُ على أصلِ الاستثناءِ، وتقديرُه: إلّا قليلٌ ملعونُونَ، كقولِه: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٦٦]، ثمَّ نُصِبَ فصارَ: إلّا قليلًا ملعُونين، كقراءةِ ابنِ عامرٍ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣)، وليس هذا هو الذي ذكرَه ابنُ عيسى على الصِّفةِ لـ﴿قَلِيلًا ﴾؛ لأنَّه جعلَ نصبَه: إلا أذِلَّاءَ ملعُونين، على الحالِ لا على الاستثناءِ(٤).

وفي بعضِ التَّفسيرِ: أنَّه متَّصلٌ بما بعدَه، وهذا خطأٌ؛ لأنَّ الشَّرطَ لا يتقدَّمُ عليه ما بعده، ونصَّ الزَّجّاجُ على امتناعِه(٥).

= انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٨).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٩). قوله: «على الشتم»؛ أي: مفعول به لفعل محذوف، وهو ما يعرف بالنصب على الذم كقوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾. وقوله: «على الفعل»؛ أي: على الحالِ منَ الضَّميرِ في ﴿يُجَاوِرُونَكَ ﴾.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٣) واستغربه، وعبارته: «الغريب: الأصل في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الرفع لأنه استثناء من نفيٍ، لكنه نصب على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر: (إِلَّا قَلِيلًا)، و﴿ مَّلۡعُونِينَ ﴾ صفة لهم».

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣٦): « لا يجوز أن يكون (ملعونين) منصوباً بما بعد (أينما)، لا =

ومعنى ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مُبعَدين منَ الرَّحمةِ.

وقيل: مُبعَدين منَ المدينةِ.

وقيل: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ على ألسِنةِ المُؤمنين.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ ظُفِرَ بهم ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ فلم يبقَ منهم أحدٌ، والتَّشديدُ يدلُّ على التَّكثيرِ.

* * *

(٦٢) - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سَنَّ الأخذَ والقتلَ في المُنافقين والشَّاكِّينَ والمُرجِفين، كما سَنَّ ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾: مضَوا ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: هذه سُنَّتُه في جميعِ مَن تقدَّمَ.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ يجوزُ أن يكونَ المعنى: لا يُبدِّلُ الله سُنَّتَه بل يُجريها مُجرًى واحدًا في الأممِ.

ويجوزُ أن يكون المعنى: لا يَقْدِرُ أحَدٌ على تغييرِ سنَّةِ الله وتبديلِها.

* * *

(٦٣) - ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: الكفَّارُ ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ سؤالَ تعنُّتٍ وإنكارٍ.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: استأثرَ اللهُ بعلمِه فلا اطِّلاعَ لأحدٍ عليها.

= يجوز أن تقول: ملعونًا أينما ثقف أخذ زيد يضرب؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها».

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ قيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ على التَّعظيمِ لشأنِها؛ أي: فاعلَمْ أنَّها كذلك.

وقيل: تقديرُه: قُلْ لكلِّ مَن سألَك عنها: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾؛ أي: عن قريبٍ تكونُ.

و﴿قَرِيبًا﴾ نصبٌ على الظَّرفِ.

والمُرادُ بـ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: ما يقعُ فيها منَ الثَّوابِ والعقابِ.

ويجوزُ أن يكونَ نصبًا بخبرِ (كان)، وذُكِّرَ كما ذُكِّرَ في قولِه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقد سبقَ.

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾؛ أي: خلقَ لهم نارًا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: في النّارِ ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظُهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ناصرًا يمنعُهم.

* * *

(٦٦) ـ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ وجوهُ مُنكِري البعثِ تُصرَفُ في جهاتِ النَّارِ زيادةً في العذابِ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ لتنضُجَ بنارِ جهنَّمَ.

وقيل: ﴿تُقَلَّبُ﴾ فيها حالًا بعد حالٍ، ولَونًا بعد لَونٍ؛ فتَسْوَدُّ مرةً، وتخضَرُّ أُخرى.

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ فنتخلَّصَ من هذا العذابِ؛ أي: تمنَّوا الإيمانَ حين لا ينفعُ التَّمنِّي.

والألفُ في أواخرِ هذه الآياتِ لمُوافقةِ ما قبلَها وما بعدَها مُراعاةً للفواصلِ.

ومَن ظنَّ أنَّه للتَّذكُّرِ فقد أساءَ؛ لأنَّ التَّذكُّرَ والغلطَ غيرُ جائزَين على الله سبحانَه(١).

* * *

(٦٧) ـ ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾: علماءَنا وشُيوخَنا ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾؛ أي: قلَّدْناهُم من غيرِ حجَّةٍ وبيانٍ، فجارُوا بنا عن قَصْدِ الحقِّ.

و(سادة) جمعُ سيِّدٍ، و(ساداتٌ) جمعُ الجمعِ.

وقيل: نزلت في المُطعِمينَ يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلًا.

* * *

(٦٨) ـ ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾؛ أي: عَذِّبْهم مثلَي عذابِ غيرِهم بضلالِـهم وإضلالِـهم إيَّانا.

وقيل: عذابَ الدُّنيا وعذابَ الآخرةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٤) عن ابن عيسى، فقال: «وما ذهب إليه ابن عيسى أنها للتذكير، فقد أساء القول؛ لأنه عز اسمه غير موصوف بالغلط والتذكير».

وقال: «الغريب: من وصل وقف بغير ألف، قال: هذه الألفات بدل من الفتحة، وهكذا كان في خط حِمْير، الفتحة ألف والضمة واو والكسرة ياء، وعلى هذا وقع في القرآن في مواضع موقع الحركات».

﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: وأبعِدْهم عن رحمتِكَ ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾: دائمًا، مُتواترًا، كثيرًا لا ينقطعُ.

* * *

(٦٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾؛ أي: احذَرُوا أن تكونوا مُؤذين للنَّبيِّ ﷺ كما آذى بنو إسرائيلَ موسى عليه السَّلامُ.

﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾: أظهرَ براءَتَه ﴿مِمَّا قَالُوا۟﴾؛ أي: قالوه فيه ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كان موسى عليه السَّلامُ عندَ الله ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاهٍ ومنزلةٍ، وكان مُحبَّبًا مقبولًا.

قيل: ﴿وَجِيهًا﴾: لم يُسأَلْ شيئًا إلا أَعطاه.

واختلفَ المُفسِّرون في الذي آذَوا به موسى؛ فرَوَى جماعةٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ موسى كان رجلًا حيِيًّا ستِّيرًا، لا يكادُ يُرى من جلدِه شيءٌ استِحياءً، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيلَ، فقالوا: لا يتستَّرُ هذا التَّستُّرَ إلّا من عيبٍ بجلدِه: إمَّا بَرَصٌ، وإمَّا أُدْرةٌ، وإمَّا آفةٌ، فأرادَ الله أن يُبرِّئَه، وإنَّ موسى خلا يومًا وحدَه فوضعَ ثيابَه على حجرٍ ثمَّ اغتسلَ، فلمَّا فرغَ أقبلَ إلى ثيابِه ليأْخُذَها، عدا الحجرُ بثيابِه، فأخذَ موسى عصاه وتبعَ الحجرَ، فجعلَ يقولُ: ثَوبي حجَرُ، ثَوبي حجَرُ، حتَّى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيلَ فرأوه عُرْيانًا أحسنَ النّاسِ خَلْقًا». قال: «فقامَ الحجرُ، فأخذَ ثوبَه فلبسَه، وطفِقَ يضربُ الحجرَ ضربًا بعصاه، فوالله إنَّ بالحجرِ لنَدَبًا من أثرِ ضربِه ثلاثًا أو أربعًا، وذلك قولُه: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

وقيل: ادَّعَوا عليه[١] قتلَ أخيه هارونَ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهم: أنَّ موسى وهارونَ صَعِدا الجبلَ فماتَ هارونُ، فقال بنو إسرائيلَ لموسى: أنتَ قتلتَه، فأمرَ الله الملائكةَ فحملَتْه حتَّى مرُّوا به على بني إسرائيلَ، وتكلَّمتِ الملائكةُ بموتِه حتَّى عرفَتْ بنو إسرائيلَ أنَّه ماتَ، فبرَّأه الله من ذلك، فانطلَقُوا به فدفَنُوه، فلم يُطلَعْ على قبرِه أحدٌ من خلقِ الله إلّا الرَّخَمُ، فجعلَه الله أصمَّ أبكمَ، ذكره الثَّعلبيُّ والنَّقَّاشُ وعليهما العُهدةُ[٢].

قال أبو العاليةِ: هو قارونُ، استأجرَ مومِسةً لتقذِفَ موسى بنفسِها على رأسِ الملأ، فعصَمَه الله، وبرَّأ موسى، وأهلَكَ قارونَ، كما سبقَ في سورةِ (القَصَصِ)، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

***

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قال أبو القاسمِ: رُوِيَ عن ابنِ المُبارَكِ أنَّ رجلًا أتى ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه فقال: اعهَدْ إليَّ، فقال: إذا سمِعْتَ الله يقولُ: (يا أيها الذين آمَنُوا) فأَرْعِها سمعَكَ، فإنَّه خيرٌ يأمرُ به، أو شرٌّ ينهى عنه[٤].

---

(١) بعدها في (ن) كلمة: «غرامة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٧٩)، ورواه أحمد بن منيع في «مسنده» كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥٧). وإسناده قوي كما قال ابن حجر لكنه أضاف: «وما في الصحيح أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٨٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٦)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٠).

﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ لا ينقُضُ بعضُه بعضًا.

وقيل: قَصْدًا، سَدَّ يَسُدُّ سَدًّا، فهو سديدٌ.

وقيل: قولُوا في زينبَ وزيدٍ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: قولُوا: لا إلهَ إلا الله(١).

وقيل: ﴿سَدِيدًا﴾ صِدْقًا.

وقيل: عَدْلًا، صَوابًا، مُستقيمًا.

* * *

(٧١) ـ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾: يُوفِّقْكُم للأعمالِ الصّالحةِ.

وقيل: يُصلِحْها بالقَبولِ والإثابةِ عليها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باستقامتِكُم في القولِ والعملِ.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في فرائضِه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في سنَّتِه ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾: ظفِرَ بالثَّوابِ ونجا منَ العقابِ.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٦) عن عكرمة قوله.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ للمُفسِّرين فيها أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الله لمَّا خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ والجبالَ خاطبَهُنَّ فأفهمَهُنَّ خِطابَه، وقال: إنِّي فرَضْتُ فريضةً وخلَقْتُ جنَّةً ونارًا، ثوابًا لمَن أطاعَني وعقابًا لمَن عصَاني. فقالتِ السَّماواتُ والأرضُ والجبالُ: نحنُ مُسَخَّراتٌ على ما خلقْتَنا، لا نحتمِلُ فريضةً ولا نبتَغي ثوابًا ولا عقابًا. فلمَّا خلقَ آدمَ عليه السَّلامُ عرَضَ ذلك عليه فتحمَّلَه.

ومثلُه في القرآنِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ومثلُها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، ومثلُها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية [الحج: ١٨]، وكذلك قولُه سبحانَه: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠](١).

تقديرُه: عرَضْنا قَبولَ الأمانةِ، فيكونُ العرضُ بالقولِ والخطابِ.

واختلفوا في الأمانةِ: ما هي؟

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفرائضُ التي أمرَ الله العبادَ بها(٢).

ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأمانةُ ثلاثٌ: الصَّومُ، والصَّلاةُ، والاغتسالُ منَ الجنابةِ»(٣).

وقيل: الأمانةُ: العقلُ، عرَضَ عليهنَّ أنْ يجعلَهُنَّ عُقلاءَ بشرطِ أنَّ مَن عملَ بمُقتَضَى عقلِه أُثيبَ، ومَن عمِلَ بخلافِه عُوقِبَ.

---

(١) فخطاب الله سبحانه للنار في هذه الآية وخطابه للسماوات والأرض وغيرها يدلُّ على فهم هذه الأشياء لخطابه سبحانه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٧) عن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٦) عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلاً، ورواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: الأمانةُ: التَّقوى والقولُ السَّديدُ؛ لأنَّ نسقَ الآيةِ يقتضي ذلك.

ويحتمِلُ أنَّ الأمانةَ التَّكليفُ، ولا يَمتنِعُ أن يكونَ للجمادِ معرفةٌ بربِّها وإنْ كنَّا لا نعرفُ كيفيَّةَ ذلك، ولا يُنكِرُ العقلُ ذلك من قدرةِ الله، وليس إذا تعوَّدَ الإنسانُ وقوعَ شيءٍ على وجهٍ يُنكِرُ وقوعَه على غيرِ ذلك الوجهِ في مقدورِ الله.

ويجوزُ أن يكونَ اللهُ سبحانَه صيَّرَها عاقلةً في وقتٍ، وأعلَمَها حالَ الأمانة وما فيها وعليها، وخيَّرَها، فاستَعْفَت، فأعادَها الله جماداتٍ كما هي الآن.

والثّاني: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾: الفرائضَ على أهلِ السَّماواتِ وأهلِ الأرضِ وأهلِ الجبالِ، وهم الملائكةُ الذين فيها، فيكونُ كقولِه: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلَ القريةِ.

والثّالثُ: أنَّ هذا من مجازِ كلامِ العربِ وتوسُّعِهم في الإخبارِ عن الجماداتِ بأنَّها سُئِلَتْ فأجابَتْ، وأنَّها قالت ونطَقَتْ، وليس هناك سؤالٌ ولا جوابٌ، ولا قولٌ ولا نُطقٌ، ومثلُ هذا في الشِّعرِ كثيرٌ، وكذلك قولُه تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

والرّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: إنَّا لو عرَضْنا؛ كما قال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية [الحشر: ٢١].

الخامسُ: عرَضْنا الأمانةَ على السَّماواتِ والأرضِ والجبالِ فقبِلْنَها.

﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾؛ أي: أبَيْنَ الخيانةَ فيها.

﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾: خِفْنَ منَ الخيانةِ فيها.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؛ أي: خانَ فيها؛ فتكونُ الأمانةُ على هذا الدَّلالةَ على وحدانيَّةِ الله وقُدرتِه، وخيانةُ الإنسانِ كفرُه وإشراكُه مع الله غيرَه.

السّادسُ: الأمانةُ وعرضُها هي ائتمانُ آدمَ ابنَه قابيلَ على أهلِه وولدِه حين خُروجِه إلى الحجِّ، قال آدمُ للسَّماءِ: احفَظي ولدي بالأمانةِ فأَبَتْ، وقال للأرضِ فأَبَتْ، وقال للجبالِ فأَبَتْ، وقال لقابيلَ فقالَ: نعم، فخانَ فيها بقتلِ ولدِه هابيلَ.

والعَرْضُ على وجهَينِ: عرضٌ بالقولِ والخطابِ، وهو الحقيقةُ، وعرضُ مجازٍ، تقولُ: عرضْتُ النَّاقةَ على الحوضِ، تُريدُ: عرضْتُ الحوضَ على النَّاقةِ.

والإباءُ أيضًا قد يكونُ حقيقةً نحو: دَعَوتُ زيدًا فأبى، ومجازًا نحو: سلَلْتُ سيفي فأبى.

والحَمْلُ يكونُ بمعنى: الرَّفعِ، ويكونُ بمعنى: الخيانةِ، ويكونُ بمعنى: الحِمالةِ، وهي الكفالةُ، وقد فُسِّرَ الآيةُ بها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الإنسانَ، قيل: آدمُ.

وقيل: ابنُ آدمَ قابيلُ.

وقيل: عامٌّ في بني آدمَ.

﴿كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسِه ﴿جَهُولًا﴾ بعواقبِ الأمورِ.

* * *

(٧٣) ـ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ اللّامُ مُتَّصلةٌ بقولِه: ﴿عَرَضْنَا﴾.

وقيل: مُتَّصلةٌ بجميعِ ما في السُّورةِ.

وقيل: اللَّامُ لامُ العاقبةِ.

وقيل: كان قَبولُ الأمانةِ ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ للمُؤمنين والمُؤمناتِ.

* * *

سُورَةُ سَبَإٍ

سُورَةُ سَبَإٍ

أربعٌ وخمسونَ آيةً(1)، مكِّيَّةٌ عند الجمهورِ.

مُجاهدٌ ومُقاتلٌ والكلبيُّ: مكِّيةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦] الآيةَ؛ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ(2).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الثَّناءُ والشُّكرُ والمدحُ له ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خَلْقًا ومُلْكًا، فلهذا استحَقَّ الحمدَ وحرَّضَ عليه.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لاستدامةِ مُوجِبِ الحمدِ.

وقيل: يحمدونَه سرورًا به لا تعبُّدًا، ومثلُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾

---

(١) «أربع وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٩) وفيه: «وهي خمسون وخمس آيات في الشَّامي، وأربع في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾؛ عدها الشَّامي ولم يعدها الباقون».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣١) عن الضحاك والكلبي، وزاد ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٨٩) نسبته لمقاتل.

[الزمر: ٧٤]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وأمثالُـها.

وفـي «تفسيرِ النَّقَّاشِ»: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: فـي السَّماواتِ والأرضِ؛ لأنَّ إحداهما خُلِقَتْ قبل الأُخرى، وهذا تأويلٌ بعيدٌ؛ لأنَّه ليس في القرآنِ الأولى(١).

﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنعِه ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بعبادِه؛ أي: العالِـمُ بهم.

* * *

(٢) ـ ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾.

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ منَ الأمواتِ، والكنوزِ، والنَّامي، والحيوانِ ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾: منَ الأرضِ منَ النَّامي والحيوانِ.

ويحتمِلُ: ما يلِجُ في الأرضِ منَ الأمواتِ في الدُّنيا، وما يخرُجُ منَ الأرضِ منَ الأحياءِ في الأُخرى.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من مَلَكٍ وكتابٍ وقضاءٍ، ومطرٍ ورحمةٍ وعذابٍ.

﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾: يصعدُ فيها من مَلَكٍ، وكلامٍ طيِّبٍ، وعملٍ صالحٍ، ودُعاءٍ بإخلاصٍ، وروحٍ طاهرةٍ، ونبيٍّ مُكرَّمٍ بالمعراجِ، وكذلك فيما ينزِلُ منَ السَّماءِ من شيطانٍماردٍ، من قولِه: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ الآيات [الجن: ٨، ٩].

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن أطاعَ ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لمَن تاب.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٩١) بلا نسبة في أربعة وجوه هو ثانيها، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يُريدُ: المشركين، دونَ أهلِ الكتابِ.

وقيل: السَّامِرةُ منَ اليهودِ يُنكِرونَ البعثَ(١).

﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: لا نُبعَثُ، إنكارًا لها.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿بَلَىٰ﴾ ردًّا لكلامِهم وإثباتًا لِمَا بعدَه.

﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وأكِّدْ يا محمَّدُ الخبرَ باليمينِ جَرْيًا على عادةِ المُخاطِبينَ منَ العربِ، ولأنَّ الكلامَ في نفسِه صدقٌ.

وقيل: حلَفَ أبو سفيانَ باللَّاتِ والعُزَّى لا بَعْثَ ولا نُشورَ، وأنْ لا تأتينا السّاعةُ، فقيلَ: قل يا محمَّدُ: ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾(٢)، فقابِلِ اليمينَ باليمينِ.

﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ الجرُّ وصفٌ لقولِه: ﴿وَرَبِّى﴾ أو بدلٌ، وكذلك(٣) مَن قرأ ﴿علَّامِ الغيبِ﴾، والرَّفعُ على الابتداءِ(٤)، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ خبرُه، أو: هو عالمُ الغيبِ(٥). وقيل: بإضمارِ القولِ؛ أي: قال ذلك عالـمُ الغيبِ، وفيه بُعدٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٥)، واستغربه.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٢٣).

(٣) في (ف): «وكذا».

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿علَّامِ﴾ بصيغة المبالغة والجر، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿عالـمُ﴾ بالرفع، وباقي السبعة: ﴿عالمِ﴾ بالكسر، وفيها جميعًا: ﴿الغيبِ﴾ بالإفراد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٥) فهو خبر لمبتدأ محذوف.

ويحتمِلُ أن يرتفعَ باتِّصالِه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ عالِـمُ الغيبِ.

ويحتمِـلُ أيضًـا أنَّـه فاعـلُ قولِـه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والمعنـى: لتأتينَّكم السّـاعةُ، ولا يَعلـمُ ذلـك إلَّا عالِـمُ الغيبِ(١).

﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يَبْعُدُ ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وزنُ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: مثقالُ ذرَّةٍ: رأسُ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: هي ما تقعُ في الكوَّةِ مع الشَّمسِ.

ابنُ الهَيْصَمِ: سبعونَ ذرَّةً وزنُ جناحِ ذُبابٍ، وسبعونَ جناحِ ذبابٍ وزنُ حبَّةٍ(٢).

﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾: من مثقالِ ذرَّةٍ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: إلّا في اللَّوحِ المحفوظِ، وإنَّما كُتِبَ جريًا على عادةِ المُخاطَبين لا مخافةَ نسيانٍ، وليُعْلَمَ أنَّه لـم يقَعْ خلَلٌ وإن أتى عليه الدَّهرُ.

قولُـه: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ رفـعٌ بالعطـفِ علـى: ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾، ويكـونُ ﴿إِلَّا﴾ بمعنـى: لكِـنْ، ويجـوزُ أن يكون رفعًـا بالابتـداءِ، و﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ خبرُه.

* * *

(٤) ـ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦)، واستغربه.

وقيل: بقولِه: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

وقيل: بما في ﴿كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ من معنى الفعلِ؛ أي: أُثبِتَ ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبِهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: حَسَنٌ.

وقيل: بلا مَنٍّ.

وقيل: يُتْبَعُ الكرامةَ.

وقيل: كريمٌ على مَن يُعطيه الله، وهو الجنَّةُ.

* * *

(٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: جاهَدوا وبالَغوا في ردِّ القرآنِ وتزهيدِ النَّاسِ في قَبولِه.

وقيل: سَعَوا في دينِنا بالتَّكذيبِ.

وقيل: جاهَدوا في إبطالِ الآياتِ.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسابِقين ظانِّين أن يفوتُونا، و﴿مُعجِّزين﴾[1]: مُثبِّطين عن الإيمانِ مَن أرادَه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾: من سيِّئِ العذابِ، والرِّجزُ: نفسُ العذابِ ﴿أَلِيمٞ﴾: مُؤلِمٍ؛ أي: عذابٌ من عذابٍ أليمٍ، ومَن رفعَ[2]؛ أي: عذابٌ أليمٌ من سيِّئِ العذابِ.

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والباقون: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير وحفص، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٦) ـ ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ ﴾: ويعلَمُ الذين.

قيل: محلُّه نصبٌ بالعطفِ على ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾. وقيل: رفعٌ بالاستئنافِ.

﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: هم أهلُ الكتابِ؛ عبدُ الله بنُ سلامٍ وأصحابُه[1] فيمَن قال: الآيةُ مدنيَّةٌ.

وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ[2] فيمَن قال: السُّورةُ كلُّها مكِّيةٌ.

﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾: الصِّدقَ غيرَ الباطلِ، ﴿هُوَ﴾ عمادٌ، و﴿ٱلْحَقَّ﴾ المفعولُ الثَّاني، وفائدةُ دخولِ العمادِ: الإعلامُ بأنَّ ما بعدَه خبرٌ عمَّا قبلَه لا صفةٌ.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: دينِ الله الإسلامِ وطاعتِه.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني: مُنكِري البعثِ، يقولُ بعضُهم لبعضٍ على وجهِ التَّعجُّبِ والتَّعجيبِ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنُونَ: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يُخبِرُكم بشيءٍ عجَبٍ ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: فُرِّقْتُم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: كلَّ تفريقٍ

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣) عن قتادة، ورجحه السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣١٧).

وصرتُم ترابًا، أو كلَتْكُم[١] دوابُّ الأرضِ أو طيورُ الهواءِ وصرتُم رُفاتًا ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: يُجَدَّدُ خلقُكم وتُبعَثون.

وقيل: إنَّكم في جملةِ مخلوقين يُجدِّدُهم الله.

﴿إِذَا﴾ نَصْبٌ بفعلٍ يدلُّ عليه: ﴿جَدِيدٍ﴾؛ أي: تُبعَثون إذا مُزِّقْتُم[٢].

* * *

(٨) ـ ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ قَسَّموا الكلامَ فقالوا: هو إمَّا عاقلٌ كاذِبٌ، وإمَّا مجنونٌ هاذٍ.

﴿بَلِ﴾ هـذا ردٌّ مـنَ الله عليهـم؛ أي: تركتُـم القسـمةَ الثَّالثةَ، وهـي: إمَّا صحيحُ العقـلِ صادقٌ.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾؛ أي: هم في ضلالٍ عاجلٍ في الدُّنيا، وعذابٍ آجلٍ في العُقبَى.

وقيل: خاتمةُ أمرِهم العذابُ، وفاتحتُه الضَّلالُ.

وقيل: في عذابٍ في الآخرةِ وضلالٍ عن طريقِ الجنَّةِ.

---

(١) في (ن): «وأكلتكم».

(٢) ولا يجوز أن ينتصب ﴿إِذَا﴾ بقوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ لاختلاف الزمانين، ولا بـ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بـ﴿جَدِيدٍ﴾ لأن ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبله. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٦).

قـال القفَّالُ: العـذابُ والضَّلالُ فـي الدُّنيا، قـال[1]: ومعنى العـذابِ: العَناءُ[2] والأذى، كمـا تقـولُ: أنا فـي عذابٍ من هـذا الأمرِ؛ أي: في مُقاسـاةٍ وشِـدَّةٍ.

قال عَبيدُ بنُ الأبرصِ:

طـولُ الحيـاةِ لـه تعذيـبُ[3]

* * *

(٩) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ كيف هو مُحيطٌ بهم من كلِّ جهةٍ رمَوا بأبصارِهم إليها، فهم محصورونَ كالموكَّلِ بهم في موضعٍ قد حُبِسوا فيه.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾؛ أي: هلَّا استدلُّوا بذلك على أنَّهم في سلطانِ الله يُجري عليهم قُدرتَه كيف شاءَ وبما شاءَ من خَسْفٍ وحَصْبٍ بالحجارةِ وغيرِهما.

وقيل: معناه: إن تـمَزَّقوا وتفرَّقُوا لـم تخرُجِ الأجزاءُ عن الأرضِ والسَّماءِ فهي في قبضَتِنا نُحْييها متى نشاءُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾: في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ والقُدرةِ على الخسفِ والإسقاطِ

---

(١) في (ف): «وقيل».

(٢) في (ن): «الفناء»، وهو تحريف.

(٣) صدر البيت:

والمـرءُ مـا عـاش فـي تكذيـبِ

انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١).

﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: لدلالةً على الإحياءِ لكلِّ عبدٍ مُقِرٍّ بالعبوديَّةِ، مُنيبٍ إلى الله بالتَّفكُّرِ في آياتِه.

***

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: النُّبوَّةَ، والزَّبورَ، والصَّوتَ البديعَ، والمُلْكَ، والقوَّةَ، وتستخيرَ الجبالِ والطَّيرِ.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ وقُلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: سِيْرِي معه، وكانت تسيرُ معه حيثُ شاء إذا أرادَ مُعْجِزةً له، والتَّأويبُ: سيرُ النَّهارِ.

وقيل: سبِّحي معه، من تأويبِ القارئِ، كما تقولُ: رَجَّعَ القارئُ، وكان إذا قرأ الزَّبورَ صوَّتت معه الجبالُ، وأصغَتْ له الطَّيرُ.

وَهْبٌ: ﴿أَوِّبِى﴾: نُوحي معه، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ يُساعِدُكَ على ذلك.

قال: وكان إذا نادى بالنِّياحةِ أجابَتْه الجبالُ بصداها، وعطَفَتْ عليه الطَّيرُ من فوقِه، فصدى الجبالِ الذي يسمعُه النَّاسُ من ذلك اليومِ. حكاه الثَّعلبيُّ[1]، وفيه ضَعفٌ.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ نصبٌ من ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُها: بالعطفِ على محلِّ الجبال لمَّا لم يُمكِنْ عطفُه على لفظِه؛ لمكانِ الألفِ واللَّامِ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٩٢٧)، وفيه: «.. الذي يسمعُه النَّاسُ اليومَ من ذلك». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٧)، واستغربه.

والثَّاني: بمعنى: مع.

والثَّالثُ: وسخَّرْنا له الطَّيرَ.

وقرأ رَوْحٌ وزيدٌ عن يعقوبَ بالرَّفعِ[١] عطفًا على لفظِ ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

وقيل: بالعطفِ على الضَّميرِ في ﴿أَوِّبِي﴾.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: جعلَ الحديدَ في يدِه كالشَّمعِ، يعملُ منه وبه ما يُريدُ.

والثَّاني: بقوَّتِه وحرارةِ[٢] كفِّه يُليِّنه كما تُليِّنُه النَّارُ.

والثَّالثُ: سهَّلْنا عليه العملَ به فليَّنَّاه في يدِه.

وكان يعملُ في كلِّ يومٍ دِرعًا، فيبيعُها بستَّةِ آلافِ درهمٍ، وكان يتصدَّقُ بأربعةِ آلافٍ ويُنفِقُ الباقي.

وقيل: لمَّا ماتَ بقيَ منها في خزائنِه ألفُ درعٍ.

* * *

(١١) ـ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ ﴿أَنِ﴾ هي المُفسِّرةُ: أي: اعمَلْ.

وقيل: هو بمعنى الخبرِ؛ أي: بأنْ تعمَلَ سابغاتٍ.

والسَّابغاتُ: الدُّروعُ التَّامَّةُ، مِنَ السُّبوغِ، كما تُسمَّى المُفاضةَ؛ أي: أُفيضَتْ

---

(١) هكذا ذكرها ابن مهران في «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٦١)، ونسبت للأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، وللأعرج وأبي عبد الرحمن في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٢٩).

(٢) في (ن): «والثاني بحرارته وقوة».

على لابسِها، وجاء في التَّفسيرِ: أَوَّلُ مَن اتَّخذَ الدِّرعَ داودُ عليه السَّلامُ، وكان قبل ذلك صفائحَ من حديدٍ[١].

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: السَّرْدُ: النَّسجُ، وهو مصدرٌ، والسَّرَّادُ: الزَّرَّادُ[٢]، والمسرودةُ: الدِّرعُ، واشتقاقُها منَ السَّرْدِ بمعنى: التَّتابُعِ.

وقيل: السَّرْدُ: الثَّقْبُ، ومنه سُمِّي المِثْقَبُ والإِشْفَى مِسْرَدًا، ويكونُ المعنى: اجعَلْ ثُقوبَ طرفَي الحِلَقِ على قَدْرِ المساميرِ.

وقيل: لا تُوسِّعِ الحِلَقَ فينفذَ السَّهمُ والطَّعنُ.

وقيل: السَّرْدُ: المسمارُ.

ابنُ الهيصَمِ: الدِّرعُ التي عمِلَها داودُ كانت بغيرِ مسمارٍ؛ لأنَّها كانت مُعجزةً له، فلو كانت مُسمَّرةً لَمَا كان بين داودَ وبين غيرِه فرقٌ، مع ما أنَّا قد رأينا ما بقيَ منَ الدِّرعِ التي عملَها داودُ فكانت بلا مساميرَ، وتزولُ أيضًا فائدةُ قولِه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[٣].

وقيل: السَّرْدُ: الدِّرعُ، وهو من أسمائِه.

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خطابٌ لداودَ عليه السَّلامُ، وجُمِعَ لأنَّ المُرادَ به هو وآلُه.

والعملُ الصَّالحُ قيل: هو الشُّكرُ هاهنا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٣)، عن قتادة.

(٢) في (ن): «والزراد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٨)، واستغربه.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قولُ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ[1].

وحُكِيَ أنَّ داودَ عليه السَّلامُ جعلَ العبادةَ والصَّلاةَ بينَه وبينَ آلِه مُنقسمةً، فلم يزَلْ واحدٌ منهم كان في الصَّلاةِ ليلًا ونهارًا.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكم عليه أحسنَ جزاءٍ وأتـمَّه.

***

(١٢) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخَّرْنا لسليمانَ الرِّيحَ.

وقيل: وألنَّا له الحديدَ، وألنَّا لسليمانَ الرِّيحَ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على تقديرِ: ولسليمانَ تسخيرُ الرِّيحِ.

الحسنُ: لـمَّا شغلتِ الخيلُ سليمانَ عليه السَّلامُ حتَّى فاتته صلاةُ العصرِ غضبَ لله، فعقرَ الخيلَ فأبدلَه الله خيرًا منه، فسخَّر له الرِّيحَ تجري بأمرِه رُخاءً[3].

ولم يُسخِّرْ له الرِّياحَ جميعًا، إنَّما سخرَ له واحدةً، ولهذا أجمعَ القُرَّاءُ السَّبعةُ على توحيدِها[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٧).

(٢) قرأ أبو حيوة بالجمع والرفع، وقرأ الأعرج بالإفراد والرفع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٧٣). وقضية عقر الخيل مختلف فيها وهي مردودة عند بعضهم.

(٤) ولم يجمع عليه العشرة، فقد قرأ أبو جعفر بالجمع والنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٣).

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ غُدُوُّها إلى انتصافِ النَّهارِ مسيرةُ شهرٍ؛ أي: سَيرُها من لدُنْ طُلوعِ الشَّمسِ إلى زوالِها مسيرةُ دوابِّ النّاسِ في شهرٍ، ومسيرُها بالعشيِّ كذلك.

ورَوى الثَّعلبيُّ: أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ سارَ من أرضِ العراقِ غاديًا، فقالَ بمدينةِ مَرْوَ، وصلَّى العصرَ بمدينةِ بَلْخَ، ثمَّ سارَ منها إلى بلادِ التُّركِ، ثمَّ جازَهم إلى أرضِ الصِّينِ، يغدو على مسيرةِ شهرٍ ويروحُ على مثلِ ذلك، ثمَّ عطَفَ يمنةً عن مطلعِ الشَّمسِ على ساحلِ البحرِ حتَّى أتى أرضَ القَنْدَهارِ، وخرجَ منها إلى مُكْرانَ وكِرْمانَ، ثمَّ جازَها حتَّى أتى أرضَ فارسَ، فنزلَها أيَّامًا، وغدا منها فقالَ بكَسْكَرَ، ثمَّ راحَ إلى الشَّامِ، وكان مُستقرُّه بمدينةِ تدمرَ، وتدمرُ ممَّا بناها الجنُّ له(١).

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: وأذَبْنا له عينَ النُّحاسِ، أُسيلَت له ثلاثةَ أيَّامٍ كما يسيلُ الماءُ، وكانت بأرضِ اليمنِ، وإنَّما ينتفعُ النَّاسُ اليومَ بما أخرجَ الله لسُليمانَ عليه السَّلامُ، وكان ينبعُ من معدنِه فيسيلُ كالماء من غيرِ مُعالجةٍ، كما ألانَ لأبيه الحديدَ.

قال الزَّجَّاجُ: هو الصُّفرُ(٢).

وقيل: عينُ الرَّصاصِ.

وقيل: الحديدُ.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: وسخَّرْنا له منَ الجنِّ مَن يعملُ. ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾: يمِلْ ويعْدِلْ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمَرْناه من طاعةِ سليمان عليه

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٢ ـ ٣٤)، ولم يذكر له راوياً ولا سنداً.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٤٥).

السَّلامُ ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وذلك أنَّ الله وكَّلَ بهم مَلَكًا بيدِه سوطٌ من نارٍ، فمَن زاغَ عن أمرِ سليمانَ عليه السَّلامُ ضربَه ضربةً أحرقَتْه.

وقيلَ: ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرةِ، وعليه أكثرُ المُفسِّرين.

* * *

(١٣) ـ ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾.

﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ قيل: المساجدُ. وقيل: القُصورُ والمساكنُ.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جمعُ تمثالٍ، وهو الصُّورةُ، وكانوا يُصوِّرن تماثيلَ العُبَّادِ والملائكةِ والأنبياءِ قائمينَ راكعينَ ساجدينَ؛ ليقتديَ بهم مَن وراءَهم، ولـم تكُنْ يومئذٍ مُحرَّمةً محظورةً[1].

---

(١) ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩١)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٢).

وهو قول مردود لا دليل عليه من الشرع، ولا خبر فيه يعتمد عليه، ثم كيف يرضى شرع نبي من أنبياء الله بصنع تماثيل للأنبياء والصالحين لأجل الاقتداء، مع أن هذا هو نفسه سبب ضلال كثير من الناس والأمم كما جاء في أصنام قوم نوح أن أصنامهم هي في الأصل لرجال صالحين صنعوها لهم بعد موتهم بوسوسة الشيطان ليذكروهم بها، فلما طال العهد بهم عبدوها من دون الله، وهو ما رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثانُ التي كانت في قومِ نوحٍ في العرب بعدُ، أما وَدٌّ كانت لكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأما سُوَاعٌ كانت لهُذَيلٍ، وأما يغوثُ فكانت لمُرادٍ، ثُم لبني غُطَيْفٍ بالجَوف، عند سبإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَرَ لآلِ ذي الكَلاعِ، أسماءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخ العلمُ عُبِدَت.

الحسنُ: يعني: النُّقوشَ وصورَ الأشجارِ، وذلك مُباحٌ[1].

وجاء في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّهم كانوا عملوا له أسَدَيْنِ أسفلَ كُرسيِّه ونسرَين فوقَ كرسيِّه، وكان كرسيُّه عظيمًا، فإذا أرادَ أن يصعدَ الكرسيَّ بسطَ الأسدُ ذراعَه، فكان يصعدُ عليه، وإذا قعدَ عليه أظلَّه النَّسرانِ بأجنحتِهما، فلما ماتَ سليمانُ عليه السَّلامُ جاء أَفريدونُ، وقيل: بُخْتَنَصَّرُ ليصعدَ الكرسيَّ، ولـم يدرِ كيف يصعدُ، فلما دنا منه ضربَ الأسدُ على ساقِه فكُسِرَ ساقُه، فلم يجسُرْ أحدٌ بعدَه أن يدنوَ منَ ذلك الكرسيِّ[2].

قيل: كانت التَّماثيلُ من نُحاسٍ.

وقيل: من رخامٍ وشَبَهٍ.

﴿وَجِفَانٍ﴾: جمعُ جَفْنةٍ؛ أي: صِحَافٍ ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: جمعُ جابيةٍ، وهي: الحوضُ، يأكلُ من كلِّ جفنةٍ منها ألفُ رجلٍ، وأصلُه: كالجوابي، فحُذِفَ الياءُ تخفيفًا كـ ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] و[الكهف: ١٧] و﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [الذاريات: ٤١]، وهذا أولى بالحذفِ؛ فإنَّ الجمعَ ثقيلٌ.

وكان له اثنا عشرَ ألفَ خبَّازٍ، واثنا عشرَ ألفَ طبَّاخٍ، وكانوا يُصلِحونَ الطَّعامَ في تلك الجِفانِ لكثرةِ القومِ.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أثافيُّها منها[3]، وكانت من حجارةٍ.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٩)، والماوردي في «تفسيره» (٤/ ٤٣٨) بلفظ: «الصور، قال: ولم تكن يومئذ محرمة»، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٠) بلفظ: «قال الحسن: ولم تكن الصور يومئذ محرمة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٨)، واستغربه.

(٢) ذكره الزمخشري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢) مختصرًا.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٩).

غيرُه: ﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾: ثابتاتٍ لا ينزِلْنَ عن أماكنِهنَّ لعِظَمِهنَّ ولا يزُلْنَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ تلك القُدورَ باقيةٌ في اليمنِ[1].

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾؛ أي: وقُلْنا لهم وأمَرْناهم: اشكُروا يا آلَ داودَ شُكرًا، فهو نصبٌ على المصدرِ.

وقيل: اعملوا منَ الطَّاعاتِ شُكرًا، فهو مفعولٌ له، وهذا أحسنُ.

والمُرادُ به: تقوى الله والعملُ بطاعتِه.

وقيل: المُرادُ به: الحمدُ.

وقيل: الصَّومُ والصَّلاةُ.

والقولُ الأوَّلُ يعُمُّ الكلَّ.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾؛ أي: لا يقومُ بشُكرِنا إلّا القليلُ من عبادِنا، وهم المُؤمنون المُوحِّدون.

* * *

(١٤) - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: على سليمانَ عليه السَّلامُ ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾؛ أي: الجنَّ، وقيل: آلَ داودَ ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأرَضةُ.

ابنُ زيدٍ: دابَّةٌ تأكلُ العيدانَ يُقالُ لها: القادِحُ[2].

---

(١) في (ف): «باليمن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤١).

والأرضُ: هي مُستقرُّ الخلقِ، أُضيفَتْ إليها.

وقيل: الأرضُ: مصدرُ أُرِضَتِ الخشَبةُ فهي مأروضةٌ؛ أي: مأكولةٌ، والأَرَضةُ جمعُ آرِضةٍ، مثلَ: كَفَرةٍ وفَجَرة.

وقيل: دابَّةُ الأرضِ هي الأرضُ[1]، وفيه بُعدٌ.

﴿تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ حالٌ[2]، والمِنْسَأةُ: العَصا، مُشتقَّةٌ من نَسَأْتُ البعيرَ؛ أي: زجَرْتُه وطرَدتُه ليزيدَ في السَّيرِ، والهمزُ وتركُ الهمزِ لغتانِ[3].

وفي «تفسيرِ النَّقَّاشِ»: المِنْسأةُ: عتَبةُ البابِ[4].

وفي سببِ إخفاءِ موتِه أقوالٌ:

قال بعضُهم: كان سليمانُ عليه السَّلامُ كلَّما صلَّى ببيتِ المقدسِ نبتَ بين يدَيه نباتٌ، وكان يقولُ له: ما اسمُكَ؟ ولِـمَ أنتَ؟ فيقولُ: لكذا وكذا، فيُقْلَعُ ويُغْرَسُ في موضعٍ ويُكتَبُ اسمُه ومنفعتُه، فصلَّى يومًا فنبتَ نباتٌ، فقال له: ما اسمُكَ؟ فقال: خَرُّوبٌ، قال: ولِـمَ أنتَ؟ قال: لخرابِ هذا المسجدِ، فقال سليمانُ عليه السَّلامُ: ما كانَ الله ليُخرِّبه وأنا حيٌّ، وكان قبل ذلك يخلو السَّنةَ والشَّهرَ والشَّهرَين في بيتِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب، ولم يذكر هنا ولا هناك قولًا غيره، وكذا أعربه أبو حيان في «البحر» (٨/ ٥٣٠) واقتصر عليه فقال: «و﴿تَأۡكُلُ﴾ حالٌ؛ أي: أَكَلَتْ مِنْسَأَته، وهي حالٌ مُصاحِبةٌ».

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو بالألف بدلًا من الهمزة، وابن ذكوان بهمزة ساكنة، والباقون بهمزة مفتوحة، وحمزة إذا وقف جعلها بَينَ بَينَ على أصله. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، وعده من العجائب.

المقدسِ، يُدخِلُ فيه طعامَه وشرابَه، ثمَّ إنَّه دخلَ البيتَ وأدخلَ الطَّعامَ والشَّرابَ واتَّكأ على عصاه فماتَ(١).

وقيل: كان ذكرَ لملَكِ الموتِ: إذا أُمِرْتَ بي فأعلِمْني، فأتاه فقال: يا سليمانُ، قد أُمِرْتُ بك، فدعا الشَّياطينَ فبنَوا عليه صرحًا من قواريرَ ليس له بابٌ، فقام يُصلِّي واتَّكأ على عصاه، فقُبِضَتْ روحُه وهو مُتَّكِئٌ على عصاه(٢).

وقيل: كان لـمْ يُتِمَّ بناءَ بيتِ المقدسِ، فلمَّا حضرَه الموتُ قال لأهلِه: لا تُخبِروا الجنَّ بمَوتي ولا تبكُوا عليَّ سنةً حتَّى يفرُغوا من بنائِه(٣).

وفي «تفسيرِ النَّقَّاشِ» عن جُويبرٍ عن الضَّحَّاكِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: مَن زعَمَ أنَّه قُبِضَ وهو مُتَّكِئٌ على عصاه فقد كذبَ، بل قبضَه الله على فراشِه، فمكثُوا في العذابِ سنةً، فبعثَ الله الأَرَضةَ على عتَبةِ البابِ فأكلَتْه فخرَّ البابُ، وهذا مُزيَّفٌ(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٠٤) عن عكرمة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤١) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، وفي إسناده إليهما مقال، وقد ارتاب به الطبري ولكنه لم يبيّن علّة ارتيابه، وللأستاذ محمود شاكر بحث مفيد في هذا الأمر، فانظر «تفسير الطبري» (طبعة دار المعارف) (١/ ١٥٦ ـ ١٦٠).

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

قلت: وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٦٤) عن السدي قوله.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٣) عن ابن زيد. ووقع في (ف): «على العصا».

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩) وقال: «والمفسرون عن آخرهم على أن سليمان اتكأ على عصاه فمات، إلا النقاش» وساق عنه هذا الخبر.

مجاهدٌ: تحنَّطَ سليمانُ عليه السَّلامُ وتكفَّنَ، ثمَّ جلسَ على كرسيِّه، وجمعَ كفَّيه على طرفِ عصًا، ثمَّ وضعَها تحتَ ذقنِه، فماتَ وبقيَ كذلك سنةً إلى أن أكلتِ الأَرَضةُ أسفلَ عصاه، فخرَّ ساقِطًا[١].

وقيل: أرسلت الجنُّ الأَرَضةَ على العصا حتَّى أكلَتْها.

وقيل: قالت الشَّياطينُ للأَرَضةِ بعد أكلِها: لو كنتِ تأكلينَ الطَّعامَ وتشربينَ الشَّرابَ لأتيناكَ بأطيبِ طعامٍ وألذِّ شرابٍ، ولكنْ سننقلُ إليكِ الماءَ والطِّينَ حيثُ كنتِ[٢].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سقطَ سليمانُ عليه السَّلامُ.

وقيل: البابُ، على ما سبقَ، وهو مُزيَّفٌ.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ﴾ وفي قراءةِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (حولًا كاملًا)[٣] ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

تقول: تَبَيَّنْتُ الشَّيءَ: علِمْتُه، وتبيَّنَ لي الشَّيءُ: ظهرَ، وقد فُسِّرَ بهما:

فقيل[٤]: فلما خر ظهرَ أمرُ الجنِّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَن﴾ مع ما بعدَه في محلِّ رفعٍ على البدلِ منَ الجنِّ وأمرِه.

وقيل: فلما خر علمتِ الجنُّ أن لو كانوا، فيكونُ ﴿أَن لَّوْ كَانُواْ﴾ في محلِّ نصبٍ،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٩)، ورواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠) وفي «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٣): «سنة» وفي «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٠) عن طلحة «هولاً»، وفي «تفسير الطبري» (١٩/ ٢٤١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٦٣) عن ابن مسعود رضي الله عنهما بلفظ: (فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً).

(٤) في (ن): «وقيل».

وذلك أنَّ الجنَّ كانوا يزعُمون أنَّ عندَهم شيئًا من علمِ الغيبِ، فعلموا يومَئذٍ أنَّ الأمرَ بخلافِ ذلك.

وقيل: كانوا يُظهِرون للنّاسِ تـمويهًا أنَّهم يعلمونَ الغيبَ، فلما بقُوا في العذابِ حولًا بعد موتِه علِموا أنَّ ذلك قد ظهرَ للنَّاسِ.

قرأ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنْ لو كانوا)(١).

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا)(٢).

وقرأ يعقوبُ: ﴿تُبُيِّنَتِ الجِنُّ﴾ على ما لـم يُسمَّ فاعلُه(٣)، وهو غيرُ قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعود رضي الله عنهما، فإنَّ ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ﴾ فيهما مفعولٌ.

قال القفَّالُ حاكيًا: قد دلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ الجنَّ لـم يُسخَّروا إلا لسليمانَ عليه السَّلامُ، وأنَّهم بعد موتِه تخلَّصوا من تلك الأعمالِ الشَّاقَّةِ، وإنَّما تهيَّأتْ لهم ذلك لأنَّ الله زاد في أجسامِهم وقِواهُم، وغيَّرَ خلقَهم عن خلقِ الجنِّ الذين لا يُرَون،

---

(١) ذكرها عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٢)، وهي في «المحتسب» (٢/ ١٨٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواها عبد الرزاق في «التفسير» (٢٤٠٥) عن معمر عن قتادة قال: وفي بعض الحروف: (تَبيَّنَتِ الإنسُ أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ).

ومعناها كما قال ابن جني: تبينت الإنس أن الجن لو علموا بذلك ما لبثوا في العذاب. واستدل عليه بما سيأتي من قراءة ابن مسعود.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (تبينت الإنس والجن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٠٥)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٦)، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٩١٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه: (تبينت الإنس والجن لو كانوا يعلمون الغيب).

وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٠) القراءتين، واستغربهما.

(٣) هي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠).

وكانوا بمنزلةِ الأسرى في يدَيه، ثمَّ ماتَ هؤلاءِ بعد سليمانَ عليه السَّلامُ، فجعلَ الله خلقَ الجنِّ على ما كانوا عليه قبل ذلك منَ الدِّقَّةِ والضَّعفِ والخفاءِ، فصاروا لا يُرونَ ولا يقدرونَ على شيءٍ من هذه الأعمالِ، ولا على نقلِ الأجسامِ الثِّقالِ؛ لأنَّ ذلك كان مُعجزةً لسليمانَ عليه السَّلامُ. واللهُ أعلمُ.

* * *

(١٥) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ مَن صرَفَه جعلَه اسمَ أبي القبيلةِ أو الحيِّ، ومَن لم يصرِفْه[1] جعلَه اسمَ القبيلةِ، وهم قبائلُ ينتَسبون إلى سبأِ بنِ يشجُبَ بنِ يعرُبَ بنِ قَحطانَ.

الحسنُ: سبأٌ اسمُ أرضٍ[2].

قَتادةُ: سبأٌ أرضٌ باليمنِ يُقالُ لها: مأرِبُ، بينَها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثِ ليالٍ[3].

وفي أكثرِ التَّفاسيرِ: أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ ﷺ عن سبأٍ: أجبَلٌ هو أم أرضٌ أم امرأةٌ؟ فقال ﷺ: «ليس بجبلٍ ولا أرضٍ ولا امرأةٍ، وإنَّما هو رجلٌ من العربِ ولدَ رجالًا عشرةً صارَ كلُّ واحدٍ أبًا لقبيلةٍ، تيامَنَ منهم ستَّةٌ، وتشاءَمَ أربعةٌ؛ فأمَّا الذين تيامَنُوا فكِنْدةُ، والأزْدُ، والأشعرِيُّونَ، ومَذْحِجٌ، وأنْمارٌ الذينَ هم بَجِيلةُ، وخَثْعَمُ، وأمَّا الذين تشاءَمُوا فعامِلةُ، وجُذامُ، ولَـخْمٌ، وغسَّانُ»[4].

---

(١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكانها على نِيَّة الوقف، والباقون بخفضها مع التَّنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٥).

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٣٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦٤).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٢٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه أبو =

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾[1] مَن جمعَ طلبَ المُوافقةَ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم كان له مسكنٌ، ومَن فتحَ جعلَه مصدرًا كالسُّكنى، ووحَّدَ كما تُوَحَّدُ المصادرُ، ومَن كسرَ[2] جعلَه اسمَ المكانِ وهو مـمَّا شذَّ كالمسجِدِ والمغرِبِ والمشرِقِ، ووحَّدَ لأنَّه ذهبَ به إلى البلدِ، أو اكتَفَى بجمعِ المُضافِ إليه عن جمعِ المُضافِ كقولِه:

فــــي حلـقِـــكُم[3]

و:

فــي بعــضِ بطنِكــم[4]

﴿ءَايَةٌ﴾: دلالةٌ ظاهرةٌ وحجَّةٌ واضِحةٌ تدلُّ على وحدانيَّةِ الله وقُدرتِه.

= داود (٣٩٨٨) مختصرًا.

(١) في (ف): «مساكنهم».

(٢) قرأ حفص وحمزة: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ بإسكان السين وفتح الكاف، والكسائيُّ كذلك غير أنه يكسر الكاف، والباقون بفتح السين وكسر الكاف وألف بَينهما على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٣) قطعة من بيت رجز للمسيب بن زيد مناة الغنوي يخاطب حنظلة بن الأعرف الضبابيّ كما في «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ١٠٢)، ودون نسبة في «الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«مجاز القرآن» (١/ ٧٩) و(٢/ ٤٤ و١٩٥)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣١٤)، وتمامه:

لا تُنكِـرُوا القَتْـلَ وقـد سُبيــنا ... في حَلقِكُـمْ عَظْـمٌ وقـد شَـجِينَا

(٤) قطعة من بيت في «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» مادة: (خ م ص)، وتمامه:

كُلُـوا فِـي بَعْـضِ بَطْنِكُـمُ تَعِفُّوا ... فــإِنَّ زمــانَكمْ زمـنٌ خَمِيـصُ

وقيل: في قصَّتِهم مـن حـالتَي النِّعمةِ والنِّقمةِ آيةٌ تدلُّ على قدرةِ الله وعلى وحدانيَّته[(١)]، ودعاءٌ إلى طاعتِه وزجرٌ عن معصيتِه[(٢)].

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ بدلٌ من ﴿ءَايَةٌ﴾؛ أي: عن يمينِ بلدِهم وشمالِه.

وقيل: يمينِ مَن أتاها وشمالِه، وثنَّى الجنَّتَين لتثنيةِ اليمينِ والشِّمالِ، والمعنى: الأشجارُ والمياهُ والبساتينُ مُحيطةٌ بها عن أيمانِهم وعن شمائلِهم.

وقيل: كانتا جنَّتَين اثنتَين ممتدَّتَين طُولًا وعرضًا.

وقيل: كانتا بين جبلَين.

وقيل: كان لكلِّ واحدٍ منهم في منزلِه جنَّتانِ عن يمينٍ وشمالٍ.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: منهما ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ على نعمِه ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: كثيرةُ الرِّيعِ والثَّمرِ ليست بسَبِخةٍ، من قولِه: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الآية [الأعراف: ٥٨].

وقيل: أرادَ: صِحَّةَ هوائِها، وعُذوبةَ مائِها، وسلامةَ تُربتِها.

وقيل: لم يكُنْ يُرَى في بلدِهم بعوضةٌ ولا ذُبابٌ ولا بُرغوثٌ ولا عقربٌ ولا حيَّةٌ، وإنْ كانَ الرَّكبُ ليأتونَ وفي ثيابِهم القملُ والدَّوابُّ، فإذا[(٣)] رأوا بيوتَهم تموتُ الدَّوابُّ، وإنْ كان الإنسانُ ليدخلُ البستانَ ويُمسِكُ القُفَّةَ ـ وقيل: المِكتَلَ ـ على رأسِه فيخرجُ حين يخرجُ وقد امتلأت القُفَّةُ من أنواعِ الفاكهةِ من غيرِ أن يتناوَلَ منها بيدِه شيئًا.

والتَّقديرُ: بلدتُكم بلدةٌ طيِّبةٌ وربُّكم رَبٌّ غَفُورٌ يُضعِّفُ الحسناتِ ويعفو عن السَّيِّئاتِ.

---

(١) «وعلى وحدانيته»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣١).

(٣) في النسختين: «فكما»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣١).

(١٦) ـ ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.

﴿ فَأَعْرَضُواْ ﴾ قال وَهْبٌ: بعثَ الله إلى سبأ ثلاثةَ عشرَ نبيًّا، فدعَوهم إلى الله وذكَّروهم نعَمَ الله وأنذَروهم عقابَه، فكذَّبوهم ولم يُؤمِنُوا بهم وجحَدُوا نعَمَ الله عليهم[1].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ في العَرِمِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه المُسَنَّاةُ والسِّكْرُ، وكانت لهم مُسَنَّاةٌ تحبسُ الماءَ، ولها ثلاثةُ أبوابٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، يَجتمعُ الماءُ إليها منَ الشِّحْرِ، وهو وادٍ باليمنِ، فيَسقُونَ منَ البابِ الأعلى، ثمَّ من الثَّاني والثَّالثِ، فلا ينفَدُ حتَّى يثوبَ الماءُ منَ السَّنةِ القابلةِ، وأضافَ السَّيلَ إلى العَرِمِ لأنَّه بخرابِه جاءَ السَّيلُ، والمعنى: أزَلْنا ما كانوا يحبِسُونَ به ذلك الماءَ.

الثَّاني: العَرِمُ اسمٌ للوادي، وأضافَ السَّيلَ إليه لأنَّه جاء من قِبَلِه ماءٌ أحمرُ، وكانَ سببَ الخرابِ.

الثَّالثُ: العَرِمُ صفةُ السَّيلِ[2]، منَ العُرامِ، وهو الشِّدَّةُ؛ أي: سيلًا لا يُمتَنَعُ منه، فيكونُ من بابِ: مسجدِ الجامعِ، وصلاةِ الأولى، فيكون العَرِمُ: المطرَ الشَّديدَ[3].

الرَّابعُ: العَرِمُ الخُلْدُ، وهو: الجُرَذُ الأعمَى، فنَقَبَ السِّكْرَ من أسفلِه، فسالَ منه الماء، فخرَّبَ جنّاتِهم، وملأها رملًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٩) بلفظ: «لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًّا فكذبوهم».

(٢) من قوله: «إليه لأنه جاء... إلى قوله:... صفة السيل»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، واستغربه.

وقيل: غاضَ الماءُ في الأرضِ، فجفَّتْ جنَّاتُهم وخربَتْ، وذهبَتْ أنهارُها.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ ذكرَ الجنَّتين ازدِواجًا للكلامِ؛ فإنَّ الثَّانيتَين موصوفتانِ بأشجارِ الباديةِ دونَ أشجارِ الجنانِ، فصار كقولِه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقيل: التَّبديلُ: تغييرُ الصِّفاتِ[1] مع بقاءِ الذَّاتِ، وعلى هذا حمَلَ هذا القائلُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: وقد طعنَ بعضُ أهلِ الإلحادِ في هذه الآيةِ فقال: (وبدَّلْناهم بجنَّتَيهم خَبْتَيْنِ)؛ لأنَّ الجنَّتينِ لا يكونُ فيهما خَمْطٌ ولا أَثْلٌ.

قال النَّقَّاشُ: وهذا جهلٌ عجيبٌ وغلطٌ بيِّنٌ لا يَخْفَى على صاحبِ نظرٍ ولا خبرٍ ولا لغةٍ؛ أمَّا الأخبارُ فمُتواترةٌ على خلافِ ما قال هذا الطَّاعنُ، وأمَّا النَّظرُ فإنَّ لهذه الآيةِ نظائرَ كثيرةً في القرآنِ، منها: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ﴾ [النحل: ١٢٦]، كذلك ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦]. وأمَّا في اللُّغةِ فلو كان (خبتَينِ) لقال: ذوَي؛ لأنَّ الخبْتَ مذكَّرٌ والجنَّةَ مُؤنَّثٌ. انتهى كلامُه[2].

قولُه: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ الأُكُلُ: الثَّمرُ، يُخفَّفُ ويُثقَّلُ، والخَمْطُ: البَرِيرُ[3] عند بعضِهم وهو ثمرُ الأراكِ، وعند بعضِهم الخَمْطُ: الأراكُ، فمَن جعلَه الثَّمرَ

---

(١) في (ن): «التغيير للصفات».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، وعده من العجائب.

(٣) البرير: ثمر الأراك، أو أول ما يظهر منه، أو إذا اسود وبلغ فأكله الناس والدواب، وفيه حرارة على اللسان. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (ب ر ر).

نـوَّنَ ﴿أُكُلٍ﴾ وجعَـلَ ﴿خَمۡطٖ﴾ بـدلًا منـه، ومَـن جعلَه الشَّـجرَ أضـافَ ﴿أُكُلِ﴾ إليه(١).

وقيل: الخَمْطُ: كلُّ شجرةٍ ذاتِ شوكٍ، وأكُلُها: جَناها.

وقيل: كلُّ نبتٍ أخذَ طعمَه منَ المرارةِ حتَّى لا يُمكِنُ أكلُه فهو(٢) خمطٌ.

﴿وَأَثۡلٖ﴾ الأَثْلُ: الطَّرْفاءُ(٣).

وقيل: شبيهٌ بها إلا أنَّه أعظمُ.

وقيل: شجرةُ حطبٍ لا ثمرَ لـها.

﴿وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ قيل: هو السَّمُرةُ، وفيه بُعدٌ؛ فإنَّ السِّدرِ شجرُ النَّبْقِ. و﴿قَلِيلٖ﴾ وصفٌ لـ﴿شَيۡءٖ﴾، وإنَّما وصفَه بالقِلَّةِ؛ لأنَّ السِّدْرَ ممَّا يكونُ في الجنانِ، فأرادَ: وفيها شيءٌ قليلٌ منَ السِّدْرِ يتذكَّرون به ما فاتَهم منَ الثِّمارِ.

وقيل: القليلُ وصفٌ لجميعِ ما فيهما منَ الخمْطِ والأَثْلِ والسِّدْرِ(٤).

وقيل: معنى ﴿قَلِيلٖ﴾ هاهنا: حقيرٌ(٥).

* * *

(١) قرأ أبو عمرو: ﴿ذواتي أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بالإضافة، والباقون بالتنوين، وخفف الكاف في ﴿أُكل﴾ نافع وابن كثير، وثقل الباقون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) «فهو»: ليس في (ف).

(٣) الطرفاء بالمد: شجر لا ثمر له، وهو نوع من الأثل. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ١٩٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، وعده من العجائب.

(١٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾؛ أي: جزَيناهُم ذلك بكُفرِهم، فهو مفعولٌ متقدِّمٌ[١].

﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ استفهامُ جَحْدٍ؛ أي: وهل يُجازَى بمثلِ ما فعَلْنا بهم إلا مَن كَفَرَ النِّعمةَ ولم يشكُرْها؟!

وقيل: كفَروا بالله.

وقال بعضُهم: المُؤمنُ يُجزَى والكافرُ يُجازَى؛ لأنَّ لفظَ المُفاعلةِ يقتَضي المكافأةَ، والمُماثلةُ تكونُ[٢] في السَّيِّئةِ، وأمَّا الحسناتُ فإنَّها مُضاعَفةٌ أضعافًا.

وقيل: الجزاءُ لفظٌ عامٌّ في المُؤمنِ والكافرِ، والمُجازاةُ للكافرِ خاصٌّ[٣].

وقيل: الكافرُ يُجازَى بالسَّيِّئاتِ، والمُؤمنُ يُبدِّلُ الله سيِّئاتِه حسناتٍ.

قال القفَّالُ: ذهبَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ والنَّظرِ في هذه الآيةِ إلى أنَّ المُجازاةَ بمعنى: التَّجازي؛ أي: لا يرتجعُ ما أنعمَ به[٤] عليه إلا مـمَّن يكفرُ ولا يشكرُ، كقولِه: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] قال: والكفورُ من كُفرانِ النِّعمةِ[٥].

* * *

(١٨) ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين سبأٍ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾؛ أي: بالتَّوسعةِ على

---

(١) في (ف): «مقدم».

(٢) في (ف): «فيكون».

(٣) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾، قرأ الباقون: (وهو يُجزَى إلا الكفورُ). انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٤) «به»: ليس في (ف).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

أهلِها في النِّعمِ، وهي: الشَّامُ، والأُرْدُنُّ، وفلسطينُ، وبيتُ المقدسِ.

﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ يظهرُ بعضُها لبعضٍ لتقارُبِها.

وقيل: ﴿ظَٰهِرَةً﴾؛ أي: معروفةً يقصِدُها مَن أرادَ الشَّامَ، كما تقول: هذا شيءٌ ظاهرٌ؛ أي: معروفٌ.

وقيل: الظَّاهرةُ: كلُّ أرضٍ مُشرفةٍ غليظةٍ كأنَّها على جبلٍ.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾؛ أي: جعَلْنا هذه القُرى على مقدارٍ معلومٍ يَقِيلُ المُسافرُ في قريةٍ ويروحُ في أُخرَى.

وقيل: جعَلْنا مسيرَهم بمقدارٍ حيثُ أرادوا أن يَحِلُّوا حَلُّوا بقريةٍ.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾؛ أي: متى شِئتُم، أمرُ إباحةٍ.

وقيل: إنَّ اللَّفظَ للأمرِ، والمعنى للماضي؛ أي: ساروا فيها آمنينَ منَ العدوِّ والجوعِ والعطشِ والسِّباعِ[1].

***

(١٩) ـ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: بطِروا النِّعمةَ، وجهِلُوا العاقبةَ، فسألوا الله تغييرَ ما بهم منَ النِّعمةِ، بأن يُباعِدَ بين أسفارِهم، فأجابَهم إلى ما سألوه لأنفسِهم.

وقيل: قالوا: مُرْنا بالأسفارِ البعيدةِ الشَّاقةِ.

وقيل: طلَبُوا ذلك ليتطاوَلوا على الفقراءِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٣)، واستغربه.

وقيل: طلبوا ذلك للتِّجارةِ؛ فإنَّ السَّفرَ إذا طالَ كان الرِّبحُ فيه أكثرَ.

النَّقَّاشُ: معناه: زِدْ في عمارتِها حتَّى تَبْعدَ فيها أسفارُنا[1].

وقرأ يعقوبُ ﴿ربُّنا﴾ بالرَّفعِ ﴿بَاعَدَ﴾ بلفظِ الماضي[2]، فهذا شكوَى منهم لبُعدِ سفرِهم وتمنِّي قِصَرِه.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيثُ عَدُّوا النِّعمةَ نقمةً، والإحسانَ إساءةً.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: جعَلْنا ما حلَّ بهم ﴿أَحَادِيثَ﴾ يُضرَبُ بهم المثَلُ، فيُقالُ: تفرَّقوا أيدي سبا، وصارُوا أيادي سبا[3]، ويُذكرُ ما كانُوا فيه وصارُوا إليه.

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرَّقْناهُم في البلادِ كلَّ تفريقٍ؛ أي: غايةَ ما يكونُ منَ التَّفريقِ وتبديدِ الشَّملِ، حتَّى وقعَ بعضُهم إلى الشَّامِ، وبعضُهم إلى عُمانَ، وبعضُهم إلى يثربَ.

وقال بعضُ المُفسِّرين: لـمَّا جرى عليهم سيلُ العَرِمِ بقيَتْ منهم بقيَّةٌ عاهَدُوا الأنبياءَ بأنْ لا يعودوا إلى الكفرِ والمعصيةِ، ثمَّ لـم يفُوا بالعهدِ، فحينَئذٍ عُوقِبُوا بالتَّمزيقِ في البلدانِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ذُكِرَ ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لمواعظَ وعِبَرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾؛ أي: مُؤمنٍ يصبرُ على الطَّاعةِ، ويشكرُ على النِّعمةِ.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٦).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠).

(٣) أي: مذاهب سبأ وطرقها؛ أي: تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده. وقال الأزهريُّ: العربُ لا تهمز (سَبَا) في هذا الموضع؛ لأنه كَثُر في كلامهم، فاستثقلوا فيه الهمزَ وإن كانت (سبأ) في الأصل مهموزة. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٧٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧٥).

(٢٠) ـ ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ ﴾ (في) و(على) يتعاقبانِ في مثلِ هذا الموضعِ، والضَّميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوزُ أن يعودَ إلى أهلِ سبأ، ويجوزُ أن يكونَ عامًّا فيمَن كفرَ.

﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ظَنُّ إبليسَ: ما ذكرَه الله في القرآنِ في غيرِ موضعٍ، منه قولُه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الحِجر: ٣٩]، و﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء: ٦٢]، و﴿لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] الآيات.

فمن شدَّدَ ﴿صَدَّقَ ﴾ جعَلَ ﴿ظَنَّهُۥ﴾ مفعولًا به، ومعناه: حقَّقَ ظنَّه فيهم، ومَن خفَّفَ[١] جازَ أن يكونَ مصدرًا؛ أي: صَدَقَ إبليسُ ظنَّ ظنَّه[٢]، هذا لفظُ الزَّجَّاجِ، وفيه خلَلٌ، ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا؛ أي: في ظنِّه. كلاهما عنِ الزَّجَّاجِ[٣].

وفي «الحجَّةِ»: ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به[٤].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: اتَّبعُوه فصَدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه، والمعنى الذي أرادَ هذا القائلُ موجودٌ في ترتيبِ الآيةِ من غيرِ تقديمٍ، تقولُ: أكرمَ الأميرُ فلانًا فركِبَ إليه، وركبَ الأميرُ إلى فلانٍ فأكرَمَه؛ لأنَّ التَّصديقَ وقعَ بالاتِّباعِ، والاتِّباعُ وقعَ بالتَّصديقِ.

وقولُه: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو كقولِه: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف، وكلاهما برفع ﴿إِبْلِيسُ﴾ ونصب الظن. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: «ظنًّا ظنه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٤) انظر: «الحجة» (٦/ ٢٠).

[ص: ٨٣]، و﴿مِّنَ﴾ يجوزُ أن يكونَ للبيانِ، ويجوزُ أن يكونَ للتَّبعيضِ، فيكونُ بعضُ المؤمنين يتَّبِعون وساوِسَه فيُذنِبون ويتوبُون.

* * *

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ﴾: لإبليسَ ﴿عَلَيْهِم﴾: على الذين صارَ ظنُّه فيهم صِدقًا ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: جبرٍ وإكراهٍ، وقيل: حُجَّةٍ وبُرهانٍ، بل دعاهُم بوساوِسِه فاتَّبعوه، وغرَّهم بما زيَّنَ لهم فانخَدَعُوا له.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قيل: الاستثناءُ مُنقطِعٌ؛ أي: لكنِ ابتَلَينا المُكلَّفين بوساوِسِه لنعلمَ.

وقيل: مُتَّصلٌ، وتقديرُه: ما خلَّينا بينَهم وبينَ وساوِسِه إلَّا لنعلمَ.

﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾؛ أي: ليَظهرَ المسلمُ منَ الكافرِ، والمُطيعُ منَ العاصي، فيقعَ الثَّوابُ والعقابُ بعد ظُهورِ الأفعالِ منهم، وإنْ كان الله عالِمًا بذلك.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عندكُم، كما قُلنا: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندَكُم.

وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليكونَ إيمانُ المُؤمنِ بها وشكُّ الشَّاكِ فيها، كما تقول: ما عَلِمَ الله هذا منِّي؛ أي: لم يكُنْ منِّي.

وقيل: ليعلَمَ أولياؤُنا.

وقيل: معنى ﴿لِنَعْلَمَ﴾: لنُميِّزَ.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ إيمانَ المُؤمنِ وشكَّ الشَّاكِّ موجودَين كما علِمناه غَيبًا. وهذا هو القولُ الأوَّلُ، وهذه الوجوهُ كلُّها ذكرَها القفَّالُ.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: حافظٌ؛ أي: عالـمٌ رقيبٌ مُجازٍ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

﴿قُلِ﴾ يـا محمَّـدُ لمُشـركي قومِـك: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: ادَّعَيْتُـم أنَّهم آلهةٌ ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، وهذا أمرُ تهديدٍ.

وهي: الأصنامُ. وقيل: هـم الملائكةُ، وذلك أنَّ بني مُلَيحٍ قالوا: الأصنامُ على صورةِ الملائكةِ، والملائكةُ بناتُ الله، فنحنُ نعبدُها ليكُنَّ لنا شفعاءَ عندَ الله[1].

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ الشِّرْكُ: الشِّركةُ، والظَّهيرُ: المُعينُ، واحدٌ وقع موقعَ الجمعِ.

والمعنى: لو كان لهم في السَّماواتِ والأرضِ مُلْكٌ، أو كانَ لهم فيهما شركةٌ، أو كان منهم مُظاهرةٌ في خلقِها؛ لاستحَقُّوا بوجهٍ من هذه الوجوهِ أن يُعْبَدوا، وإذا لـم يكُنْ[2] كذلك بطَلَ زعمُهم، ثمَّ قال:

(٢٣) ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ﴾؛ أي: ليس لهم شفاعةٌ أيضًـا كما زعمُوا ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ قيل: أذِنَ أن يُشْفعَ له.

وقيل: ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن يَشفَعَ.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٢٠/ ٢٦).

(٢) في (ف): «يك».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾؛ أي: كُشِفَ وأُزِيلَ وجُلِّيَ عنها الفزعُ. والمُفَزَّعُ[(١)]: الشُّجاعُ، والفعلُ لله سبحانَه بدليلِ مَن قرأ: ﴿فَزَّعَ﴾ بثلاثِ فتحاتٍ[(٢)].

وفي الضَّميرِ ﴿عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى الملائكةِ، وقد تقدَّمَ ذكرُهم ضمنًا وإنْ لم يكُنْ صريحًا؛ فإنَّ بني مُلَيحٍ كانوا يعبُدون الملائكةَ. وفي معناه أقوالٌ:

قال القفَّالُ: أُذِنَ لهم في الشَّفاعةِ ففزِعُوا حين وردَ على أسماعِهم كلامُ الله بالإذنِ فيها[(٣)]؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إذا تكلَّمَ الله بالوحيِ سمعَ أهلُ السَّماواتِ صَلْصَلةً كصَلْصَلةِ السلسلةِ على الصَّفْوانِ فيرَونَ أنَّه أمرُ السَّاعةِ[(٤)].

وقيل: يفزَعونَ أن يلحقَ في تنفيذِ ما أُذِنَ لهم فيه تقصيرٌ في وضعِ الشَّفاعةِ غيرَ موضِعها، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم الغشيةُ التي لحقَتْهم منَ الخشيةِ ﴿قَالُواْ﴾ للملائكةِ

---

(١) كمعظَّم: الشجاع والجبان، ضد. انظر: «القاموس» مادة: (ف ز ع).

(٢) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥).

(٤) رواه المروزي في «الصلاة» (٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٩) بلفظ: « إن الله إذا تكلم بالوحي سمع له أهل السماوات صوتاً كصوت الحديدة إذا وقعت على الصفا، فيخرون سجدا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ...».

وروى البخاري (٤٨٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير».

وذكر البخاري قبل حديث (٧٤٨١) عن ابن مسعود رضي الله عنه معلقًا: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾».

فوقَهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: ما[١] أمرَ اللهُ به؟ فيقولون لهم: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أنْ أذِنَ لكم في الشَّفاعةِ للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ الله إذا أرادَ إحداثَ أمرٍ بوحيٍ أحدثَ في السَّماءِ صوتًا يُشبِهُ جرسَ السَّلاسلِ على الصَّفوانِ، فيفزعُ الملائكةُ لذلك، ويُغْشَى عليهم مخافةَ أن تكونَ القيامةُ، فإذا أزالَ الله الفزعَ عن قلوبِهم سألوا جبريلَ ومَن معه منَ الملائكةِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيقولون: قالَ الحقَّ؛ أي: لا يُخبِرونَهم، بل يقولون: قال ما وجَبَ عندَه أن يقولَ، وهو العليُّ الكبيرُ.

ورُوِيَ أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ قال لرسولِ الله ﷺ: كيف يأتيك الوحيُ؟ قال: «يأتيني في صَلْصَلةٍ كصَلْصَلةِ الجرسِ، فيَفْصِمُ عنِّي حين يَفْصِمُ وقد وعَيتُه، ويأتيني أحيانًا في مثلِ صورةِ الرَّجلِ فيُكلِّمُني به كلامًا، وهو أهونُ عليَّ»[٢].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: انقطَعَ الوحيُ بعد عيسى، فلمَّا تكلَّمَ اللهُ بالوحيِ إلى محمَّدٍ ﷺ سمعتِ الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدِ على الصَّفا فغُشِيَ عليهم، فلمَّا جُلِّيَ عنهم قالوا: ماذا قالَ ربُّكم؟ فقالوا: أُوحِيَ إلى محمَّدٍ ﷺ[٣].

وقيل: إذا مرَّ المُعقِّباتُ بسائرِ الملائكةِ فزِعوا أن يكونَ حدثَ أمرُ السَّاعةِ.

---

(١) في (ف): «ماذا».

(٢) رواه البخاري (٢) و(٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، واللفظ له.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٩) بلفظ: «إن الله لما أراد أن يوحي إلى محمد دعا جبريل، فلما تكلم ربنا بالوحي، كان صوته كصوت الحديد على الصفا؛ فلما سمع أهل السماوات صوت الحديد خروا سجداً؛ فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤوسهم، فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾».

والقولُ الثّاني: أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى النَّاسِ[١]، وفيه قولانِ:

أحدُهما: عندَ النَّزعِ؛ أي: ﴿إِذَا فُزِّعَ﴾ عنهم الشِّركُ والشَّكُّ ﴿قَالُوا﴾ -أي: الملائكةُ- للمُشركين: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾، فيُقِرُّونَ حين لا ينفعُهم ذلك.

وقيل: هذا في القيامةِ حين كُشِفَ الغطاءُ، فيُقالُ لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الدُّنيا؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، فلا ينفعُهم إيمانُهم.

***

(٢٤) - ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ الأمطارَ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النَّباتَ والأشجارَ؟ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ أي: إنْ[٢] سكتُوا هم، أو ردُّوا الجوابَ إليك، فقُلْ أنتَ: ﴿اللَّهُ﴾؛ إذ ليس لهذا الكلام جوابٌ غيرُ هذا.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ هذا تعريضٌ في الكلامِ توصُّلًا إلى المقصودِ بلفظٍ غيرِ شَنِعٍ، كما تقولُ لصاحبِكَ: أحدُنا كاذبٌ، فيكونُ ألطفَ من أن تقولَ: إنَّكَ كاذبٌ.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لعلى[٣] هُدًى وإيَّاكُم في ضلالٍ مُبينٍ، كقوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣] وقد سبقَ، فيكونُ ﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواوِ، وهذا ضعيفٌ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إذا».

(٣) في (ن): «على».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٦)، واستغربه.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لعلى هُدًى أو إيَّاكُم على هُدًى، وإنَّا في ضلالٍ أو إيَّاكُم في ضلالٍ.

النَّقَّاشُ: قل: اللهُ يرزُقُنا وإيَّاكم على هُدًى كُنَّا أو في ضلالٍ، وهذا القولُ من حيثُ المعنى حسنٌ، لكنْ يدفعُه (إنَّ) واللَّامُ[1].

***

(٢٥) ـ ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: لا تُحاسَبون على أعمالِنا ولا نُحاسَبُ على أعمالِكم؛ خيرِها وشرِّها.

قال القفَّالُ: ويجوزُ أيضًا أن يكونَ هذا إلطافًا للخصمِ إلى الإصغاءِ، فأضافَ إلى أنفُسِهم الجُرمَ، وأضافَ إليهم العملَ جملةً.

***

(٢٦) ـ ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يحكُمُ بينَنا ويقضي من غيرِ ميلٍ ولا جَورٍ، فيظهرُ المُحِقُّ منَ المُبطلِ، ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾: القاضي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالقضاءِ.

***

(٢٧) ـ ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾؛ أي: أعلِموني بأيِّ صفةٍ ألحقتُموهم بالله وجعلتُموهم شركاءَه؟!

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٦)، وعده من العجائب.

وقيل: هذا كقولِ القائلِ لغيرِه إذا أفسدَ شيئًا: أرِني ما أفسدْتَه.

﴿كَلَّا﴾ نهيٌ ونفيٌ ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ فلا يُشارِكُه أحدٌ[1] ﴿الْحَكِيمُ﴾ فلا يُشرِكُ معه أحدًا.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾؛ أي: وما أرسلناك على ساقةِ الأنبياءِ خاتمًا لهم إلا لتكونَ رسولًا إلى بني آدمَ كافَّةً جميعًا منَ اليومِ إلى قيامِ السَّاعةِ، و﴿كَافَّةً﴾ حالٌ مُقدَّمٌ، والتَّقديرُ: للنَّاسِ كافَّةً؛ أي: جميعًا، فيكونُ حالًا منَ (النَّاسِ)[2].

وقيل: إلا كافًّا للناسِ تكفُّهم عن الكفرِ، والهاءُ للمُبالغةُ.

وقيل: كافًّا جامعًا، من قولِـهم: كففْتُ الثَّوبَ؛ لأنَّ ذلك جمعٌ لِـمَا تفرَّقَ منه.

﴿بَشِيرًا﴾ للمُؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملُهم جهلُهم على مُخالفتِك.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يُريدونَ قولَه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦].

---

(١) في (ف) زيادة: «وهو».

(٢) «أي: جميعاً، فيكون حالًا من الناس» من (ن).

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ أي: هذا مُؤقَّتٌ بيومٍ، لا يغُرَّنَّكم تأخُّرُه؛ فإنَّه كائنٌ لا محالةَ.

***

(٣١) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: كفَّارَ قريشٍ، وقيل: قالَه أبو جهلٍ.

﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التَّوراةَ.

وقيل: جميعَ كتُبِ الله.

وذلك أنَّ مُؤمني أهلِ الكتابِ قالوا للكفَّارِ: إنَّ محمَّدًا حقٌّ، ونحنُ نجدُ صفتَه في كتابِنا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وقيل: نزلَتْ في اليهودِ، والكتابُ الذي بين يدَيه: الإنجيلُ(١).

وقيل: الذي بينَ يدَيه: البعثُ والنُّشورُ والجنَّةُ والنّارُ(٢).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في موضعِ المُحاسبةِ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: يُراجِعون الكلامَ فيما بينَهم بالعتابِ واللَّوْمِ واللَّعْنِ، وتبرُّؤِ بعضِهم عن بعضٍ بعدَما كانوا في الدُّنيا أخِلَّاءَ.

ويَحتمِلُ أنَّ الرَّجْعَ هو ما حكَى الله عنهم فقالَ: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، وزاد: «أي: بين يديه بزعمه»، وعده من العجائب.

وهم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم القادةُ: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا دُعاؤُكم إيّانا إلى الكفرِ لاتَّبعنا محمَّدًا وصدَّقناه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لـم نصُدَّكم عن قَبولِ الهدى حين جاءَكُم، ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: بل أنتم بأنفُسِكم كفرتُم؛ إذ لـم يكُنْ لنا عليكم من سلطانٍ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾؛ أي: يقـولُ الأتبـاعُ للمتبوعيـنَ: بـل مكرُكُـم بنـا فـي اللَّيـلِ والنَّهـارِ، ومُواصلَتُكـم خديعَتَنـا والاحتيـالَ علينـا فـي المنعِ عـن الإيمـانِ، حمَلَنا علـى أن نكفُـرَ بـالله ونجعـلَ له شُـركاءَ، وكان ذلـك مكرًا منكـم وخديعـةً لا أصلَ لـه ولا حقيقـةَ، وأضـافَ المكـرَ إلـى اللَّيـلِ والنَّهـارِ كمـا تقولُ: نهـارُ فـلانٍ صائمٌ وليلُـه قائمٌ.

وقيل: بل اللَّيلُ والنَّهارُ مكرَا بطولِ السَّلامةِ فيهما حتَّى ظننَّا أنَّكم على حقٍّ،

ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ (مَكَرُّ اللَّيلِ والنَّهارِ)[١] منَ الكُرورِ، كقولِه: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ [الحديد: ١٦][٢].

وقيل: التَّابعُ والمتبوعُ صادِقان؛ فإنَّ قولَ التَّابعِ: «هلَكْنا باتِّباعِكُم» صدقٌ، والجوابَ: «لـم نُكرِهْكُم» صِدقٌ، وقولَـهم: «خدَعتُمونا» صِدقٌ.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أخْفَوْها؛ لأنَّ النَّدامةَ في القلبِ.

والثَّاني: أظهَرُوها، وهو منَ الأضدادِ؛ أي: ظهرَتْ آثارُ النَّدامةِ على أسرَّةِ وُجوهِهم[٣].

والثَّالثُ: تعاتَبوا سرًّا، من قولِه: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ [الأنبياء: ٣].

وقولُه: ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾؛ أي: الجحيمَ.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيه وجهانِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على قولِه: ﴿رَأَوُاْ﴾؛ أي: لـمَّا رأوا العذابَ ولـمَّا جعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ الذين كفَرُوا، فيكونُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ غيرَ هؤلاءِ.

والثَّاني: أنَّ التَّقديرَ: وجعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ التَّابعينَ والمتبوعينَ وسائرِ الكفَّارِ، فيكونُ عطفًا على ﴿أَسَرُّواْ﴾.

---

(١) وردت برفع (مكرُّ) وبنصبه، فبالرفع نسبت لسعيد بن جبير وأبي رزين وجعفر بن محمد، وبنصبه لابن جبير أيضاً وطلحة وراشد الذي نظر في مصاحف الحجاج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣)، و«البحر» (١٧/ ٤٥٣). قال أبو حيان: «وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الأنباري في «الأضداد» (ص: ٤٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٧)، واستغربه.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هل يُجزَى المُسيءُ إلا عملَه؛ أي: هل يُقضى إلّا عملَه، كأنَّ الجزاءَ دَينٌ قُضِيَ.

ويجوزُ أن يكونَ تقديرُه: هل يُجزَون إلَّا بما كانوا يعملون، فحُذِفَ الجارُّ.

وجوابُ ﴿لَمَّا﴾ محذوفٌ.

* * *

(٣٤) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾: بلدٍ مِنَ البلدانِ ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾: نبيٍّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: مُتنعِّمُوها: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ بزَعمِكُم ﴿كَافِرُونَ﴾: جاحِدون.

* * *

(٣٥) - ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: أكرَمَنا الله بالمالِ والولدِ ثمَّ لا يُعذِّبُنا؛ لأنَّ مَن يُعذِّبُ لا يُكرِمُ.

* * *

(٣٦ - ٣٧) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ امتحانًا وابتلاءً لا كرامةً لمَن يُعطيه ولا هَوانًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾؛ أي: لا تُقرِّبُكم عندَنا منزلةً ولا درجةً، والزُّلْفَى: الدَّرجةُ والمنزلةُ مثلُ القُربى، فيكون اسمًا.

ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا من غيرِ لفظ الفعلِ الأوّلِ؛ أي: تُقرِّبُكم عندَنا ازدِلافًا.

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُنقطِعًا؛ أي: لكنْ مَن آمنَ وعملَ صالحًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ قيل: الضِّعْفُ: المِثْلُ، فيكونُ مثلَ قولِه: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: لَنجزينَّهم على طاعتِهم بالواحدةِ عشرةً إلى سبعِ مئةٍ فما فوقَها.

ويجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُتَّصلًا على تقديرِ: إلّا مَن تابَ فإنَّ مالَه وولدَه يُقرِّبانِه إلينا بأنْ يُنفِقَ مالَه في سبيلِ الله، واستَظْهرَ بأولادِه في نُصرةِ دينِ الله، فيكونُ الاستثناءُ من ضميرِ المُخاطَبين.

قال الفَرَّاء: وإنْ شئتَ جعلتَه رفعًا؛ أي: ما هو إلا مَن آمنَ[1]، وهذا الكلامُ غيرُ مفهومٍ، إلَّا أن تجعلَ التَّقديرَ: وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقرِّبُكم إلا أموالُ مَن آمنَ وأولادُه، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المُضافُ إليه مُقامَه.

﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾؛ أي: في الجنَّاتِ ﴿ءَامِنُونَ﴾، وهذه جمعُ الكثرةِ كالمُسلماتِ والمُؤمناتِ والقانتاتِ. ويجوزُ أن يكونَ لكلِّ واحدٍ غُرُفاتٌ.

و(الغُرْفةُ) فيمَن قرأ مُوحَّدةً[2] جاز أن يكونَ اسمًا للجنّةِ، وجاز أن يكونَ اللّامُ للجنسِ.

***

(٣٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾: في ردِّ آياتِنا وإبطالِ دينِنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: سابقين لأنبيائِنا وأوليائِنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣).

(٢) هو حمزة، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«المبسوط» (ص: ٣٦٤).

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُريدُ المؤمنين، ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ وليس هذا تكرارًا؛ فإنَّ الآيةَ الأولى للكفَّارِ، وهذه للمُؤمنينَ.

وقيل: الأولى معناها: يُوسِّعُ على واحدٍ ويُضَيِّقُ على آخرَ. والثانيةُ معناها: يُوَسِّعُ على مَن يشاءُ من عبادِه، وإنْ يَشَأْ يُضيِّقْ[1] عليه من بعدِ التَّوسعةِ، فالأولى في شخصَينِ، وهذه في شخصٍ واحدٍ، ألا ترى إلى قولِه: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾[2]؟

وقيل: ﴿يقدر﴾ في الأولى من قولِه: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]؛ أي: ضُيِّقَ، وهذه منَ القُدْرةِ التي هي الاستطاعةُ.

وقيل: ويَقْدرُ على أن يُخلِفَ عليه إذا أنفقَه في سبيلِ الله.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ قيل: يُخلِفُه في الآخرةِ أجرًا.

وقيل: يُخلِفُه في الدُّنيا.

وقيل: فيهما جميعًا.

وقيل: معناه: وما أنفقتُم من شيءٍ فالله أخلَفَكُم ذلك؛ أي: أعطاكُم ورزَقَكُم؛ أي: فأنتم تُنفِقُونَ مِن رزقِه، كقولِه: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧][3].

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾؛ أي: المُعطِين، وجاز جمعُه؛ فإنَّ الرِّزقَ قد يُستعملُ لغيرِ الله كقولِه: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨] و: رَزَقَ الجندَ.

---

(١) في (ن): «وإن شاء يضيقْ».

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٠١٨ ـ ١٠٢٣)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٠٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

(٤٠) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ التَّابعينَ والمتبوعينَ ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: بني مُلَيْحٍ؛ لأنَّهم زعَموا أنَّهم يعبدون الملائكةَ، وأنَّهم بناتُ الله.

وقيل: يعني: المشركين.

﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا توبيخٌ للعابدين كما سبقَ في قولِه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]؟

***

(٤١) ـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الملائكةُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يُعْبَدَ غيرُك معكَ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾؛ أي: أنتَ معبودُنا، ونحنُ العابدون، والعابدُ لا يستحقُّ أن يُعبَدَ.

وقيل: معناه: اتَّخذناكَ وليًّا، واتخذتَنا أولياءَ، فأنتَ وليُّنا ونحنُ أولياؤُك، ونحنُ لـم نتَّخِذْ هؤلاءِ أولياءَ، فليس بينَنا ولايةٌ وإنْ زعَمُوا أنَّهم اتَّخذونا أولياءَ؛ لأنَّ الولايةَ تكونُ منَ الجانبَين.

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّ إبليسَ والجنَّ كانوا يتراءَونَ لهم ويُصوِّرون لهم أنَّا ملائكةُ الله، وكانوا يعبُدونَ الجنَّ على زَعمِ أنَّهم الملائكةُ.

والثَّاني: أنَّهم عبدوا الملائكةَ بأمرِ الجنِّ، فلمَّا عبَدوهم بأمرِهم فكأنَّهم عبَدوا مَن أمَرَهم بذلك.

﴿أَكْثَرُهُم﴾: أكثرُ الإنسِ ﴿بِهِم﴾: بالجنِّ ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾: مُصدِّقونَ.

وقيل: كلُّهم بالجنِّ مُؤمنونَ.

* * *

(٤٢) - ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ممَّا كنتم ترجُونَ من شفاعتِهم لكم ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدُّنيا.

وقيل: القولُ صلةٌ، وتقديرُه: ونُذيقُكم عذابَ النَّارِ، فهو أمرٌ في معنى الخبرِ، كما قُلنا في قولِه: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨].

وقيل: تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾.

* * *

(٤٣) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: إذا قُرِئَ عليهم القرآنُ مع ظهورِ إعجازِه ﴿قَالُوا﴾؛ أي: المشركونَ: ﴿مَا هَٰذَا﴾ يعنونَ: محمَّدًا ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ ويصيرَ لذلك سيِّدَكم.

﴿وَقَالُوا مَا هَٰذَا﴾ يعنونَ: القرآنَ ﴿إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ كذبٌ مُضافٌ إلى الله، وليس من عندِه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾؛ أي: للقرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ وعجَزوا عن الإتيانِ بمثلِه: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: ظاهرٌ لا يخفَى، فمرَّةً جعلوه سحرًا، ومرَّةً جعلوه افتراءً على الله.

قال القفَّالُ: يجوزُ أن يكونَ الرَّميُ بالسِّحرِ من قولِ الأتباعِ، والرَّميُ بالإفكِ من قولِ الرُّؤساءِ؛ لافتراقِ اللَّفظَين، ويحتمِلُ أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ في نفسِه سحرٌ عجيبٌ، لكنَّه من محمَّدٍ أضافَه إلى الله سبحانَه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾؛ أي: من أين يقولونَ ما يقولونَ ولـم يأتِهم كتابٌ ولا رسولٌ، وإنَّما يحصلُ العلمُ من هذَين الوجهَين؟ فظهرَ كذبُهم وافتراؤُهم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: من قبلِ قومِك ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: ﴿مِعۡشَارَ﴾ على وزنِ مِرْبَاع، وهو العُشْرُ.

وقيل: العُشْرُ جزءٌ منَ العَشَرةِ، والعشيرُ جزءٌ منَ العُشرِ، والمِعشارُ جزءٌ منَ العشيرِ، فيكونُ الواحدَ منَ الألْفِ[1].

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ العُشْرَ والعشيرَ والمِعشارَ في اللُّغةِ واحدٌ.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٣٩)، واستغربه.

ثمَّ اختلَفُوا في الضَّميرِ:

فقيل: ما بلغَ قومُكَ مِعشارَ ما آتينا مَنْ قَبْلَهم منَ المالِ والقوَّةِ والعُدَّةِ والكثرةِ.

وقيل: ما بلغَ أولئك شُكرَ مِعشارِ ما آتيناهُم منَ النِّعمةِ.

وقيل: ﴿ما بلغوا﴾؛ أي: ما عمِلُوا مِعشارَ ما أُمِروا به.

وقيل: ما بلغَ أولئك مِعشارَ ما آتينا قومَكَ منَ العلمِ والبيانِ والحجَّةِ والبُرهانِ؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ليس أمَّةٌ أعلمَ من أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، ولا كتابٌ أبينَ من كتابِه[1].

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ قيل: إنَّما كرَّرَ ﴿فَكَذَّبُواْ﴾ لأنَّ الأوَّلَ لتكثيرِ الكذبِ لا لتكذيبِ الغيرِ، والكفَّارُ كانوا كذَّابينَ قبل مجيءِ الرُّسلِ في إيجابِ الشِّركِ وإنكارِ البعثِ، فلمَّا جاءَهُم الرُّسلُ كذَّبوهم؛ أي: نسَبُوهم إلى الكذبِ.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: عقابي وتغييري حالَهم.

وقيل: إنكارِي عليهم.

وقيل: النَّكيرُ جزاءُ المُنكَرِ منَ الفعلِ.

الخليلُ: النَّكيرُ الاسمُ منَ الإنكارِ[2]، والمعنى: فما آمنَ هؤلاءِ من مثلِ ذلك.

***

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥)، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٢) قوله: «ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم».

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٣٥٥).

(٤٦) ـ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: أُذَكِّرُكُم وأُحَذِّرُكم سوءَ عاقبةِ ما أنتم فيه بموعظةٍ واحدةٍ.

وقيل: بكلمةٍ واحدةٍ، كقولِه تعالى: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقيل: هي كلمةُ التَّوحيدِ.

وقيل: طاعةُ الله.

وقيل: النَّصيحةُ.

وقيل: هو ما فسَّرَها فقالَ: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾: تقصِدُوا، وليس منَ القيامِ على الرِّجْلِ، وقيل: بأنْ تقومُوا، ولأنْ تقومُوا ﴿لِلَّهِ﴾: لوجهِ الله، والتماسِ القُرْبِ[١] إليه، لا لعصبيَّةٍ، ولا تقليدٍ لسَلَفٍ، ولا لإلْفٍ جرَيتُم عليه.

﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: مُجتَمِعين ووحدانًا، وأن يأخذَ الرَّجُلُ يدَ صاحبِه فيَخْلُوَا ويتفكَّرَا[٢] فيما أتى به محمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّ النَّاظرَ تنجلي له الشُّبهةُ؛ أحيانًا مُنفرِداً، وأحيانًا يستعينُ بغيرِه فيما يحتمِلُ أن يكونَ ذاهبًا عن دركِ الصَّوابِ فيه.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: تستعملوا[٣] فكرَكُم بالتَّدبُّرِ بعقولِكم، هل فيما يدعوكُم إليه محمَّدٌ ﷺ فسادٌ؟ وهل في حالِه ضعفُ عقلٍ، واختلافُ قولٍ، وفعلٌ مـما يُرى في المجانينِ؟

---

(١) في (ف): «التقرب».

(٢) في (ن): «ويتفكروا».

(٣) في (ف): «فتستعملوا».

فإذا تفكَّرتُم ونظرتُم فما وجدتُم به أثرَ جنونٍ فاعلَموا أنَّه صادقٌ نبيٌّ مُرسَلٌ.

ثمَّ نفى اللهُ عنه الجنونَ فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنونٍ.

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهامِ؛ أي: تتفكَّروا أيُّ شيءٍ بصاحبِكُم من آثارِ الجنونِ وأماراتِه حتَّى يجوزَ أن يُدعَى مجنونًا؟

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قُدَّامَ عذابٍ شديدٍ؛ إمَّا في الدُّنيا، وإمَّا في الآخرةِ.

* * *

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ ﴿مَا﴾ نفيٌ؛ أي: لا أسألُكم على الرِّسالةِ مالًا وجُعْلًا، ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾؛ أي: مالُكُم لَكُم من غيرِ تعرُّضٍ.

الثَّاني: هو كالرَّجُل يقولُ لمَن لا يَقبلُ نُصحه: ما أعطيتَني من أجرٍ فخُذه؛ أي: النُّصحُ مَجَّانٌ.

الثَّالثُ: الذي سألتُكم أن تُعطونيْهِ نفعُه راجعٌ إليكم، وهو أن تقبلوا منِّي ما تنجُونَ به، لا أسألُكم أجرًا سوى هذا.

الرَّابعُ: قال الكلبيُّ: هذه الآيةُ ناسخةٌ لقولِه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣][1]؛ أي: الذي سألتُكم من مودَّةِ القُربى فهو لكم؛ لأنَّهم قالوا:

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣٠٩) عن الضحاك، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٠) عن الكلبي، واستغربه.

يحثُّنا محمَّدٌ على حبِّ قرابتِه ويشتِمُ آلهتَنا، وزيَّف بعضُهم هذا القولَ.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ هذا تأكيدٌ لقولِه: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1].

***

(٤٨) ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يأتي به.

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يرمي بالإسلامِ في الآفاقِ.

ابنُ عيسى: القَذْفُ: إلقاءُ الشَّيءِ عن عِظَمِ شأنٍ[2].

وقيل: يقذفُ بالحقِّ على الباطلِ، فحُذِفَ[3].

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يوحي بالقرآنِ.

وقيل: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ في قلبِ مَن شاءَ وعلى لسانِ مَن شاءَ.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ أي: هو علَّامُ الغيوبِ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلامُ.

وقيل: الجهادُ.

---

(١) قوله: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ من آيات أخر [الأنعام: ٩٠] و[هود: ٥١] و[الشورى: ٢٣]، والذي هنا: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٥)، بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٠)، واستغربه.

وقيل: السَّيفُ.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: بعثةُ النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾؛ أي: ما يخلقُ إبليسُ شيئًا ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ولا يَبعثُ.

وقيل: الباطلُ: الأصنامُ.

وقيل: معناه: وزالَ الباطلُ؛ أي: الشِّركُ، كقولِه: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ومثلُه: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقيل: هذا مَثَلٌ يُضرَبُ لكلِّ مَن انقطعَ عن الاحتجاجِ، ما يُبدِئُ وما يُعيدُ، وما يُحْلِي وما يُمِرُّ.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ ﴿مَا﴾ نفيٌ.

وقيل: هي استفهامٌ بمعنى النَّفيِ، ومحلُّه نصبٌ؛ أي: أيُّ شيءٍ يُبدِئُ الباطلُ؟ وأيُّ شيءٍ يُعيدُ؟

***

(٥٠) - ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾: إن أخطأتُ عن الحقِّ والرَّشادِ كما تزعُمونَ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾؛ أي: وَبالُ ضلالي على نفسي، ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾: فبوَحْيِ الله وتوفيقِه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: سمعَ دُعائي فاستجابَ بفضلِه.

***

(٥١) ـ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ قيل: عندَ الموتِ.

وقيل: في القبرِ.

وقيل: عندَ البعثِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

﴿فَلَا فَوْتَ ﴾: لا مناصَ ولا مهربَ.

﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾: من تحتِ أقدامِهم.

وقيل: من ظهرِ الأرضِ إلى بطنِها.

وقيل: أُخرِجُوا منَ الأرضِ.

وقيل: ببدرٍ[١] ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ بعذابِ الدُّنيا. وقُرْبُ المكانِ مَثَلٌ لسهولةِ أخذِهم وتعذيبِهم. وجوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ أي: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

الكلبيُّ والثَّعلبيُّ وغيرُهما: نزلَتْ في السُّفيانيَّةِ[٢].

روى حُذيفةُ بنُ اليمانِ عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه ذكرَ فتنةً تكونُ بين أهلِ المغربِ والمشرقِ، فبينا هم كذلك إذ خرجَ عليهم السُّفيانيُّ منَ الوادي اليابسِ في فورِه ذلك حتَّى ينزلَ دمشقَ، فيبعثُ جيشَين: جيشًا إلى المشرقِ وجيشًا إلى المدينةِ، حتى ينزلوا بأرضِ بابلَ في المدينةِ الملعونةِ والبقعةِ الخبيثة، فيقتُلون أكثرَ مِن ثلاثةِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) واستغربه.

(٢) ذكره عن الكلبي السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٩٦)، أما الثعلبي فقد روى في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٦) خبر حذيفة الآتي، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤١) عن الكلبي والثعلبي خبر حذيفة الآتي، وعده من العجائب.

آلافٍ، ويبقُرون بها أكثرَ من مئةِ امرأةٍ، ويقتُلون بها ثلاثَ مئةِ كبشٍ من بني العبَّاسِ، ثمَّ ينحدِرونَ إلى الكوفةِ فيُخرِّبون ما حولَـها، ثمَّ يخرُجون مُتوجِّهين إلى الشَّامِ، فتخرجُ رايةُ هدًى منَ الكوفةِ، فتلحقُ ذلك الجيشَ منها على ليلتَين، فيقتُلونَهم لا يُفلتُ منهم مُخبِرٌ، ويستنقِذُون ما في أيديهم منَ السَّبيِ والغنائمِ، ويحلُّ جيشُه الثَّاني بالمدينةِ فينتهِبُونها ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها، ثمَّ يخرُجون متوجِّهين إلى مكَّةَ، حتَّى إذا كانوا بالبيداءِ بعثَ الله عزَّ وجلَّ جبريلَ، فيقولُ: يا جبريلُ، اذهَبْ فأبِدْهُم. فيضربُها برجلِه ضربةً يخسفُ الله بهم، فذلكَ قولُه في سورةِ سبأ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ فلا ينفلتُ[1] منهم إلا رجلانِ؛ أحدُهما بشيرٌ، والآخرُ نذيرٌ، وهما من جُهينةَ، فلذلك جاء القولُ: وعند جُهينةَ الخبرُ اليقينُ[2].

***

(٥٢) ـ ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ عندَ البأسِ[3] والأهوالِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾: بالله، وقيل: بمحمَّدٍ.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾؛ أي: كيفَ يتناولون الإيمانَ وقد ذهبَ مكانُ التَّكليفِ وزمانُه؟

وقيل: يَسألونَ الرَّدَّ وليس حينَ ردٍّ.

والتَّناوُشُ: التَّناوُلُ، من نُشْتَ تَنُوشُ، قال الشَّاعرُ:

---

(١) في (ن): «فلا ينقلب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٦)، والداني في «الفتن» (٥/ ١٠٨٩)، وانظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي (ص: ١٤٧ ـ ١٤٩)، وعزاه للنقاش في «تفسيره».

(٣) في (ف): «اليأس».

باتَـتْ تَنُـوشُ الحَـوْضَ نَوْشًـا من عَلَا   نَـوْشًـا بـه تَـقْـطَـعُ أجْـوازَ الفلا[(١)]

ومَن همزَ[(٢)] فعند سيبويهِ قلبَ الواوَ المضمومةَ همزةً[(٣)].

وقيـل: هـو مـن نَـأَشَ وانْتَـأَشَ: إذا بطُـؤَ[(٤)]، والنَّئيـشُ: الحركةُ في إبطـاءٍ، قال الشّاعرُ:

تَمَنَّـى نَئِيْشًـا أَن يـكُونَ أطَاعَـنِـي   وقد حدثَـتْ بعـدَ الأمـورِ أمـورُ[(٥)]

ثعلبٌ: التَّناوُشُ بغيرِ همزٍ: التَّناوُلُ من قُربٍ، والتَّناؤُشُ بالهمزِ: من بُعْدٍ[(٦)].

والمكانُ البعيدُ: قيل: هو الذي هم فيه.

وقيل: هو الذي ليسوا فيه، وهو: الدُّنيا.

---

(١) الرجز لغيلان بن حريث كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٠)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (٢/ ٢٤٧)، و«اللسان» مادة: (ن و ش). ولأبي النجم العجلي في «معجم ديوان الأدب» (٤/ ٢٢)، و«الصحاح» مادة: (ع ل ا)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٣/ ٣١٩). ودون نسبة في «الكتاب» (٣/ ٤٥٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٣٠٧). قال في «اللسان»: الضمير في قوله: (فهي) للإبل أي: تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً كثيراً، وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر.

(٢) وهـي قـراءة حمـزة والكسـائي وأبـي عمـرو وأبـي بكـر، والباقـون بغيـر همـز. انظـر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٦٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٦٦).

(٤) انظر: «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٢٣٢).

(٥) صدر بيت لنهشل بن حريٍّ، كما في «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٢٠٣)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٦) ذكـره ابـن سـيده فـي «المحكـم» (٨/ ٩٣)، وذكـره المصنف في «غرائـب التفسـير» (٢/ ٩٤٢)، واستغربه.

(٥٣) ـ ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ كالأوَّلِ ﴿مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: في الدُّنيا، وقيل: قبلَ العذابِ.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾: يرجمونَ بالظَّنِّ، يقولون: لا بعثَ ولا حسابَ، ولا جنَّةَ ولا نارَ.

وقيل: هو قولُهم في النَّبيِّ ﷺ: إنَّه ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾: بالآخرةِ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ يُنكرونَها ويقولونَ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

وقيل: هو طَعنُهم في القرآنِ.

وقيل: يُؤخِّرونَ التَّوبةَ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: يستبعِدون جميعَ ما غابَ عنهم فلا يُؤمنونَ به.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾.

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ منَ الرُّجوعِ إلى الدُّنيا وقَبولِ إيمانِهم وتوبتِهم.

﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم ﴾: بأمثالِهم ﴿مِّن قَبْلُ ﴾ حينَ آمنُوا إيمانَ اليأسِ، يعني: الأممَ المُهلَكةَ. وقيل: أصحابَ الفيلِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴾: مُشكِّكٍ مُبالِغٍ في الشَّكِّ، كما تقولُ: عجَبٌ عجيبٌ.

وقيل: في شكٍّ مُوجِبٍ لصاحبِه ما يَريبُه من مكروهٍ، وهذا ردٌّ على مَن زعمَ أنَّ الله لا يُعذِّبُ على الشَّكِّ. والله أعلمُ.

* * *

سُورَةُ فَاطِرٍ

سُورَةُ فَاطِرٍ

خمسٌ وأربعون آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

الحسنُ: مكِّيَّةٌ إلا آيتَين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٠ـ٢٩][2].

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حمِدَ نفسَه تعظيمًا له وتَعليمًا لعبادِه.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالِقِهما ابتداءً.

قال الزَّجَّاجُ: رُوِيَ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ما كنتُ أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتَّى اختصَمَ إليَّ أعرابيَّانِ في بئرٍ؛ فقال أحدُهما: أنا فطرتُها؛ أي: ابتدأتُها[3]،

---

(١) «خمس وأربعون آية»: من (ن). وفي «البيان في عدّ آي القرآن» (ص: ٢١٠): «وهي أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقين».

(٢) ذكر الطبرسي في «مجمع البيان» (٢٢/ ٢٢٤)، وعنه الآلوسي في «روح المعاني» (١١/ ٣٣٤): أن الحسن استثنى آيتين: آية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [٢٩]، وآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية [٣٢]، وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٢٤٧): وهي مكية بالاتفاق، وحكى الآلوسي عن الطبرسي: أن الحسن استثنى آيتين... ولم أر هذا لغيره.

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، ومن طريقه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

ومثلُ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خالقُ السَّماواتِ والأرضِ. انتهى كلامُه[١].

ابنُ عيسى: الفَطْرُ: الشَّقُّ عن الشَّيءِ بإظهارِه للحِسِّ[٢].

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾؛ أي: إلى عبادِه؛ يعني: جبريلَ وميكائيلَ وعزرائيلَ عليهم السَّلامُ.

وقيل: هذا وصفٌ لعامَّتِهم؛ أي: جميعُ ملائكةِ الله رسلُ الله[٣] إلى الجنِّ والإنسِ، أو بعضُهم إلى بعضٍ.

﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾: ذَوي أجنحةٍ، جمعُ جَناحٍ، مشتقٌّ من (جَنَحَ)؛ إذا مالَ.

﴿مَّثۡنَىٰ﴾: اثنَين اثنَين ﴿وَثُلَٰثَ﴾: ثلاثًا ثلاثًا ﴿وَرُبَٰعَ﴾: أربعًا أربعًا، فعدلَ ووصفَ ما قبلَه به، فلم ينصرِفْ للعدلِ والوصفِ، والمعنى: اثنَين منَ الجانبَين.

وقيل: اثنَين من كلِّ جانبٍ، وكذلك ثلاثًا من كلِّ جانبٍ؛ لينقسمَ باعتدالٍ.

وقيل: الثَّالثُ على الظَّهرِ كما يُرى لبعضِ الحيتانِ.

وقيل: الطَّيرانُ بجناحَين، وما زادَ فللزِّينةِ.

ورَوى المُفسِّرون عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى جبريلَ وله ستُّ مئةِ جناحٍ[٤].

وقيل: هما جناحانِ، ثمَّ ينقسمُ كلُّ جناحٍ إلى جناحَين وزيادةٍ.

﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: في خلقِ الملائكةِ، وقيل: عامٌّ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه فسَّرَه بالوجهِ الحسنِ، والصَّوتِ الحسنِ، والشَّعرِ الحسنِ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٦١).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٠) بلا نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٣).

(٣) اسم الجلالة: «الله»: ليس في (ف).

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

(٥) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» =

وقيل: الخطُّ الحسنُ، وعنه ﷺ: «الخطُّ الحسَنُ يزيدُ الحقَّ وُضوحًا»[1].

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (يزيدُ في الحَلْقِ) بالحاءِ[2]، وفُسِّرَ بالصَّوتِ.

وقيل: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ هو السَّلامُ على الأعمَى[3].

وقيل: العقلُ والتَّميزُ والعلومُ والصَّنائعُ.

وقيل: المحبَّةُ في قلوبِ المؤمنين[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من ذلك وغيرِه ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه.

* * *

(٢) ـ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ قيل: وحيٍ ورسول، ومطرٍ وعافية، ونعمةٍ وتوسِعةِ رزقٍ.

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: لا دافعَ ولا مانعَ ولا حابسَ.

= (٣/ ٥٩٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٠)، وعزاه القرطبي للقشيري، وأورده الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٨) ولم يذكر له تخريجاً.

وروى الفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٣٣)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٣٩٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٠٥٦) عن ابن شهاب في قوله: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قال: «حسن الصوت».

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥) عن قتادة قال: «الملاحة في العينين».

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٣) عن مهاجر الكلاعي مرسلاً.

(٢) ذكرها محمد بن أبي نصر الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٤)، وذكرها ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٧١) دون نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٤)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٤)، واستغربه.

﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾: يَمنعْ ويَدفعْ ويَحبِسْ ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سُلطانِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: اشكُروها.

وقيل: اذكُروها بلسانِكُم، واحفَظُوها بقلوبِكم، ولا[(١)] تنسَوها.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفيِ.

﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ[(٢)].

وقيل: يرزقُكم الهدايةَ.

مَن جَرَّه[(٣)] جعلَه وصفًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللَّفظِ، ومَن رفعَه[(٤)] فعلى المحلِّ، أو على الاستثناءِ، فإنَّه نفيٌ في المعنى[(٥)]، أو على الخبرِ.

---

(١) في (ف): «بقلبكم فلا».

(٢) في (ن): «بالنبات».

(٣) أي: لفظ ﴿غَيْرُ﴾.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٥) قوله: «فإنه نفي...» يعني به: الاستفهام، والقول بأنه رفع بالاستثناء ذكره أبو علي في «الحجة» (٦/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٥)، واستغربه، وجعل الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٩٧) الاستثناء على قراءة شاذة بنصب الراء من (غير) نسبت للفضل بن إبراهيم النحوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

قولُه: ﴿يَرْزُقُكُم﴾ يجوزُ أن يكونَ خبرًا، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ جرٍّ وصفًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾، ولا يَمتنِعُ أن يكونَ حالًا من اسمِ الله.

ومعنى ﴿يَرْزُقُكُم﴾: يُعطيكمُ. والرِّزقُ: العطاءُ.

وقيل: الرِّزقُ ما جعلَه الله صالحًا للغذاءِ أيضًا.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تُصْرَفونَ عن الحقِّ إلى الباطلِ، وعن عبادةِ الله إلى عبادةِ الأوثانِ؟ والإفْكُ: الصَّرْفُ.

وقيل: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تُكذَبونَ، ويُقالُ لكم: إنَّ آلهتكم ترزُقُكم؟ والإفكُ: الكذبُ.

* * *

(٤) - ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: تأسَّ بهم واصبرْ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فلن تعدمَ لصبرِك جزاءً.

* * *

(٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ والجزاءِ ﴿حَقٌّ﴾: صدقٌ وكائنٌ لا خُلْفَ فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: لا يخدعنَّكم البقاءُ فيها فترْكَنوا إليها؛ فإنَّها عن قريبٍ زائلةٌ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ، يُريدُ: يُمَنِّيكم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعصيةِ، و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بالفتحِ: الشَّيطانُ، وبالضَّمِّ جمعُ غَارٍّ، كسُجودٍ جمعُ ساجدٍ،

وجُلوسٍ جمعُ جالسٍ، أو يكونُ مصدرًا وإن كانَ فعلُه مُتعدِّيًا كالعقوقِ، واللُّزومِ، والنُّهوكِ؛ مصدرُ: نهكَه المرضُ.

* * *

(٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ ﴾ يسعى طاقتَه في فسادِكم، ولا يسرُّه صلاحُكم.

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾: عامِلُوا معه مُعاملةَ الأعداءِ، ولا تقبلوا قولَه فتصيروا من حزبِه.

﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ ﴾: أتباعَه ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾؛ أي: غرضُه من دُعائِه إيَّاهم أن يُورِدَهم النَّارَ.

* * *

(٧) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾؛ أي: فمَن أجابَه حين دعاه فله عذابٌ شديدٌ؛ لأنَّه صارَ من حزبِه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فلم يُجيبوه ولم يصيروا من حزبِه ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبِهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴾ في الجنَّةِ.

* * *

(٨) ـ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ ﴾: زيَّنَ له الشَّيطانُ، وقيل: زيَّنَه نفسُه ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾: قبيحُ أعمالِه وذنوبِه.

﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾: فاعتَقَدَه صوابًا، وقيل: صِدْقًا جميلًا.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الجوابُ محذوفٌ؛ أي: كمَنْ هو بضدِّه.

وقيل: المحذوفُ: تحسَّرْتَ عليه، ودلَّ عليه قولُه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾.

وقيل: تقديرُ جوابِه: كمَن عرفَ الحسَنَ منَ الأعمالِ حسَنًا والقبيحَ قبيحًا.

وتفسيرُ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾: لا تَمُتْ حسرةً أنْ لا يُؤمِنُوا، ومعناه: لا تحزَنْ عليهم حُزْنًا شديدًا يكادُ يقتُلُكَ، والحَسْرَةُ: الاغتمامُ على ما فاتَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: يعلمُ أعمالَهم فيُجازيهم عليها.

قيل: هم اليهودُ عانَدوا رسولَ الله ﷺ.

وقيل: هو إبليسُ، وسوءُ عملِه: إغواؤه.

وقيل: نزلَتْ في العاصِ بنِ وائلٍ والأسودِ بنِ المُطَّلبِ(١).

وقيل: في أبي جهلٍ(٢)، عليهم اللَّعنةُ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُهيِّجُه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أسندَ الإرسالَ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٣).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٥٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠) عن مقاتل والكلبي.

والسَّوْقَ إليه سُبحانَه، والإثارةَ إلى الرِّيحِ؛ أي: أحدَثَها بصفةِ الإثارةِ، وذكَرَ الإرسالَ والسَّوْقَ بلفظِ الماضي والإثارةَ بلفظِ الحالِ لهذا.

وقيل: المُستقبلُ والماضي في هذه سواءٌ؛ لأنَّ هذه أمورٌ تبقى إلى يومِ القيامةِ.

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: أرسلَ الرِّياحَ فأثارَتْ سحابًا فسُقناه، فنُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سحابًا فنسوقُه[١]، فاكتفَى بذكرِ البعضِ عنِ البعضِ[٢].

وقيل: إسنادُ الإثارةِ إلى الرِّيحِ مجازٌ؛ لأنَّ الرِّيحَ لا فعلَ لها، وحركاتُها وسكناتُها من فعلِ الله.

﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: خصَصْنا بالمطرِ ما شِئْنا منَ البقاعِ[٣].

﴿فَأَحْيَيْنَا﴾: أنبَتْنا ﴿بِهِ﴾: بالمطرِ، وقد تقدَّمَ ذكرُه ضمنًا لا صريحًا.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يَبَسِها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: كما أحيَيْنا الأرضَ بالنَّباتِ نُحيي الموتى.

وقيل: كما أنزَلْنا منَ السَّماءِ ماءً فصارَ سببًا لحياةِ الأرضِ نُنزِّلُ منَ السَّماءِ ماءً يكونُ به حياةُ الموتى، فقد ذكرَ المُفسِّرون: أنَّ الله يُرسِلُ بعد النَّفخةِ الأولى سحابًا من تحتِ العرشِ يُمْطِرُ مثل منيِّ الرِّجالِ أربعينَ يومًا، ثمَّ يُنشِرُهم الله به بعد النَّفخةِ الثَّالثةِ[٤].

---

(١) في (ف): «فيُرسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سحابًا فيسوقُه». والمثبت من (ن) ومثله في «غرائب التفسير».

(٢) في (ف): «فاكتفى عن البعض بذكر البعض». والمثبت من (ن) ومثله في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٦)، واستغربه.

(٣) في (ن): «خصَصْنا منَ البقاعِ ما شِئْنا بالمطرِ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٦ ـ ٩٤٧)، واستغربه.

وكانَ القياسُ: كذلك الإنشارُ، فاكتفَى بالنُّشورِ لأنَّه يتضمَّنُ الإنشارَ[1]، مثل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

***

(١٠) ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾ العِزُّ والعِزَّةُ واحدٌ، وهي: المَنَعَة.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؛ أي: مَن كانَ يُريدُ أن يعلمَ لمَن العِزَّةُ فليعلَمْ أنَّ العِزَّةَ لله جميعًا.

وقيل: مَن كان يطلُبُ عِزَّةً فليطلُبْ من طاعةِ الله؛ فإنَّ العِزَّةَ لله.

وقيل: مَن كان يعبدُ الأصنامَ ليكونُوا لهم عزًّا، فاعلَمْ أنَّ ذلك ذُلٌّ؛ فإنَّ العزَّةَ لله ﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مُجتمِعةً في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ أي: إلى محلِّ القَبولِ.

وقيل: إلى الموضعِ الذي لا يجري فيه حُكمٌ إلا لله.

وقيل: الصُّعودُ كنايةٌ عن القَبولِ؛ أي: يقعُ أجلَّ موقعٍ؛ لأنَّ الكلمَ لا يُوصَفُ بالصُّعودِ والنُّزولِ.

واختارَ لفظَ الصُّعودِ لأنَّ العُلوَّ في مراتبِ النَّاسِ أشرفُ من السِّفالِ، كما تقولُ: ارتفعَ إلى القاضي، وتراقَى الخبرُ إلى السُّلطانِ، وإن كانَ في سَرَبٍ.

وقيل: يصعدُ به الملَكُ، فقد جاء في الحديثِ: «إنَّ المؤمنَ إذا قال: سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، أخذهُنَّ ملَكٌ فجعلَهُنَّ تحتَ جناحِه ثمَّ صعِدَ

---

(١) الظاهر أن الإنشار يتضمن النشور، لا العكس، هذا إذا نظرنا إلى أن المتعدي يتضمّن اللازم، لكن الفعل (نشر) متعدّ، وبمعناه و(أنشر)، وعليه يصبح النشور والإنشاء يتضمّن كلٌّ منهما الآخر، والله أعلم.

بهنَّ إلى السَّماءِ، فلا يمُرُّ على جمعٍ منَ الملائكةِ إلا استغفَروا لقائلِهنَّ»[١].

و﴿ٱلۡكَلِمُ﴾: جمع كَلِمةٍ، وهي: كلمةُ التَّوحيدِ.

وقيل: سبحانَ الله، كما سبق.

وقيل: ﴿ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: القرآنُ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: الحَسَنُ.

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: ما ارتَضاهُ الله.

وقيل: ما كان طاعةَ الله فهو طيِّبٌ.

وقيل: هو الطَّيِّبُ؛ لأنَّه ذكرُ الله، وكان القياسُ: الطَّيِّبَةَ، لكنْ كلُّ جمعٍ ليس بينَه وبينَ واحدِه إلا الهاءُ جاز تذكيرُه وتأنيثُه.

﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ العملُ الصَّالحُ: أداءُ الفرائضِ والاشتغالُ بالنَّوافلِ.

وفي فاعلِ ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾[٢] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مُضمَرٌ يعودُ إلى (العملِ)، والهاءُ في ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلۡكَلِمُ﴾؛ أي: لا يُقْبَلُ قولٌ إذا لـم يكُنْ معه عملٌ.

والثَّاني: مُضمَرٌ يعودُ إلى ﴿ٱلۡكَلِمُ﴾، والهاءُ يعودُ إلى (العَمَل)؛ أي: التَّوحيدُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٩) وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قوله بلفظ: «إذا حدثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك، فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن تعالى، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾».

(٢) في (ف): «يرفع».

يرفعُ العملَ، وكذلك مَن فسَّرَه بالقرآنِ؛ أي: القرآنُ يرفعُ العملَ.

والثّالثُ: مُضمَرٌ يعودُ إلى الله سُبحانَه، والهاءُ يعودُ إلى (العملِ)، وعلى هذَين الوجهَين قُرِئَ: (والعملَ الصالحَ) بالنَّصبِ(١).

﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: يسعَوْنَ في إبطالِ دينِ الله.

وقيل: هم الذين يُشرِكونَ بالله.

وقيل: هو ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وقيل: هي: الرِّياءُ.

﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾: دائمٌ في الآخرةِ ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ أي: الذين يمكُرونَ السَّيِّئاتِ ﴿هُوَ يَبُورُ﴾؛ أي: يهلكُ، والبَوارُ: الهلاكُ.

وقيل: يبطُلُ.

وقيل: يضيعُ ويفسُدُ ولا ينفَدُ.

وقيل: يفسُدُ عندَ الله.

***

(١١) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ أباكُم وأصلَكُم، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: بني آدمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ ذكرًا وأُنثى، وقيل: أصنافًا. وقيل: أمرَكُم بالتَّزوُّجِ.

وفي ﴿ثُمَّ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: لترتيبِ الأخبارِ.

---

(١) نسبت لعيسى وابن أبي عبلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

وقيل: ثمَّ قَدَّرَ خَلْقَكُم منَ النُّطَفِ، ثمَّ لم يكُنْ ذلك إلّا بالتَّزوُّجِ، فجعلَكُم أزواجًا.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ قد يدُلُّ على التَّقديمِ.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾؛ أي: ولدَها في بطنِها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: بعلمِ الله.

وقيل: بأمرِه، والباءُ للحالِ.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾: يُمَدُّ في عُمُرِ مُعَمَّرٍ فيبلغُ الهَرَمَ والكِبَرَ.

﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ فيُميتُه قبلَ الهَرَمِ والكِبَر، قيل: ستُّونَ سنةً.

وقيل: أربعونَ سنةً.

وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

وفي الهاءِ من ﴿عُمُرِهِۦٓ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه يعودُ إلى المُعمَّرِ[1] المذكورِ، وله معنيان:

أحدُهما: ﴿يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: ينقَضي ما ينقَضي منه؛ فإنَّ لكلِّ أحدٍ كتابًا مكتوبًا في أوَّلِه تسميةُ عمرِه، ثمَّ يُكتَبُ في أسفلِ ذلك: ذهبَ يومٌ، ذهبَ يومانِ، حتَّى يأتيَ على آخرِه، فذلك نُقصانُ عمرِه.

والثَّاني: يُنْقَصُ من مدَّةِ عمرِه، وهذا فيمَن أجازَ الزِّيادةَ والنُّقصانَ في العمرِ[2]؛ فإنَّ كعبًا قال لـمَّا طُعِنَ عمرُ رضي الله عنه: لو دعا الله عمرُ لأُخِّرَ في أجلِه، فقيل له: أليسَ الله يقولُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]؟ قال كعبٌ: أما تقرؤونَ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾[3]؟

---

(١) في (ف): «﴿مُّعَمَّرٍ﴾».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٧)، وعده من العجائب.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥٤)، والفريابي في «القدر» (٤٤٢)، من طريق الزهري عن ابن =

والثَّاني: أنَّ الهاء يعودُ إلى آخَرَ، كأنَّه قال: ولا يُنقَصُ من عمرِ آخرَ، وإليه ذهبَ الفرَّاءُ وابنُ عيسى والنَّقَّاشُ وجماعةٌ منَ المُفسِّرين، وقالوا: هذا كقولِ القائلِ: له عليَّ درهمٌ ونصفُه، فإنَّ الضَّميرَ إلى درهمٍ آخرَ، كذلك هاهنا(١).

وإذا دقَّقْتَ النَّظرَ وجدتَ الهاءَ في هذا القولِ الثَّاني أيضًا تعودُ إلى المُعمَّرِ؛ لأنَّ التَّقديرَ: ولا يُنقصُ آخرُ من عمرِ هذا المُعمَّرِ؛ أي: من مقدارِ عمرِه؛ لأنَّ الأعمارَ مُتفاوتةٌ خُصوصًا عند مَن لا يجوِّزُ القولَ في زيادةِ العمرِ ونُقصانِه، وهو مذهبُ الجميعِ، والله أعلمُ.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: حفظُ ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: سهلٌ.

وقيل: إنَّ زيادةَ عمرِ إنسانٍ ونقصانَ عمرِ آخرَ على الله يسيرٌ.

***

(١٢) ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾ العَذْبُ: الطَّيِّبُ، والفُراتُ: أعذَبُ العَذْبِ.

وقيل: الفراتُ: الخالصُ لا يشوبُه شيءٌ.

= المسيب، عن كعب، وقال الزهري: «فنرى أن ذلك يؤخر ما لم يحضر الأجل؛ فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وله أجل مكتوب».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨)، وفيه: «قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ يقول: ما يُطَوَّل من عمرٍ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾، يريدُ آخَرَ غيرَ الأول، ثُمَّ كُني عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ يعني: ونصف آخر. فجازَ أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول، فكني عنه ككناية الأوّل».

﴿سَآئِغٌ﴾: سهلُ المرورِ في الحلقِ ﴿شَرَابُهُۥ﴾: ماؤه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ والأُجاجُ: أملَحُ المُلوحةِ.

ابنُ عيسى: الأُجاجُ: من أَجَّتِ النَّارِ، كأنَّه يُحرقُ من شدَّةِ المرارةِ[1].

أي: ليسا بمُستويَين في الانتفاع.

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾؛ أي: منَ العَذْبِ والملحِ؛ لأنَّ الحوتَ يُصادُ منهما جميعًا.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾: اللُّؤلؤَ والمرجانَ، ولـم يذكُرْ من أيِّ البحرَين يُستخرَجُ في هذه السُّورةِ؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه يُستخرَجُ منَ المِلْحِ، وعليه أكثرُهم.

وقيل: يُخرجانِ منهما؛ لأنَّ في الملحِ عيونًا عذبةً يخرجُ اللُّؤلؤُ عند التَّمازجِ وينعقدُ.

وقيل: ينعقدُ من ماءِ السَّماءِ.

وقيل: لا بدَّ من عيونِ[2] العذبِ والملحِ حتَّى يُمكن إخراجُهما.

وقيل: إنَّهما يُخرجانِ منَ العذبِ. والله أعلمُ.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: تتَّخِذُ نساؤُكم منها ملابسَ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: جمعُ فُلْكٍ، وهو السَّفينةُ ﴿فِيهِ﴾ في الكلِّ، وقيل: في الملحِ.

﴿مَوَاخِرَ﴾: جمعُ ماخِرةٍ، جائيةً ذاهبةً والريحُ[3] واحدةٌ؛ أي: ترى سفينتَين تجرِيانِ بريحٍ واحدةٍ، إحداهُما مُقبلةٌ والأخرى مُدبرةٌ.

وقيل: هي مواقِرُ بالحِمْلِ.

---

(١) ذكر معناه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٤٠٥)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٦) بلا نسبة.

(٢) في (ف): «عبور».

(٣) في (ف): «بريح».

وقيل: هي التي تَشقُّ الماءَ بصدرِها.

ويحتمِلُ أنَّه من قولِه ﷺ: «استَمْخِروا الرِّيحَ وأعدُّوا النُّبَلَ»[1]؛ يعني: عندَ الاستِنجاءِ؛ أي: اجعَلُوا ظُهورَكم مما يلي الرِّيحَ، وهذه حالةُ السُّفُنِ.

﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بما تستخرِجون منَ اللُّؤلؤِ والمرجانِ، وتصيدون منَ الحوتِ، وتربحُونَ بالتِّجارةِ، وتغنَمون بالجهادِ.

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ على فضلِه إذ أنجاكُم من هَوْلِه.

***

(١٣) - ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾؛ أي: يومَ القيامةِ، ثمَّ ينقطعُ جريُهما.

وقيل: يجريانِ إلى أقصى منازِلهما لا يُجاوِزانِ ذلك، ثمَّ يرجِعانِ إلى أدنى منازِلهما.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ أي: الذي فعلَ هذه الأشياءَ هو خالقُكم ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ فهو المُستحقُّ للعبادةِ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: الأصنامُ، وقيل: الملائكةُ ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾: من خلقِ قِطْميرٍ، وهو: القِشرةُ البيضاءُ بين التَّمرِ والنَّواةِ.

وقيل: شِقُّ النَّواةِ.

وقيل: ما بينَ القِمْعِ والنَّواةِ.

---

(١) تقدم عند تفسير الآية (١٤) من سورة (النحل).

(١٤) ـ ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ فإنَّه لا لسانَ لها.

وقيل: معناه: ما أجابوكم إلى مُلْتَمَسِكُم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ حين يجعلُ الله لها بيانًا ولسانًا.

وقيل: يعني: الملائكةُ يتبرَّؤون منكم ويقولون: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤١].

وقيل: ما يظهرُ منَ الأصنامِ ممَّا يدلُّ على بُطلانِ كلامِ الكفَّارِ بمنزلةِ النُّطقِ منها بالبراءةِ، كما قيلَ: دلالتُها على التَّوحيدِ تسبيحُها.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ كلامُ جميعِ المُفسِّرين وأصحابِ المعاني مقصورٌ في هذه الآيةِ على قولَين:

أحدُهما: أن ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

والثّاني: أنَّ ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ دلَّ ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ عليه؛ أي: لا يُنبِّئُكَ تنبيئًا مثلُ تنبيءِ الخبيرِ.

وكلا القولين فيه نظرٌ:

أمّا الأوّلُ: فإضافةُ ﴿مِثْلُ﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ غيرُ جائز[ةٍ]، ولا يجوزُ أن يُقالَ: هو زيادةٌ، كما قلنا في: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لفسادِ معنى الكلامِ بحذفِه.

وأمَّا الثاني: فلا يجوزُ؛ لأنَّه يقتضي أن يكونَ ﴿مِثْلُ﴾ منصوبًا.

فالتَّأويلُ الصَّحيحُ: أن يُجعلَ هذا مثَلًا، وله نظائرُ، ويكونُ المُنبِئُ الخبيرُ المضروبُ له المثَلُ هو الله سبحانَه، والله أعلم.

* * *

(١٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في الدُّنيا إلى رزقِه، وفي الآخرةِ إلى مغفرتِه. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن خلقِه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في مُلكِه.

* * *

(١٦) ـ ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾.

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: إنْ يشأْ يُفْنِكم ويأتِ بقومٍ أُخَرَ أطوعَ للهِ منكم.

والثَّاني: يُفْنِ عالَمَكُم وأنواعَكم ويأتِ بعالَـمٍ آخرَ سوى ما تعرِفون.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإذهابُ والإتيانُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾: منيعٍ صعبٍ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾؛ أي: لا تحمِلُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أخرى.

﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ﴾: نفسٌ مُثقَلةٌ بالذُّنوبِ أحدًا ﴿إِلَىٰ حِمۡلِهَا﴾: ثقلِها، ليَتحمَّلَ عنها بعضَ ذلك، ﴿لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ﴾: لا يحمِلِ المدعوُّ منه شيئًا منَ الثِّقلِ ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾؛ أي: المدعوُّ ﴿ذَا قُرۡبَىٰٓ﴾: ذا قرابةٍ قريبةٍ كالأبِ والأخِ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾: يخافونَ ربَّهم، ويؤمنون[1] بالغيبِ، وهو: ما غابَ عنهم منَ الجنَّةِ والنَّارِ.

وقيل: معنى ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾: يخافون الله سرًّا، فلا يأتون المعاصيَ التي لا يطَّلعُ عليها غيرُ الله.

وقيل: ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾؛ أي: عذابَ ربِّهم ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: لـم يَروه.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدامُوها في مواقيتِها الخمسةِ، وغايرَ بينَ اللَّفظَين لأنَّ أوقاتَ الخشيةِ دائمةٌ، وأوقاتَ الصَّلاةِ مُعيَّنةٌ مُنقَضيةٌ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: يخشَون ربَّهم مع توفُّرِهم على الطّاعاتِ.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ عن دنَسِ المعاصي بالأعمالِ الصّالحةِ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾؛ أي: فلنفسِه ثوابُ ذلك ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المرجعُ.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾: الجاهلُ والعالِـمُ.

وقيل: الكافرُ والمُؤمنُ.

* * *

---

(١) في (ف): «فيؤمنون».

(٢٠) ـ ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾.

﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ يعني: الكفرُ والإيمانُ.

وقيل: الجهلُ والعلمُ.

وقيل: المعصيةُ والطّاعةُ.

***

(٢١) ـ ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾.

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ يعني: الجنَّةَ والنَّارَ.

وقيل: الحَرُورُ: الرِّيحُ الحارَّةُ تأتي باللَّيلِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً[(١)].

وقيل: الحرُورُ: باللَّيلِ والنَّهارِ، والسَّمومُ بالنَّهارِ خاصَّةً.

والحرُورُ: فَعولٌ منَ الحرارةِ، وهو: اشتدادُ الحرِّ ولَفْحُه.

وقيل: الظِّلُّ: الحقُّ. والحرورُ: الباطلُ[(٢)].

***

(٢٢) ـ ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾: المؤمنون والكافرون.

وقيل: العُقَلاءُ والجهَلاءُ.

و﴿لا﴾ فيها كلِّها زيادةٌ أفادَتْ نفيَ[(٣)] المُساواةِ من الجانبَين.

---

(١) «خاصة»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٣) في (ف): «ففي».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ حتَّى يتَّعِظَ ويُجيبَ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ يعني: الكفَّارَ، شبَّههم بالموتى حيثُ لا ينتفعون بمسموعِهم.

وقيل: ﴿يُسْمِعُ﴾ تحمِلُهم على القَبُولِ، من قولِنا: سمعَ الله لمَن حمِدَه؛ أي: قَبِلَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: ما أنت إلا مُنذرٌ، وليس إليك غيرُه.

* * *

(٢٤) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: بالقرآنِ ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ قيل: نذيرٌ منهم بلُغتِهم.

وقيل: إذا بَلَغَتْهُم نِذارةُ نذيرٍ منهم أو من غيرِهم فقد خلا فيهم النَّذيرُ؛ فإنَّ محمدًا ﷺ مبعوثٌ إلى جميعِ بني آدمَ وهو من العربِ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: رُسُلَهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ ﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ جاز التَّكرارُ لاختلافِ اللَّفظين، ولأنَّ الزَّبْرَ: الكتابةُ الثَّابتةُ(١).

---

(١) انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٩٠)، وقد ذكر فيه أن الزبر في الكتابة في الحَجَر، وانظر: «تفسير ابن فورك» (٢/ ١٦٨).

(٢٦) ـ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنواعِ العذابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري بالعقوبةِ والتَّعييرِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماءِ، ذُكِرَ بلفظِ التَّعظيمِ لتلوينِ الخطابِ.

وما ذكرَه أبو مسلمٍ: أنَّ التَّقديرَ: فأخرَجْنا نحنُ بنو آدم بالحرثِ والغَرْسِ ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بإضمارِ القولِ= فركيكٌ[١]، وقد سبقَ في (الأنعامِ).

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ يجوزُ أن يكونَ المُرادُ به الألوانَ[٢] حقيقةً؛ حُمرًا، وصُفرًا، وبِيضًا، وسُودًا، ويجوزُ أن يكونَ المُرادُ به الصِّنفَ.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ جُدَدٌ: جمعُ جُدَّةٍ، كغُدَّةٍ وغُدَدٍ؛ أي: طرائقُ؛ جُدَّةٌ بيضاءُ، وجُدَّةٌ حمراءُ، والهاءُ في ﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ يعودُ إلى (الجبالِ).

وقيل: إلى (حُمْرٌ)؛ أي: بعضُها أشدُّ حُمْرةً، وبعضُها أخفُّ، وبعضُها وسطٌ في الحُمْرةِ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «باللون» بدل: «به الألوان».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: جمعُ غِرْبِيبٍ، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ التَّقديرَ: وسُودٌ غَرابيبُ؛ لأنَّه يُقالُ: أسْوَدُ غِرْبِيبٌ، ولا يقالُ: غِرْبِيبٌ أسودُ.

ابنُ عيسى: الغِرْبِيبُ: الذي لونُه لونُ الغُرابِ، فصارَ كأنَّه قال: وكَلَونِ الغُرابِ أسْوَد[1].

وقيل: ﴿سُودٌ﴾ بدلٌ من ﴿غَرَابِيبُ﴾ وليس بوصفٍ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾؛ أي: كاختلافِ الثَّمراتِ والجبالِ، وذُكِّر الضَّميرُ لأنَّ التَّقديرَ: جنسٌ مختلفٌ ألوانُه.

وقيل: [ما] مختلف ألوانه، وقيل[2]: مَن مُختلفٌ ألوانُه؛ لتقدُّمِ ذكرِ النَّاسِ، فحُذِفَ (مَا) و(مَن) لأنَّ (من) يدلُّ عليه.

فإن قيل: قد ذُكِرَ مع الجبالِ ﴿مِن﴾؟

قلنا: قد بيَّنَ البعضَ بقولِه: ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾، ولم يُبيِّنْ في قولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ﴾، فبقيَ ﴿مختلفٌ ألوانُه﴾ صفةً للمُقدَّرِ.

وأجاز الكوفيون أن يكونَ وصلًا لـ(مَا)، أو لـ(مَن)، وهو ممتنعٌ عند البصريِّين.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ أي: العُلماء باللهِ.

وما رُوِي عن أبي حنيفةَ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وابنِ سيرينَ رحمهم الله:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٤٩)، واستغربه.

(٢) «وقيل: مختلف ألوانه» من (ن)، وما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠).

(إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)(١) فمعناه: يعلَمُ، كقولِه: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠].

وقيل: هو بمعنى: يمتحِنُ.

وقيل: يختارُ.

وعن عطاءٍ قال: نزلَتْ الآيةُ في أبي بكرٍ رضي الله عنه، وذلك أنَّه ظهرَ من أبي بكرٍ خوفٌ حتى عُرِفَ فيه، فكلَّمه النَّبيُّ ﷺ في ذلك، فنزلَ فيه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾(٢).

وعن النَّبيِّ ﷺ: «كفى بخشيةِ الله علمًا، وبالاغترارِ به جهلًا»(٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لمَن أذنَبَ ﴿غَفُورٌ﴾ لمَن تابَ.

* * *

(٢٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقرؤونَ(٤) القرآنَ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٤)، و«الكشاف» (٣/ ٦١١). قال الثعلبي: «والقراءة الصحيحة ما عليه العامة».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٣) عن عطاء الخرساني مرسلاً، وفيه سيف بن عمر، وهو متروك.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٨٦٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من قوله.

(٤) في (ف): «يعني» بدل: «أي: يقرؤون».

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا﴾: الصَّدقةَ ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: الزَّكاةَ، وغايرَ بين المُستقبلِ والماضي لأنَّ أوقاتَ التِّلاوةِ أعمُّ من أوقاتِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، ويجوزُ أن تكونَ التِّلاوةُ في الصَّلاةِ، ويجوزُ أن تكونَ الصَّلاةُ سابقةً على التِّلاوةِ.

﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن تَكْسُدَ. وقيل: لن تَهْلِكَ. وقيل: لن تَفْسُدَ.

والتِّجارةُ هي الجنَّةُ، وقيل: قَبولُ أعمالِهم.

***

(٣٠) ـ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ متَّصلٌ بـ﴿يَتْلُونَ﴾ وما بعدَه، و﴿أُجُورَهُمْ﴾: ثوابَ أعمالِهم.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: يُضاعِفَ لهم الحسناتِ.

وقيل: يشفَعون فيمَن وجبَ لهم[1] النّارُ.

وقيل: يُفسَحُ لهم في قُبورِهم.

﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذُنوبِهم ﴿شَكُورٌ﴾: مُجازٍ على أعمالِهم.

وقيل: يُعطي الجزيلَ على العملِ القليلِ[2]، من قولِهم: أشْكَرُ من بَرْوَقةٍ[3]، وهي: شجرةٌ إذا تغيَّمتِ السَّماءُ اخضَرَّتْ وأورَقَتْ من غيرِ مطرٍ.

***

---

(١) في (ف): «له».

(٢) في (ن) زيادة: «مشتق».

(٣) من أمثال العرب، ذكره ابن دريد في «جمهرة اللغة» مادة: (ب ر ق) (١/ ٣٢٢)، والعسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٥٦٣).

(٣١) - ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: الصِّدقُ لا يشوبُه كذبٌ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: مُوافقًا لِـما في الكُتُبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: يَجعلُ ما تقدَّمَه منَ الكتبِ صادقةً؛ لأنَّ فيها الوعدَ به.

وقيل: مُصدِّقًا بإعجازِه دعوى النَّبيِّ ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالـمٌ بهم.

***

(٣٢) - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ لتَراخي الإيراثِ، وقيل: لتراخي الإخبارِ.

واستُعمِلَ لفظُ الميراثِ لأنَّه صار لهم كما يصيرُ الميراثُ للورثةِ.

وقيل: لأنَّه أعطاهُم من غيرِ مسألةٍ ولا اكتسابٍ.

وقيل: معناه: أخَّرْناه إلى الذين اصطفينا مِن عبادنا، وأُنشدَ لعنترةَ:

وأورَثْـتُ سـيفي عن حُصَينِ بنِ معقلٍ إلـى جـدِّه إنِّـي لـثأري لطالبُ[1]

أي: أخَّرْتُ سيفي.

﴿الْكِتَابَ﴾ قيل: هو القرآنُ.

وقيل: ﴿الْكِتَابَ﴾ اسمُ الجنسِ، والمُرادُ به: الكتبُ.

---

(١) البيت في «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ١٨٩)، ولم أجده في المطبوع من «ديوان عنترة».

وقيل: المُرادُ به: أحكامُ الكتابِ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ قيل هم: أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، وقيل: هم الأنبياءُ عليهم السَّلامُ، والاصطِفاءُ على هذَين الوجهَين للثَّوابِ.

وقيل: الذين اصطفَيناهُم للتَّكليفِ والامتحانِ.

﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ قد أكثرَ العلماءُ في تفصيلِ هذه الثَّلاثة، وأحسنُ ما قيلَ ما وافقَ القرآنَ والخبرَ وكلامَ الصَّحابةِ والتّابعين؛ أمَّا القرآنُ فقولُه سبحانَه وتعالى: ﴿أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠]، فيكونُ الظّالمُ: أصحابَ المشأمةِ، والمُقتصِدُ: أصحابَ الميمَنةِ، والسَّابقُ: السّابقين.

ومثلُه: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨]: فالسَّابقُ منهم، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠]: فالمُقتَصِدُ منهم، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]: فالظّالمُ منهم؛ فالضَّميرُ في قولِه: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ على هذا يعودُ إلى العبادِ، وإلى[١] الذين اصطفاهم على القولِ الآخرِ[٢].

وأمَّا الخبرُ فما رواه أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآيةَ ثمَّ قالَ: «أمَّا الذين سبقُوا فأولئك يدخُلونَ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا الذين اقتَصَدوا فأولئك يُحاسَبونَ حسابًا يسيرًا، وأمَّا الذين ظلَمُوا أنفُسَهم فأولئك يُحبَسون في طولِ المحشرِ، ثمَّ هم الذين يتلقَّاهم الله برحمتِه، فهم الذين يقولونَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾»[٣].

---

(١) في (ف): «أو إلى».

(٢) في (ف): «الأخير».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٩٧) و(٢٧٥٠٥)، =

ورَوَى أسامةُ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قال عند قراءةِ هذه الآيةِ: «كلُّهم في الجنّةِ»[١].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: السّابقُ: المؤمنُ المُخلِصُ، والمُقتَصِدُ: المُرائي، والظّالـمُ: الكافرُ بالنِّعمةِ غيرُ الجاحدِ لـها؛ لأنَّه حكمَ للثّلاثةِ بدخولِ الجنّةِ[٢].

وعن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال على المنبرِ بعد قراءةِ هذه الآيةِ: قال رسولُ الله ﷺ: «سابِقُنا سابقٌ، ومُقتصِدُنا ناجٍ، وظالِـمُنا مغفورٌ له»[٣].

= والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٣)، وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٨). قال الحاكم وعنه البيهقي: «وقد اختلفت الروايات في إسناد هذا الحديث... وإذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٥): «رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح ـ وهي هذه ـ إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي». وقال محققو «المسند»: بينهما فيه أبو خالد البكري كما في «تاريخ البخاري» (٩/ ١٨)، ولم نتبينه.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٤١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦): «فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ».
وروي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧٤٥)، والترمذي (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٦). قال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «في إسناده من لم يُسمَّ».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٨).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه. والفضل بن عميرة ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.
ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه. وقال =

وعن عثمانَ رضي الله عنه قال: سابقُنا أهلُ جهادنا، ومُقتصِدُنا أهلُ حضَرِنا، وظالِـمُنا أهلُ بَدْوِنا[١].

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله: السَّابقُ: العالـمُ، والمُقتصِدُ: المُتعلِّمُ، والظَّالـمُ: الجاهلُ[٢].

الحسينُ بنُ الفضلِ: الظَّالـمُ: القارئُ للقرآنِ، والمُقتصِدُ: القارئُ العالـمُ به، والسَّابقُ: القارئُ له، العالـمُ به، العاملُ بما فيه[٣].

والهاءُ على هذه الوجوهِ يعودُ إلى المُصطفَين.

وقيل: الظّالـمُ لنفسِه: آدمُ عليه السَّلامُ، والمُقتصِدُ: إبراهيمُ عليه السَّلامُ، والسّابقُ: محمَّدٌ ﷺ[٤].

وقيل: إنَّما قدَّمَ الظّالـمَ كي لا يقنَطَ.

= البيهقي: «فيه إرسال بين ميمون بن سياه، وبين عمر رضي الله عنه. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفًا عليه».

والموقوف رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٢).

وإسناده غير قوي كما قال البيهقي، وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٩).

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠)، واستغربه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) بلا نسبة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، وعده من العجائب.

وقيل: أخَّرَ السَّابقَ ليكونَ أقربَ إلى الجِنانِ والثَّوابِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الاصطفاءُ، وقيل: السَّبْقُ ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

* * *

(٣٣) - ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبرُه.

والضَّميرُ يعودُ إلى الثَّلاثةِ على ما سبقَ.

وقيل: يعودُ إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾

وقيل: إلى المُقتصِدِ والسَّابقِ فيمَن جَعَلَ الظَّالـمَ الكافرَ.

وقيل: إلى السَّابقِ وحدَه؛ لأنَّ ذلك معلومٌ قطعًا.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمعُ أَسْوِرةٍ، وأَسْوِرةٌ: جمعُ سِوَارٍ.

﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾؛ أي: من ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ باللُّؤلؤِ.

الزَّجَّاجُ: من ذهبٍ في صفاءِ اللُّؤلؤِ[1]، كما قيل: من فضَّةٍ في صفاءِ قواريرَ.

ومَن نَصَبَ[2] عطفَه على محلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ أي: يُحلَّونَ أساورَ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

قيل: الحليُّ فيها للنِّساءِ دونَ الرِّجالِ.

وقيل: للرِّجالِ والنِّساءِ، يدُلُّك قولُه: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٠).

(٢) بالنصب قرأ نافع وعاصم، وباقي السبعة بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٣٤) ـ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حَزَنَ النَّارِ(١).

عكرمةُ: حَزَنَ الذُّنوبِ(٢).

وقيل: حَزَنَ الموتِ.

وقيل: حَزَنَ الخبزِ وطلَبِ المعاشِ، ويُقالُ: الجوع(٣).

ويُقالُ: حَزَنَ إبليسَ ووسوستِه.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾؛ أي: الإقامةِ لا نَبْرَحُ منها ولا نُفارِقُها.

وقيل: المُقَامةُ: الموضعُ الذي يُؤكَلُ فيه ويُشرَبُ، والمَقامةُ ـ بالفتح ـ: كلُّ موضعٍ يُجتَمَعُ فيه لأمرٍ حتَّى يُقطَعَ(٤).

﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: وجَعٌ، وقيل: تعَبٌ.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كَلالٌ يلحقُ الجوارحَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٩)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٢٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥١)، واستغربه.

وكرَّرَ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾ كيلا يُظَنَّ أنَّهما لا يَمَسَّانِ معًا، ويجوزُ أن يَمَسَّا فُرادَى.

وقيل: النَّصَبُ على القلبِ، واللُّغوبُ على البدنِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾؛ أي: لا يُقْضى عليهم بموتٍ ثانٍ فيستَريحوا؛ لأنَّهم ماتُوا موتةً.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ وقولُه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧] لا يدلُّ على تخفيفٍ عنهم، بل على نُقصانٍ في النَّارِ ثمَّ تزدادُ.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يستَغيثونَ فيها: ﴿رَبَّنَا﴾ يقولونَ: ربَّنا ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ أي: أخرِجْنا منَ النَّارِ، ورُدَّنا إلى الدُّنيا نُؤمِنْ بدلَ الكفرِ ونُطيعُ بدلَ المعصيةِ، فيُجابون بقولِه:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾؛ أي: أطَلْنا أعمارَكم وجعَلْناها مُدَّةً يُمكِنُكم التَّذكُّرُ فيها والاعتبارُ، ورُوِيَ مرفوعًا: أنَّه ستونَ سنةً[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلَّغه ستين سنة».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أربعونَ سنةً[١].

ورُوِيَ عنه أيضًا ستُّونَ سنةً[٢].

وَهْبٌ: ثماني عشرةَ سنةً[٣].

الحسنُ: البلوغُ؛ لأنَّه أوَّلُ زمانِ التَّذكُّرِ[٤].

وقيل: سبعونَ سنةً؛ لأنَّه[٥] نهايةُ التَّذكُّرِ، وما بعده هَرَمٌ.

وقيل: إنَّه المدَّةُ التي كان رسولُ الله ﷺ يدعو النّاسَ إلى الله، وهي عشرونَ سنةً.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قيل: محمَّدٌ ﷺ ومَن نابَ عنه.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الشَّيْبُ، وهو قولُ الأكثرين.

وقيل: العقلُ.

وقيل: الحُمَّى.

وقيل: موتُ الأهلِ والأقاربِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٤٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥١٤) عن وهب وعطاء وقتادة وأبي العالية، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٣٢) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٦).

(٥) في (ف): «لأنها».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، واستغربه.

﴿فَذُوقُوا﴾؛ أي: العذابَ ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: ناصرٍ يُعينُهم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غابَ فيهما عنكم وإنْ شاهدَه غيرُكم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ التي لا يُشاهدُها أحدٌ.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تُضمِروا فيها ما يكرهُه سبحانَه.

وقيل: إنَّ الله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلو أخرجَكم لعُدتُم إلى ما كنتم عليه؛ لقولِه سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

* * *

(٣٩) ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: خلائفَ الأرضِ بعد الأممِ الخاليةِ.

وقيل: جعلَكُم خلفًا بعد خلَفٍ، وقَرْنًا بعدَ قرنٍ، فالخَلَفُ[1]: التّالي للمُتقدِّم؛ أي: أورَثكم الكتابَ وجعلَكم خلائفَ في الأرضِ؛ لتشكُروه ولا تكفُروه، ثمَّ أوعدَ الكفّارَ فقال:

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ أي: جزاءُ كفرِه.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: بُغضًا وغَضبًا.

(١) في (ف): «والخلف».

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: تبارًا وهلاكًا وخُسرانًا بالجنّةِ.

* * *

(٤٠) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: آلهتكُم، وفي الإضافةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم كانوا جعَلُوهم شركاءَ فيما كانوا يملكونَه.

وقيل: تأويلُه: شُركائي؛ فأضافَ إليهم لأنَّهم زعمُوا ذلك.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ﴾ بل ألَـهُم ﴿شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المعنى: قل لهم: إنْ خلَقُوا شيئًا منَ الأرضِ أو منَ السَّماءِ فأرُونيهِ.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: أم أُمِرْتُم بذلك في كتابٍ فأنتم على بيِّنةٍ.

وقيل: أم أنزَلْنا كتابًا فيه: إنَّ لله شُركاءَ.

وقيل: آتيناهُم كتابًا بأنَّ الله لا يُعذِّبُهم، فهم واثِقون به.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾: ما يعِدُ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: كفرُهم عن تقليدٍ محضٍ، ووعدٍ كاذبٍ.

* * *

(٤١) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: يُمسِكُ السَّماءَ بغيرِ عمدٍ ولا عِلاقةٍ، ويُمسِكُ الأرضَ مع ما عليها منَ الخلقِ ﴿أَن تَزُولَا﴾: كراهةَ أنْ تزولا، ولأَنْ لا تزُولا، وثنَّى الضَّميرَ والسَّماواتُ جمعٌ ازدِواجًا للأرضِ.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾؛ أي: لو خلَّاهُما لزالَتا، ولو زالَتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: ما أمسَكَهُما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بعد الزَّوالِ.

وقيل: بعد الإمساكِ.

وقيل: بعد الله؛ أي: غيرُه وسواه[1]؛ أي: ما يقدرُ أحدٌ على إعادتِهما إلى مكانِهما إلّا الله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عند قولِهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، فأمسكَ السَّماءَ والأرضَ ـ وكادا تزولانِ لعِظَمِ القولِ ـ فلم يُعجِّلْ عليهم بالعقوبةِ.

﴿غَفُورًا﴾ لمَن تابَ عن كُفرِه وذنبِه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وذلك أنَّ قُريشًا لـمَّا بلغَهم أنَّ أهلَ الكتابِ كذَّبوا رُسُلَهم قالوا: لعنَ الله اليهودَ والنَّصارى؛ أتتهُم الرُّسلُ فكذَّبوهم، فوالله لو أتانا نذيرٌ لنكونَنَّ أصوبَ دينًا منهم، ومثلُه: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمَّدٌ ﷺ.

﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ أي: ما زادَهم مجيءُ الرَّسولِ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تباعُدًا عن الحقِّ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢)، وعده من العجائب.

(٤٣) ـ ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ﴾؛ أي: تكبَّروا عن الإيمانِ ومكَروا السَّيِّئَ في دفعِ أمرِه، وهو العملُ القبيحُ.

وقيل: هو إجماعُهم على الشِّركِ وقتلِ النَّبيِّ في دارِ النَّدوةِ.

وهما منصوبانِ على الغَرَضِ(١).

وقيل: إنَّهما بدلانِ من قولِه: ﴿نُفُورًا﴾.

وقيل: مصدرانِ، وأُضيفَ المكرُ إلى السَّيِّئِ، وهو صفتُه كمسجدِ الجامعِ.

وقيل: هو من بابِ: ثوبُ خزٍّ؛ لأنَّ المكرَ قد يكونُ سيِّئًا وغيرَ سيِّئٍ.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ﴾: لا يحِلُّ ولا ينزِلُ ﴿إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ إلّا بالماكرين.

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: العذابَ.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ فقُتِلوا يومَ بدرٍ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: هلَّا سافَروا في الأرضِ فينظُروا عاقبةَ الذين من قبلِهم؛ فإنَّ مَن سافرَ فيها رأى آثارَ نزولِ العذابِ بمَن مكرَ السَّيِّئاتِ.

---

(١) أي: على المفعول من أجله؛ أي: لغرض الاستكبار والمكر، فهو كما في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٢) مفعول له متصل بقوله: ﴿نُفُورًا﴾؛ أي: نفروا للاستكبار. ذكره المصنف واستغربه.

وقيل: معناه: اقرَؤُوا القرآنَ فتعرَّفُوا ما حَلَّ بمَن قبلَكم.

﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾: من أهلِ مكّةَ ﴿قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾: شيءٌ؛ أي: أحدٌ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم ﴿قَدِيرًا﴾ عليهم.

* * *

(٤٥) - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ مِنَ المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: ظَهْرِ الأرضِ.

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، وأنَّ العربَ تقولُ: ما على ظهرِها أحدٌ أحبُّ إليَّ من فلانٍ؛ يعنون: الأرضَ.

ولعلَّ هذا القائلَ أرادَ في موضعٍ آخرَ؛ فإنَّ في الآيةِ الأولى ذِكرَ الأرضِ مرَّتَين.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ الدّابَّةُ في هذه الآيةِ عندَ بعضِهم: الإنسُ والجنُّ.

وقيل: الإنسُ وحدَهُم.

وقيل: عامٌّ فيما دبَّ ودرجَ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: إنَّ الجُعَلَ يُهلَكُ بخطيئةِ ابنِ آدمَ[1].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: إنَّ الضَّبَّ ليموتُ هُزْلًا في جُحرِه بذنبِ ابنِ آدمَ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٥٦٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٢) وصححه.

(٢) رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٦٨).

قال شيخُنا[١] أبو القاسمِ: ليس أنَّ البهيمةَ تُؤخَذُ بذنبِ ابنِ آدمَ، ولكنَّها خُلِقَتْ لابنِ آدمَ فلا معنى لإبقائِها بعد إفناءِ مَن خُلِقَتْ له.

وقيل: معنى ذلك: لو أُخِذَ الجاني في الوقتِ الثَّاني من معصيَتِه لكانَ قد فنِيَ الخلقُ وانقطعَ النَّسلُ؛ لأنَّه لا أحدَ إلا وقد عصَى هو أو أبوه أو جَدُّه، ولو أُهلِكَ أوَّلُ عاصٍ لانقطعَ النَّسلُ قديمًا.

وقيل: يَحْبِسُ عنهم المطرَ فيَهْلِكُ كلُّ شيءٍ.

وقيل: قد فعلَ بهم مرَّةً في زمانِ نوحٍ عليه السَّلامُ، فلم يبقَ منهم سوى مَن كانَ في السَّفينةِ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: مُعَيَّنٍ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: ذلك المُعَيَّنُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ بمكانِهم فيُؤاخِذُهم، وبأعمالِهم فيُجازِيهم.

* * *

---

(١) «شيخنا»: ليس في (ف).

سُورَةُ يسٓ

سُورَةُ يسٓ

ثلاثٌ وثمانونَ آيةً[1]، مكّـيَّةٌ.

ورُوِيَ عـن أبـي بكـرٍ رضي الله عنـه أنَّه قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «يـس تُدعَى المُعِمّـةَ»، قيـل: يـا رسـولَ الله، ومـا المُعِمَّـةُ؟ قـال: «تُعِـمُّ صاحبَهـا خيـرَ الدُّنيـا وخيـرَ الآخـرةِ، وتُدعـى الدَّافِعـةَ، والقاضِيـةَ، تدفـعُ عنه كلَّ سـوءٍ، وتقضـي له كلَّ حاجةٍ»[2].

بسمِ اللّٰه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يسٓ﴾.

﴿يسٓ﴾ القولُ فيه كالقولِ في سائرِ الحروفِ أوائلَ السُّورِ، وتختصُّ هذه السُّورةُ بأقوالٍ:

---

(١) «ثلاث وثمانون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢١١)، وفيه: «وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وآيتان في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿يسٓ﴾ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون».

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٥٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧). وضعفه العقيلي بسليمان بن مرقاع الجندعي، وقال: «لا يتابع على حديثه والحديث منكر ولا يعرف إلا به». وقال البيهقي: «تفرد به محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني، عن سليمان بن مرقاع، وهو منكر».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يا إنسانُ بلُغةِ طيِّئٍ[١].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ الحنفيّةِ: يا محمَّدُ[٢].

أبو العاليةِ: يا رجلُ[٣].

وقيل: يا سيِّدُ.

***

(٢) ـ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أقسمَ اللهُ بالقرآنِ، و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: الحاكمِ.

وقيل: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: أحكمَهُ اللهُ، كالسَّعيدِ أسعَدَه اللهُ.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جوابُ القسمِ، وهو ردٌّ على الكفّارِ حين قالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مِن صلةِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الذين أُرسِلُوا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلامُ.

وقيل: هو خبرٌ بعد خبرٍ؛ أي: إنَّك لمنَ المُرسلينَ، إنَّك على صراطٍ مُستقيمٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥) عن محمد ابن الحنفية، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٤٩) عن سعيد بن جبير.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٤٩).

ولا يمتَنِعُ أن يكـونَ حـالًا منَ النَّبـيِّ ﷺ(١)، كما تقولُ: إنَّ زيدًا فـي الدَّار على الفرشِ.

* * *

(٥) - ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مَن رفعَ جعلَه خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُه: هو تنزيلُ، ومَن نصَبَ جعلَه مصدرًا(٢)؛ أي: نزَّلَه تنزيلًا.

وأجازَ الفَرَّاءُ وغيرُه أن يكون خبرًا ثالثًا(٣) عنِ النَّبيِّ ﷺ: إنَّك لمِنَ المُرسَلينَ، إنَّك على صراطٍ مُستقيمٍ، إنَّك ذو تنزيلِ العزيزِ الرَّحيمِ(٤).

* * *

(٦) - ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا﴾: لِتُخوِّفَ، فهو متَّصلٌ بالإرسالِ؛ أي: أُرسِلْتَ لتُنذِرَ قومًا ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾؛ أي: في الفترةِ.

والأكثرونَ على أنَّ ﴿مَّآ﴾ للنَّفي؛ لقولِه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني: العربَ، والمُرادُ بهم: آباؤُهُم الأدنَونَ، فإنَّ آباءَهُم الأقدَمينَ أتاهُم المُنذِرونَ لا محالةَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦)، واستغربه.

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ﴾ بنصب اللام، والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٥)، واستغربه. وفي هامش (ف): «فيه نظر».

وقيل: ﴿مَّآ﴾ بمعنى: الَّذي، فيكونُ محلُّهُ نصبًا؛ أي: العذابَ الذي أُنذرَ آباؤهُم ذلك كقولِه: ﴿أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وقيل: لتُنذِرَ كما أُنذِرَ آباؤُهم، فيكونُ صفةَ مصدرٍ محذوفٍ.

وقيل: بما أُنذِرَ آباؤُهم، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ المجرور.

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ كنايةٌ عن القومِ، ومَن جعلَه نفيًا جاز أن يعودَ إلى الآباءِ.

والغَفْلةُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ، والنِّسيانُ: ذَهابُ المعنى عن النَّفسِ بعد حُضورِه.

* * *

(٧) ـ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وجَبَ السُّخْطُ لأنَّهم لا يُؤمنون، وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ القولَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقيل: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ كقولِه: ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١].

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الغُلُّ: قيدٌ يجمعُ اليمينَ والعُنُقَ[١].

﴿فَهِىَ﴾ قيل: يعودُ إلى الأيمانِ ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾[٢]، والغُلُّ يدلُّ عليه.

وقيل: إلى الأغلالِ.

---

(١) في هامش (ف): «ولذلك سمي جامعة».

(٢) في (ن): «قيل: ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾»، والمثبت من (ف)، وانظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٦).

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ غاضُّوا الأبصارِ رافِعُو الرُّؤوسِ.

وقيل: رفَعُوا رُؤوسَهم وشخَصُوا بأبصارَهم[1]؛ لأنَّ مَن غُلَّتْ يدُه إلى ذقنِه ارتفعَ رأسُه، والذَّقَنُ: مجمَعُ اللَّحيَينِ.

وقيل: مُقنِعُو رُؤوسِهم.

والمعنى: مُنِعُوا عن الإيمانِ وفعلِ الخيراتِ كالمغلولِ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: أعمَيناهُم ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الحقَّ والرَّشادَ، والسَّدُّ بالفتحِ والضَّمِّ لُغتانِ.

وقيل: بالفتحِ من فِعْلِ بني آدمَ، وبالضَّمِّ من فعلِ الله.

وقيل: بالفتحِ المصدرُ، وبالضَّمِّ الاسمُ[2].

ورَوَى[3] المُفسِّرون: أنَّها نزلَتْ في أبي جهلٍ، حلَفَ أن يرضَخَ رأسَ محمَّدٍ ﷺ بحَجَرٍ، فأتاه ـ وهو يُصلِّي ـ ومعه حجرٌ لِيدْمَغَه[4]، فلمَّا رفعَه أمسكَ الله يدَه إلى عنُقِه ولَزِقَ الحجرُ بيدِه، فرجعَ إلى أصحابِه، وسقطَ الحجرُ من يدِه، فأخبرَهم بالذي رآه، فقام رجلٌ من بني مخزومٍ وقال: لأقتُلَنَّه بهذا الحجرِ، فأتاه وهو يُصلِّي فأعمى الله بصرَه، فجعلَ يسمعُ صوتَه ولا يراه، فرجعَ إلى أصحابِه فلم يرَهُم حتَّى نادَوه وقالوا له: ما صنَعْتَ؟ فقال: ما رأيتُه، ولقد سمعتُ صوتَه، وحالَ بيني وبينَه

---

(١) في (ن): «أبصارهم».

(٢) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة (الكهف).

(٣) في (ف): «وذكر».

(٤) في (ف) تحت الكلمة: «أي ليهلكه».

كهيئةِ الفحلِ يخطرُ بذنبِه، ولو دَنَوتُ منه لأكلَني، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[١].

عِكرمةُ: الأغلالُ: ضَلالاتٌ وظُلماتٌ كانوا فيها[٢].

ولا يمتنِعُ أن تكونَ هذه حكايةَ حالِـهم في الآخرةِ.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾.

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سبقَ في (البقرةِ).

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾؛ أي: ينفعُ إنذارُك مَن اتَّبعَ القرآنَ وعملَ بما فيه ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾: خافَ عقابَ الله ولـم يرَه.

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: في سريرتِه.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾؛ أي: بالجنَّةِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ بالبعْثِ، وقيـل: بالهدايـةِ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٧٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٥٤) عن الكلبي ومقاتل. وروى القصة الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٦) عن عكرمة مختصرة بلفظ: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: « فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٠).

﴿وَءَاثَـٰرَهُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: شَكَتْ بنو سَلِمةَ إلى رسولِ الله ﷺ بُعْدَ منازِلِهم منَ المسجدِ، فأنزلَ الله: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمۡۚ﴾، فقال النَّبيُّ ﷺ: «منازِلَكُم فإنَّما تُكتَبُ آثارُكُم».

وفي روايةٍ أُخرى: فأرادُوا أن ينتَقِلوا إلى قُربِ المسجدِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١).

فيكون معنى ﴿آثَارَهُمْ﴾: خُطاهم.

وقيل: ﴿آثَارَهُمْ﴾: ما سَنُّوا من سُنَّةٍ حسنةٍ أو سنَّةٍ سيِّئةٍ فاقتُدِيَ بهم فيها.

وقيل: ما أَثَرُوه من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَـٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ الزَّجَّاجُ: مَثِّلْ لهم مثلًا، من قولِهم: هذه الأشياءُ على ضربٍ واحدٍ؛ أي: مثالٍ واحدٍ، وعندي من هذا الضَّربِ كثيرٌ؛ أي: من هذا المثالِ(٢).

غيرُه: بيِّنْ لهم شَبَهًا.

وضَرْبُ المثَلِ يتعدَّى إلى مفعولَين، وهما في الآيةِ: ﴿مَّثَلًا﴾ ﴿أَصۡحَـٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾.

وقيل: ﴿أَصۡحَـٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ بدلٌ من ﴿مَّثَلًا﴾، كأنَّه قال: اذكُرْ لهم أصحابَ القريةِ؛

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٢٦)، وقال: «حديث حسن غريب»، وروى نحوه مسلم (٦٦٥)، لكن ليس فيه أن ذلك سبب النزول، وله شاهد ـ دون التصريح بسبب النزول أيضاً ـ من حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٥) و(٦٥٦) و(١٨٨٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨١) ولفظه: «اذكر لهم مثلًا».

أي: خبرَ أصحابِ القريةِ، وهي: أنطاكيَّةُ بإجماعِ المُفسِّرين ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: رُسُلُ عيسى عليه السَّلامُ(١).

* * *

(١٤) ـ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ أُسنِدَ الفعلُ إليه سبحانَه لأنَّ عيسى عليه السَّلامُ أرسلَهم بأمرِه.

﴿إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ وَهْبٌ: اسمُهما يحيى ويونسُ(٢).

ابنُ إسحاقَ: تارُوصُ ومارُوصُ(٣).

كعبٌ: صادقٌ وصَدوقٌ(٤).

مُقاتلٌ: تُومانُ ومانوصُ(٥).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: فكذَّبت أصحابُ القريةِ الرَّسولَين.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: فقوَّينا، والتَّشديدُ والتَّخفيفُ واحدٌ(٦).

---

(١) القول بأن القرية هي أنطاكية وأن الرسل من عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١) عن وهب بن منبه، وهو متداول في أكثر كتب التفسير، لكن لم يرتضِ أيًّا منهما ابن كثير، وذكر وجوهاً تدفع هذا القول، فانظرها في «تفسيره» (٦/ ٥٧٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤) وفيه: «يحيى وبولس».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤)، وفيه: «قاروص وماروص».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٣) عن ابن إسحاق فيما بلغه ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤) وفيه: «تومان وماروص». وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥): «تومان ويونس».

(٦) قرأ (فعَزَزْنا) بالتخفيف شعبة عن عاصم، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

وقيل: ﴿عزَزْنا﴾ بالتَّخفيفِ: غَلَبْنَا.

واسمُ الثَّالثِ: شَمْعونُ.

وقيل: سَمْعانُ.

وقيل: سلُّوم.

قال الفَرَّاءُ: الثَّالثُ كان قد أُرْسِلَ قبل الاثنَينِ، وإنَّما المعنى: شَدَدْنا أمرَهُما وقوَّينا بما علَّمَهُما الرَّسولُ الأوَّلُ[1].

وفي القَصَصِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وغيرِه: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ وجَّه رسولَين، فلما قَرُبا منَ المدينةِ رأيا شيخًا يرعَى غُنَيمًا له، فسلَّما عليه، فقال الشَّيخُ لهما: مَن أنتُما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السَّلامُ ندعوكُم من عبادةِ الأصنامِ إلى عبادةِ الله، قال: أمَعُكما آيةٌ؟ قالا: نعم، نحنُ نشفي المريضَ، ونُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ.

فقال الشَّيخُ: إنَّ لي عليلًا، قالا: ومَن هو منك؟ قال: هو ولَدي، قالا: انطلِقْ بنا إلى منزلِكَ نتطَلَّعْ حالَه، فأتى بهما إلى منزلِه، فمَسحا ابنَه فقامَ في الوقتِ بإذنِ الله، ففَشا الخبرُ في البلدةِ، وشفى الله على يدَيهما خلقًا كثيرًا.

وكان لهم ملكٌ يُقالُ له: شلاحِنُ، فأُنهِيَ الخبرُ إليه، فقال لهما: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السَّلامُ، قال: وما آيتُكما؟ قالا: نُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ ونشفي المرضى، قال: وفيم جئتُما؟ قالا: جئنا ندعُوكَ من عبادةِ ما لا يسمعُ ولا يُبصِرُ إلى عبادةِ مَن يسمعُ ويُبصِرُ، فقال شلاحِنُ: ولكُم إلهٌ غيرُ[2] آلهتِنا؟ قالا: نعَم، مَن خلقَكَ وخلقَ آلهتَكَ؟

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٣).

(٢) في (ف): «ولنا إله سوى».

قال: قُوما حتَّى أنظُرَ في أمرِكما. فتَبِعَهما النَّاسُ وضربُوهُما، فبعثَ عيسى عليه السَّلامُ رسولًا ثالثًا، وهو شَمْعونُ الصَّفا، واسمُ الشَّيخِ الذي ذهبَ بهما إلى منزلِه حبيبُ بن إسرائيلَ النَّجَّارُ(١).

قال وَهْبٌ: بعَثَ عيسى عليه السَّلامُ يحيى ويونسَ إلى أنطاكِيَّةَ، فأتَيَاها فلم يصِلا إلى ملِكِها، وطالَتْ مُدَّةُ مُقامِهما، فخرَجَ الملكُ ذاتَ يومٍ فكبَّرا وذكَرا الله، فغضِبَ الملكُ وأمرَ بهما؛ فحُبِسا بعد أن جلَدَ كلَّ واحدٍ منهما مئةَ جلدةٍ، فبعثَ عيسى عليه السَّلامُ شَمْعُونَ على أثَرِهما، فدخلَ البلدَ مُتنكِّرًا، فجعل يُعاشِرُ حاشيةَ الملكِ حتَّى أنِسُوا به وأنِسَ بهم، فرفعُوا خبرَه إلى الملكِ، فدَعاه ورضيَ عِشْرَتَه وأنِسَ به وأكرَمَه، ثمَّ قال له ذاتَ يومٍ: بلغَني أنَّك حَبَسْتَ رجُلَين وضربْتَهما حين دَعواك إلى غيرِ دينِك، فهل كلَّمتَهما أو سمعتَ قولَـهما؟ فقال الملكُ: حالَ الغضَبُ بيني وبين ذلك.

قال: فإنْ رأى الملكُ دَعاهُما حتَّى نتطَلَّعَ ما عندَهما، فدَعاهُما، فقال لهما شَمْعونُ: مَن أرسلَكُما؟ قالا: اللهُ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ وليس له شريكٌ، ثمَّ قال شَمْعونُ: صِفاه، قالا: إنَّه يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يُريدُ.

قال شَمْعونُ: وما آيتُكما؟ قالا: ما تتمنَّاه، فأمرَ الملِكُ حتَّى جاؤُوا بغلامٍ مطموسِ العينَين، فما زالا يدعُوانِ ربَّهما حتَّى انشقَّ موضعُ البصرِ، فأخذا بُنْدُقَتَيْنِ منَ الطِّينِ فوضَعا في حدَقَتَيه فصارَتا مُقْلتَين يُبصِرُ بهما.

فتعجَّبَ الملكُ، فقال شَمْعُونُ للملكِ: أرأيتَ أن تسألَ إلهكَ حتَّى يصنعَ مثلَ هذا، فيكونَ لك الشَّرفُ(٢) ولإلهِكَ؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١)، ونسباه للعلماء بأخبار الأنبياء.

(٢) في (ف): «الشاهد».

فقالَ له الملكُ: ليس لي عنك سرٌّ؛ إنَّ إلـهَنا الذي نعبدُ[١] لا يُبصِرُ ولا يسمعُ، ولا يضرُّ ولا ينفعُ. فقال الملكُ: إن قدرَ إلهكُما الذي تعبُدانِه على إحياءِ ميِّتٍ آمنَّا به وصدَّقناكُما، قالا: إلـهُنا قادرٌ على كلِّ شيءٍ.

فقال الملكُ: إنَّ هذا ميِّتٌ ماتَ منذ سبعةِ أيّامٍ وأبوه غائبٌ، ولم ندفِنْه حتَّى يرجعَ أبوه وكان غائبًا، فجاؤوا بالميِّتِ وقد تغيَّرَ واصفرَّ وأرْوَحَ، فجَعَلا يدعُوانِ ربَّهما في العلانيةِ وشَمْعونُ معهما في السِّرِّ، فقامَ الميِّتُ وقال: إنِّي متُّ منذ سبعةِ أيّامٍ، وَوُجِدْتُ مُشرِكًا فأُدْخِلتُ في سبعةِ أوديةٍ من نارٍ، وأنا أُحذِّرُكم ما أنتم فيه، فآمِنُوا بالله.

ثمَّ قال: فُتِحَتْ أبوابُ السَّماءِ فنظرتُ فرأيتُ شابًّا حسَنًا يشفعُ لهؤلاءِ الثَّلاثةِ، قال الملكُ: ومَن الثَّلاثةُ، قال: شَمْعُونُ وهذانِ، وأشارَ إلى صاحبَيه.

فتعجَّبَ الملكُ، فلمَّا علِمَ شَمْعونُ أنَّ قولَه قد أثَّرَ في الملكِ أخبرَ الملكَ بالحالِ ودَعاه فآمَنَ قومٌ، وكان الملكُ فيمَن آمنَ، وكفرَ آخَرون[٢].

وقيل: كان الملكُ فيمَن كفرَ، وهو قولُه: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾[٣].

* * *

(١) في (ف): «نعبده».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١ ـ ١٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وهو مما أخذه وهب من أهل الكتاب.

(٣) ذكره الثعلبيُّ والبغوي عن ابن إسحاق عن كعب ووهب قالا: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ويذكِّرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

(١٥) ـ ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: أصحابُ القريةِ ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾؛ أي: لا يَصْلُحُ أن تكونوا رُسلًا كما لا نصلحُ.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾: من كتابٍ.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾: ما أنتم إلا كَذَبةٌ.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ وذكرَ ابنُ مِهْرَبْزُدَ[١] أنَّ الوقفَ على قولِه: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ تامٌّ؛ لأنَّهم قالوا: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، وما نرى لكم شيئًا باينتمُونا به فاستحقَقْتُم كرامةَ الله بالرِّسالةِ، ألَا نستحقُّه نحنُ أيضًا؟ فقالوا: ربُّنا يعلَمُ ما لأجلِه خصَّنا بالرِّسالةِ دونكم.

قال: وليس قولُه: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ في موضعِ مفعولي ﴿يَعۡلَمُ﴾، بل مفعولاه محذوفانِ، والتَّقديرُ: ربُّنا يعلمُ ما سألْتُمونا عنه[٢].

* * *

(١٨) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تشاءَمْنا بكم[٣] حيثُ خالفتُم آباءَكُم وتركتُم معبودَكم، فلا نأمنُ سوءَ عاقبةِ ذلك.

والتَّطيُّرُ: التَّشاؤُمُ بطيرِ الشُّؤْمِ.

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي، تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٧).

وقيل: حُبِسَ عنهم المطرُ عامَ أتاهُم الرُّسلُ فنَسبُوا ذلك إليهم.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾؛ أي: عن مقالتِكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: لنقتُلَنَّكم، وقيل: لنشتُمَنَّكم، ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٩) ـ ﴿قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ﴾؛ أي: الشُّؤْمُ كلُّه في عبادةِ الصَّنمِ، وهو معكم.

وقيل: ﴿طَـٰٓئِرُكُم﴾: حظُّكم منَ الخيرِ والشرِّ معكم.

وقيل: الطَّائرُ: الأعمالُ والرِّزقُ، والطَّائرُ ما يُتيَمَّنُ به ويُتشاءمُ، والوجهُ الأوَّلُ.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ﴾: وُعِظْتُم ودُعِيتُم إلى الإسلامِ، وجوابُ الشَّرطِ مُضمَرٌ؛ الزَّجَّاجُ: تطيَّرتُم جوابُه[1].

وقيل: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ قلتُم هذا القولَ.

وقيل: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ تَوعَّدتُم بالرَّجمِ والعذابِ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: ظالِمونَ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيبُ النَّجَّارُ، وكان يعبدُ الله في جبلٍ، فلمَّا سمعَ خبرَ الرُّسلِ سعى مُستعجِلًا إليهم، فقال: أتسألُون على ما جِئتُم به أجرًا؟ قالوا: لا، فأقبلَ على القومِ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٢) وفيه: «أي: أئن ذكرتم تطيرتم».

(٢١) ـ ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ على أداءِ النُّصحِ وتبليغِ الرِّسالةِ ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ يعني: الرُّسل.

فقيل له: وأنتَ مُخالفٌ لدينِنا ومُتابعٌ دينَ هؤلاءِ ومُؤمِنٌ بإلههِم؟ فقال:

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾: خلقَني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ومصيرُ الكلِّ إليه.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ سواهُ ﴿ءَالِهَةً ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾؛ أي: لا تنفعُني شفاعتُهم ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

* * *

(٢٥) ـ ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾.

﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾: اشهَدوا عليَّ، خاطبَ بذلك الرُّسلَ.

وقيل: خاطبَ به القومَ، فلمَّا سمِعُوا منه هذا الكلامَ وَثَبوا عليه فقتَلوه.

وقيل: رجَـمُوه، وكان يقولُ: اللَّهمَّ اهدِ قومي.

وقيل: عَلَّقوه في سوقِ المدينةِ، وقبرُه في سوقِ أنطاكِيَّةَ.

وقيل: وَطِئوه بأقدامِهم حتَّى قتَلوه، فأوجَبَ الله له الجنّةَ وأدخلَه فيها، وهو قولُه:

***

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال الحسنُ: لمَّا أرادَ القومُ أن يقتُلوه رفعَه الله إليه، فهو في الجنّةِ، ولا يموتُ إلا بفَناءِ السَّماواتِ[(١)].

فلمَّا دخلَ الجنَّةَ ورأى نعيمَها ذكرَ قومَه ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ فيرغَبُوا في الإسلامِ وإجابةِ الرُّسلِ.

وقولُه: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ (ما) للمصدرِ؛ أي: بمغفرةِ ربِّي[(٢)].

والثّاني: بمعنى: الذي؛ أي: بالذي غفَرَ لي ربِّي بسببِه وجعلَني منَ المُكرَمين.

---

(١) ذكره عن الحسن القشيري كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٩)، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٨) بقوله: «والجمهور على أنه قتل».
وفي هامش (ف) تعقُّبٌ من وجه آخر حيث جاء فيه: «قوله: إلا بفناء السماوات، ليس كما ينبغي؛ لأنه إذا دخل الجنة كيف يموت؟ إذ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وإن أراد بدخول الجنة أنه حي عند ربه كما قال: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فما فائدة التخصيص بحبيب النجار؟ بل كل من مات في سبيل الله تعالى فهو حيٌّ كما قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] اللهم إلا أن يعني: أن الحبيب ما مات في الدنيا ينبغي أن يموت في الجنة؛ لأن الموتة الأولى هو الموت في الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾».
(٢) ضعَّف المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٧).

وقيل: بأيِّ شيءٍ غفرَ لي؟ وكان القياسُ على هذا القولِ: بِمَ[١].

الحسنُ: هو بمعنى: أيّ شيءٍ، ولا استفهامَ فيه[٢].

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: قومِ حبيبٍ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد قتلِه.

الحسنُ: بعد رفعِه[٣].

﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لنُصرةِ الرُّسلِ؛ أي: لـم نحْتَجْ في إهلاكِهم إلى إرسالِ جندٍ.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ قيل: تكرارٌ، وقيل: ﴿مَا﴾ بمعنى: الذي، والتَّقديرُ: من جندٍ، ومما كُنَّا مُنزِلين على مَن قبلَهم من حجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شديدةٍ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتْ﴾ ما كانَتْ عقوبتُهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاحَ بهم جبريلُ صيحةً واحدةً فماتوا عن آخرِهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ميِّتون.

* * *

---

(١) يعني: لأن (ما) على هذا القول استفهام ـ كما صرح المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨) ـ فيحذف الألف كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وعدَّ المصنف هذا القول من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، وعده من العجائب.

(٣) تقدم قريباً.

(٣٠) - ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه من كلامِ حبيبٍ.

والثّاني: من كلامِ القومِ، تحسَّروا على قتلِهم الأنبياءَ حين عايَنُوا العذابَ، وآمنوا، وقالوا: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾؛ يعنونَ: الرُّسلَ، فلم ينفَعْهم إيمانُهم.

الثّالثُ: من كلامِ الله[١]؛ يعني: يا لـها حسرةً؛ أي: يتحسَّرُ بعضُهم على بعضٍ، أو يتحسَّرُ عليهم، أو حَلُّوا محلَّ مَن يُتحسَّرُ عليهم.

والحَسْرةُ: النَّدامةُ[٢] على فائتٍ لا يُمكِنُ تلافيهِ.

الزَّجَّاجُ: الحسرةُ: أن يركبَ الإنسانَ من شدَّةِ النَّدمِ ما لا نهايةَ بعدَه، حتَّى يبقى قلبُه حسيرًا[٣].

وقيل: استِهزاؤُهم بالرُّسلِ حسرةٌ لهم.

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ٱلۡعِبَادِ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

* * *

(٣١) - ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾؛ أي: لم يعتَبِروا بمَن هلَكَ قبلَهم فيُؤمِنُوا مخافةَ أن ينزلَ بهم مثلُ ما نزلَ بمَن قبلَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الندم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٥).

و﴿كَمْ﴾ نصبٌ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، والجملةُ في تقديرِ النَّصبِ بـ﴿يَرَوْا﴾، و﴿يَرَوْا﴾ مُعلَّقٌ، و﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلٌ منَ الجملةِ، ولهذا فُتِحَ.

وأجازَ الفرَّاءُ أن يُنصَبَ ﴿كَمْ﴾ بـ﴿يَرَوْا﴾[1].

وأجازَ المُبرِّدُ: بأنَّهم لا يرجِعون، فحُذِفَ الجارُّ[2].

***

(٣٢) ـ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: نجمعُهم للحسابِ والجزاءِ على الأعمالِ.

مَن خَفَّفَ جعلَ (إنْ) هي المُخفَّفةَ منَ المُثقَّلةِ، واللّامُ هي التي تلزمُه، و﴿ما﴾ صلةٌ. ومَن شدَّدَ[3] جعلَ (إنْ) هي النَّافيةَ، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى: إلّا. وأجازَ الفرَّاءُ (لَمِنْ ما) ثمَّ أُدغِمَت النُّونُ في الميمِ، وحُذِفَتْ إحدى الميماتِ[4].

***

(٣٣) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾: اليابسةُ ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالمطرِ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: جنسَ الحبوبِ، ﴿فَمِنْهُ﴾: منَ الحبِّ ﴿يَأْكُلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٦٠٢٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، واستغربه.

(٣) هم عاصم وابن عامر وحمزة، شدَّدوا الميم من (لمَّا)، وقرأ الباقون بتخفيفها. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٦)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٧٤)، وجاء في (ف) زيادة: «إن».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٧).

و﴿وَءَايَةٌ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ﴿لَّهُمُ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن ترتفعَ بالابتداءِ، ﴿لَّهُمُ﴾ صفتُها، ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ خبرُها.

ويجوزُ أن ترتفعَ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ بالابتداءِ، و﴿آيَةٌ لَهُم﴾ الخبرُ تقدَّمَ لتعدادِ الآياتِ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾ اسمٌ للجمعِ، كعَبيدٍ وكَليبٍ ﴿وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا﴾: أجرَيْنا ﴿فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ قيل: ثمرِ الماءِ؛ لأنَّ الماء أصلُ الجميعِ.

وقيل: ثمرِ ما ذكَرْنا.

وقيل: ثمرِ ذلك.

ويحتمِلُ: ثمرِ كلِّ واحدةٍ منها[1].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: لـم تعمَلْه أيديهم بل أبدَعْناه، ومَن حذفَ الهاء[2] جعلَ ﴿ما﴾ موصولةً، وله وجهانِ:

أحدُهما: أن يكونَ عطفًا على الثَّمرِ؛ أي: ومـمَّا عمِلَتْ أيديهم منَ الغرسِ والحرثِ والطَّبيخِ والحلاوى، وما يُصنعُ بالأيدي منَ المطاعمِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٥٩)، واستغربه.

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

والثّاني: عطفٌ على ﴿ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: وآيةٌ لهم ما عمِلَتْ أيديهم.

وقيل: ﴿ما﴾ للمصدرِ، وفيه ضَعفٌ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: اشكُروا نعَمِي.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾: الأجناسَ والأنواعَ.

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾: الحبوبُ والثِّمارُ والحشيشُ والأشجارُ.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: الذَّكرُ والأُنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ فإنَّ في البرِّ والبحرِ أشياءَ لا يعلمُها النّاسُ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ السَّلْخُ يُستَعملُ على وجهَينِ:

أحدُهما: بمعنى: الإخراجِ، تقولُ: سَلَخْتُ الشَّاةَ منَ الإهابِ، والشَّاةُ مسلوخةٌ، وتقديرُ الآيةِ على هذا: أخرَجْنا النَّهارَ منَ اللَّيلِ إخراجًا لـم يبقَ معه شيءٌ منه.

وقيل: أخرَجْنا الشَّمسَ منه(١).

والثّاني: سَلَخْتُ الإهابَ عنَ(٢) الشّاةِ؛ أي: نزعتُه عنها، وسَلَخَتِ المرأةُ جِلبابَها:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «من».

نزَعتْه، فيكونُ تقديرُ الآيةِ على هذا: سَلَخْنَا الضَّوءَ الذي هو شعاعُ الشَّمسِ ـ وكانَ كاللِّباسِ للهواءِ ـ منَ الهواءِ فصارَ ليلًا كما يُنزَعُ اللِّباسُ منَ الشَّيءِ.

﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾: داخِلون في الظَّلامِ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾؛ أي: وآيةٌ لهم الشَّمسُ؛ ﴿تَجۡرِي﴾ حالٌ منها، وفي المُستقرِّ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لانتهاءِ أمرِها عندَ انقضاءِ الدُّنيا.

والثّاني: مُستقرُّها تحتَ العرشِ، وقد جاء مرفوعًا(١)، وهي إذا بلغَتْ كبدَ السَّماءِ ووسطَ الفلَكِ نصفَ النَّهارِ صارَتْ كأنَّ لها استقرارًا، والعربُ تقولُ: إنَّ لها هناك وقفةً مّا وإبطاءً عن الزَّوالِ، قال الشّاعرُ:

والشَّمسُ حيرى لها بالجوِّ تدويمُ(٢)

والثّالثُ: ما قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الشَّمسَ تطلُعُ في كلِّ سنةٍ من ثلاثِ مئةٍ وستِّينَ كُوَّةً، كلَّ يومٍ من كُوَّةٍ لا تعودُ إلى تلكَ الكُوَّةِ إلى ذلك

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) عجز بيت لذي الرمة يصف جندباً، وهو في «ديوانه» (١/ ٤١٨)، و«العين» (٨/ ٨٧)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٩). وصدره:

مُعْرَوْرِياً رَمَضَ الرَّضْراضِ يَرْكُضُهُ

والمعنى: الجندبُ باشر الرمضاء لا شيء بينه وبينها يستره، وهو يضرب برجله الحصى الصغار الذي سخنته الرمضاء، والشمس كأنها متحيرة، وهي تدور فوق رأسه، لا تكاد تزول.

اليـومِ من العـامِ المُقبلِ، فـلا تطلعُ إلَّا كارهـةً لمعاصي بنـي آدمَ(١).

وزاد الحسنُ البصريُّ لهذا بيانًا فقال: إنَّ للشَّمسِ ثلاثَ مئةٍ وستينَ مطلعًا، تنزلُ كلَّ يومٍ في مطلعٍ منها، ثمَّ لا تنزلُه إلى الحولِ(٢).

فالاستقرارُ على هذا: ثباتُها في منازلِـها غيرَ مُتحوِّلةٍ عنها فهي مُستقرُّها(٣)، وإنْ كانت جاريةً فيها غيرَ ساكنةٍ، وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (لا مُستَقَرَّ لها)(٤).

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾.

﴿والقمر﴾(٥)؛ أي: وآيةٌ لهم القمرُ، ويرتـفعُ بالابتداءِ أيضًـا و﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ خبرُه، ومَن نَصَبَ فبفعلٍ مُضمَرٍ تقديرُه: وقدَّرْنا القمرَ.

﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: جعَلْنا نفسَ القمرِ منازلَ؛ يزيدُ وينقصُ بخلافِ الشَّمسِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٣) عن ابن عباس أيضاً، ولم أجده عن الحسن.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

(٤) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦)، ونسبت أيضًا لابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد وعلي بن الحسين. انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٠٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٢).

(٥) ضبط في (ن) و(ف) بفتح الراء، وقد قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، ولكن السياق يقتضي قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، واستغربه.

والثّاني: قدَّرْنا سيرَه منازلَ، فيكونُ ظرفًا[١].

والثّالث: قدَّرْنا له منازلَ، فحُذِفَ الجارُّ.

ومنازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرون منزلًا: الشَّرَطَان، البُطَيْنُ، الثُّرَيَّا، الدَّبَرانُ، الهَقْعةُ، الهَنْعةُ، الذِّرَاعُ، النَّثْرةُ، الطَّرْفُ، الجَبْهةُ، الزُّبْرةُ بضمِّ الزّاي، الصَّرْفةُ، العَوَّى بفتحِ العينِ مقصورةً، وقد جاء ممدودةً في ضرورةِ الشِّعرِ، السِّمَاكُ، الغَفْرُ، الزُّبَانَى، وقد يُثنَّى فيُقالُ: الزُّبَانيَانِ، الإكْلِيلُ، القَلْبُ، الشَّوْلةُ، النَّعَائمُ، البَلْدةُ، سعدُ الذَّابِحِ، سعدُ السُّعودِ، سعدُ بُلَعَ، سعدُ الأخْبيةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُقدَّمُ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُؤخَّرُ، بطنُ الحوتِ، وهو الرِّشاءُ[٢].

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾: هـو عُودُ الشِّمْرَاخِ إذا يبِسَ واعْوَجَّ يُشبهُ الهلالَ، ووزنُه (فُعْلُون) منَ الانعِراجِ، قاله الزَّجَّاجُ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر في تفسير هذه المنازل: «الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٢٣)، والرِّشاءُ: كواكبُ كثيرةٌ صِغار على صورة السمكة، يقال لها: بطن الحوت، وفي سُرَّتِها كوكبٌ نيِّرٌ يَنزله القمر. انظر: «الصحاح» مادة: (ر ش ا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٨). ووقع في مطبوعه: «فعلول»، وكذا نقله عنه المرزوقي في «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٨٥).

وكون وزنه «فعلون» بالنون من الانعراج نقله عن الزجاج الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٢٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٠)، وأبو حيان في «البحر» (٩/ ٤٧)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٢٧١)، والنيسابوري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٣)، والآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٤٦)، وهو الصواب على أنه من «عرج» والنون زائدة، كما ذكر الآلوسي حيث قال: «ونونه ـ على ما حكي عن الزجاج ـ زائدة، فوزنه (فعلون) من الانعراج وهو الاعوجاج والانعطاف».

وليس له في الكلامِ نظيرٌ، ويجوزُ أن يكونَ فُعلولًا من قولِ رُؤبَةَ:

فِي خِـــدْرِ مَيَّـــاسِ الدُّمـــى مُعَرْجَـــنِ[1]

المُعَرْجَنُ: المُصوَّرُ بصورِ العُرجونِ.

الأزهريُّ: العُرْجونُ نبتٌ مثلُ الذُّؤنونِ[2].

وأوَّلُ القصيدةِ:

يـــا أيُّهـــا الـــكاسِرُ عَـــيْنَ الأغْضُـــنِ[3]

و﴿ٱلْقَدِيمِ﴾: العتيقُ.

وقيل: هو الذي أتى عليه الحولُ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ ابـــنُ عيســـى: ﴿لَا

---

(١) الرجز لرؤبة، وهو في «ديوانه» (ص: ١٦١)، و«تهذيب اللغة» (٣/ ٢٠٥)، و«الخصائص» (١/ ٣٦٠). وقبله:

أو ذكـــرُ ذاتِ الرَّبَـــذِ المُعَهَّـــنِ

(٢) لم أجده عن الأزهري بهذا اللفظ، ولكن أثبت الأزهري أن العرجون من الكمأة، والذنون كذلك. انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٠٥)، و«المخصص» (٣/ ٢٨٣)، و«اللسان» (٧/ ٢٣٥)، وفي «مجالس ثعلب» (ص: ٩٨): «والعرجون أبيض مثل الذؤنون والذآنين، تأكله الإبل وتنشط بألبانها الرجال». وفي «اللسان» مادة: (ذ أ ن): «الذُّؤْنُونُ والعُرْجُون والطُّرْثُوث مِن جنسٍ: وهو ممَّا يَنْبُتُ في الشتاء، فإذا سَخنَ النهارُ فَسَد وذَهب».

(٣) انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ١٦٠).

﴿ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ في سرعةِ سيرِه[١].

وقال أيضًا: و﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ حتَّى يكونَ نُقصانُ ضوئِها كنُقصانِه، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾، وكلٌّ على مقاديرَ قدَّرَها الله.

الزَّجَّاجُ: لا يذهبُ أحدُهما بمعنى الآخرِ[٢]، ورضيَه المُحقِّقون.

وقيل: لا يُدْرِكُ أحدُهما ضوءَ الآخرِ.

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾؛ أي: مـمّا يتعاقبانِ، ولا يسبقُ أحدُهما الآخرَ فيفوتَه.

ويحتمِلُ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ لاختلافِ مكانَيهما؛ لأنَّ[٣] القمرَ في السَّماءِ الدُّنيا والشَّمسَ في السَّماءِ الرّابعةِ، ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ لاختلافِ زمانَيهما[٤]؛ فإنَّ زمانَ النَّهارِ وقتُ طُلوعِ الشَّمسِ وزمانَ اللَّيلِ وقتُ[٥] غيبتِها، والله أعلمُ.

ويحتمِلُ أيضًا: أنَّ المعنى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا القمرُ ينبغي له أن يُدرِكَ الشَّمسَ، فكنَّى عن القمرِ باللَّيلِ وعن الشَّمسِ بالنَّهارِ، والله أعلمُ[٦].

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾؛ أي: الشَّمسُ والقمرُ والكواكبُ ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يسيرون فيه بانبساطٍ، وكلُّ شيءٍ[٧] انبسطَ في شيءٍ فقد سبحَ فيه.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٩٢) بلا نسبة

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٣) في (ف): «فإن».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦١)، واستغربه.

(٥) في (ف): «زمان».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦١)، واستغربه.

(٧) في (ف): «من».

(٤١) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا﴾: رَفعْنا، والحَمْلُ: مَنْعُ الشَّيءِ أن يصيرَ إلى جهةِ السُّفْلِ.

وقيل: قوَّيناهُم على اتِّخاذِ ذلك وهدَيناهم إليه.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قُرِئَ بالتَّوحيدِ والجمعِ[1]، وفيها هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: الأبناءُ؛ لأنَّهم كانوا يترفَّهون ويَبعثون بأبنائِهم إلى التِّجاراتِ برًّا وبحرًا.

الثَّاني: آباؤُهم؛ يعني: النَّاجينَ من قومِ نوحٍ، و(الذُّرِّيَّةُ) على هذا منَ الأضدادِ.

الثَّالثُ: هم أنفسُهم، والتَّقديرُ: حملنا ذُرِّيَّتَهم بحَمْلِنا آباءَهم؛ لأنَّ الذُّرِّيَّةَ في ظُهورِهم.

﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ الفُلْكُ هو سفينةُ نوحٍ عليه السَّلامُ فيمَن جعلَ الذُّرِّيَّةَ الآباءَ، ومَن جعلَ الذُّرِّيَّةَ الأبناءَ فالفُلْكُ عامٌّ، ومَن جعلَ ذُرِّيَّتَهم أنفُسَهم فالفُلْكُ محمولٌ على الوجهَين معًا[2].

و(المشحونُ): المملوءُ، وقد سبقَ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾: لأهلِ مكَّةَ وغيرِهم ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مِثْلِ الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ يعني: ما اتَّخذوه على مثالِ سفينةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بالجمع وكسر التاء، والباقون بالتوحيد وفتح التاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٢) في (ف): «ومن جعل الذرية هم أنفسهم فمحتمل الفلك الوجهين معًا».

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أرادَ به الإبلَ، وأنَّ الإبلَ سُفُنُ البرِّ[1].

وقيل: الفَرَسُ والبَغْلُ، وسائرُ ما يُركَبُ منَ الدَّوابِّ. وفيه أدنى ضعفٍ؛ لقولِه: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾؛ أي: في البحرِ.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ هناك؛ أي: لا مُغيثَ، وقيل: لا مُستَغيثَ.

والصَّريخ والصَّارِخُ: المُغيثُ. والصَّرِيخُ والصَّارِخُ: المُستغيثُ.

ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾؛ أي: لا يُنْقِذُهم ولا يُنْجِيهم أحدٌ سِوَانا.

***

(٤٤) ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: إلّا أن نرحمَهم ونُمتِّعَهم إلى انقضاءِ آجالِهم، فهما منصوبانِ على المفعولِ له.

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: مثلَ ما نزلَ بمَن قبلَكم منَ العذابِ ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: عذابَ الآخرةِ.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أمرَ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: أمرَ الآخرةِ.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: الآخرةَ ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الدُّنيا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: وأحسِنُوا العملَ لعلَّكم تُرحَمون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٢)، واستغربه.

وقيـل: تحرَّزوا عـن ذُنوبِكم التي بيـنَ أيديكم بالتَّوبةِ، ومـا خلفَكُم بالاجتنابِ عنه.

وجوابُ ﴿إِذَا﴾ مُضمَرٌ؛ أي: أعرَضُوا، وجاز حذفُه لأنَّ قولَه:

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يدلُّ عليه و﴿مِّنْ﴾ الأولى لتحقيقِ النَّفيِ، والثّانيةُ للتَّبعيضِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾: لمُشركي مكّةَ: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: تَصَدَّقوا على الفقراءِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ قالوها استهزاءً؛ أي: لا نُطعِمُهم ولا نُعطيهم، ولـم يعرِفُوا أنَّ الله أمرَهم بذلك تعبُّدًا وامتحانًا للعبادِ.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: من تمامِ كلامِهم لمَن أمرَهم بالإنفاقِ.

وقيل: جوابٌ منَ الله لهم.

وقيل: أَمْرٌ للمؤمنين؛ أي: قولوا لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يعنُونَ: وَعْدَ البعثِ.

وقيل: إنَّما ذُكِرَ بلفظِ الوعدِ دون الوعيدِ لأنَّهم زعَموا أنَّ لهم الحسنى عند الله إنْ كانَ الوعدُ حقًّا.

***

(٤٩) ـ ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتَظِرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: هي النَّفخةُ الأولى، والنَّفخاتُ ثلاثٌ: نفخةُ الفزَعِ، ونفخةُ الصَّعْقِ، ونفخةُ البعثِ.

﴿تَأْخُذُهُمْ﴾: تلحقُهم لحوقَ المُنتظِرِ، وإن لم يكونوا ينتظِرونَه.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يختَصِمون؛ يُخاصِمُ بعضُهم بعضًا، قيل: في تلك السَّاعةِ.

وقيل: يختَصِمون الآنَ في دَفعِ البعثِ والنشور ويُنكِرون.

وقيل: يعتَقِدون أنَّ لهم الغلبةَ في الخصامِ.

***

(٥٠) ـ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لا يقدِرون على أن يُوصيَ بعضُهم بعضًا، ولا إلى منازِلهم يرجِعون، بل يموتون حيثُ يسمعون.

***

(٥١) ـ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هي النَّفخةُ الثّالثةُ، والصُّورُ: صُورُ إسرافيلَ ينفُخُ فيه، وهو قَرنٌ فيه أرواحُ الموتى.

وذهب أبو عبيدةَ إلى أنَّه جمعُ صورةٍ[1]، كصُوْفةٍ وصُوفٍ؛ أي: يُنفَخُ في الأجسامِ فيحيَونَ.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾: جمعُ جَدَثٍ وجَدَفٍ، وهو: القبرُ، وأجمعوا على الثّاءِ في الجمعِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾: يُسرِعُون، ونَسَلَ: خرجَ من مَضيقٍ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾؛ أي: قُبورِنا، وفي تسميتِه مَرْقدًا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ العذابَ يُخفَّفُ عنهم أربعينَ سنةً بينَ النَّفختَين.

والثّاني: من عِظَمِ ما صاروا إليه عَدُّوا ما كانوا فيه منَ العذابِ رُقودًا.

والثّالثُ: كانوا في الدُّنيا مختلِطةً عقولُهم، فبُعِثوا كذلك، فظَنُّوا أنَّهم كانوا نيامًا.

وقولُه: ﴿هَٰذَا﴾ يجوزُ أن يكونَ من صفةِ ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾.

﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه مُضمَرٌ؛ أي: حقٌّ.

وقيل: تقديرُه: بَعثُكم ما وعدَ الرَّحمنُ، فيكونُ جوابًا منَ الملائكةِ[2].

ويجوزُ أن يكونَ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأً، وما بعده خبرُه، وهو الأحسنُ، واختُلِفَ في قائليه:

فقال بعضُهم: هذا أيضًا من كلامِ الكفّارِ؛ أي: يُؤمِنون يومَئذٍ فلا ينفَعُهم إيمانُهم.

وقال بعضُهم: يقولُ لهم الملائكةُ كما سبق.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٩٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٣)، واستغربه.

وقال بعضُهم: يقولُ لهم المؤمنون؛ يُجيبون به الكفَّارَ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

﴿ إِن كَانَتْ ﴾: ما كانَتْ؛ أي: الفِعْلَةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي: النَّفخةُ الأخيرةُ ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

* * *

(٥٤) ـ ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَا﴾ مفعولًا، ويجوز أن يكونَ التَّقديرُ: بما، فحُذِفَ الجارُّ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾: في التَّلذُّذِ بنعيمِ الجنَّةِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ: هو افتِضاضُ الأبكارِ(١).

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ كلَّما جامَعوا نساءَهُم عُدْنَ أبكارًا»(٢).

وقيل: في شُغُلٍ عمَّا فيه أهلُ النّارِ.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٠).

(٢) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ١٩٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢٤٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٦٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٧): «رواه البزار والطبراني في الصغير، وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب».

وقيل: في السَّماعِ.

وقيل: في ضيافةِ الله.

وقيل: في زيارةِ بعضِهم بعضًا.

﴿فَـٰكِهُونَ﴾ و﴿فكِهون﴾[١] لغتانِ.

وقيل[٢]: الفاكِهُ: كثيرُ الفاكهةِ، كاللَّابنِ والتَّامرِ. والفَكِهُ: الذي يتناوَلُ الفاكهةَ أو الطَّعامَ وغيرَه.

وقيل: ﴿فكِهون﴾: فَرِحُون، و﴿فَـٰكِهُونَ﴾: مُعْجَبون.

***

(٥٦) ـ ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾: حلائلُهم ﴿فِى ظِلَـٰلٍ﴾: جمعُ ظُلَّةٍ، وهي[٣]: ما سترَكَ عن الشَّمسِ.

و﴿ظِلَـٰلٍ﴾ يجوزُ أن يكون جمعَ ظُلَلٍ كحُلَّةٍ وحُلَلٍ وحِلالٍ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ ظِلٍّ، وهو: الموضعُ الذي لا تقعُ عليه الشَّمسُ.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾: جمعُ أريكةٍ، وهي: السُّرُرُ في الحِجالِ.

ابنُ عيسى: هي الوسائدُ[٤].

وقيل: الفُرُشُ.

---

(١) قرأ بكسر الكاف أبو جعفر، و﴿فَـٰكِهُونَ﴾ قراءة باقي العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٢) في (ف): «ويقال».

(٣) في (ف): «هو».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٣٠) عن أبي عوسجة.

(٥٧) ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: يفتَعِلونَ منَ الدُّعاءِ؛ أي: لهم فيها ما يَدْعُونَ الله به.

وقيل: ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾: ما يتمَنَّونَ.

وقيل: مَن ادَّعى في الجنَّةِ شيئًا فهو له؛ لأنَّهم لا يدَّعُونَ إلا ما يَحسُنُ، وليس ثَمَّ خُصومةٌ ولا مُنازَعةٌ[1].

ويحتمِلُ: وللمؤمنين في الجنَّةِ ما يدَّعون في الدُّنيا منَ الثَّوابِ والدَّرجاتِ فيها ويُنكِرُه الكافرونَ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: لهم ما يدَّعونَ سلامٌ خالصٌ لهم، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قال: ﴿قَوْلًا﴾؛ أي: أقولُ قولًا.

وقيل: تقديرُه: لهم ما يدَّعون، ولهم مع ذلك سلامٌ.

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾، ونُصِبَ ﴿قَوْلًا﴾ على المصدرِ؛ أي: لهم سلامٌ يقولُه الله قولًا.

وقيل: لهم سلامةٌ منَ النَّارِ.

وقيل: تُحيِّيهم الملائكةُ بالسَّلامِ.

وقيل: ﴿قَوْلًا﴾ نصبٌ على تقديرِ: ولهم ما يدَّعونَ قولًا ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾؛ أي: عِدَةً منَ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٣)، واستغربه.

(٥٩) ـ ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ السُّدِّيُّ: كونوا على حِدَةٍ[١].

قتادةُ: اعتَزِلوا عن كلِّ خيرٍ[٢].

وقيل: تميَّزوا عن المُؤمنين.

وقيل: معناه: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

الضَّحَّاكُ: لكلِّ كافرٍ في النَّارِ بيتٌ يدخلُ فيه، ويُردَمُ بابُه بالنَّارِ ـ أي: يُسكَنُ ـ فيكونُ فيه أبدَ الآبِدين، لا يَرى ولا يُرى[٣]، نعوذُ بالله منَ النّارِ.

***

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي﴾ يقولُ لهم يومَ القيامةِ.

والمُرادُ بالعهدِ: ما عُهِدَ إليهم في قولِه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: ألـم أعهَدْ إليكم بإرسالِ الرُّسلِ وإنزالِ الكتُبِ، والمعنى: ألـم آمُرْكُم؟ ألـم أُوصِكُم؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥١٠).

وقولُه: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾؛ أي: الأصنامَ؛ لأنَّهم عبدوها بأمرِه فكأنَّهم عبدوه.

وقيل: لا تُطيعوه.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: دينٌ قيِّمٌ.

ويحتمِلُ أن يكونَ هذا من خطابِ الله عبادَه في الدُّنيا.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾؛ أي: خلقًا ﴿كَثِيرًا﴾ وفيه لغاتٌ، واشتقاقُه من جَبَلَه؛ أي: خَلَقَه وطَبَعَه.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ استفهامُ تقريعٍ على تركِهم الانتفاعَ بالعقلِ.

* * *

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿اصْلَوْهَا﴾: ذُوقوا حرَّها.

وقيل: ادخُلوها.

وقيل: الْزَمُوها.

* * *

(٦٥) - ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾: نمنعُها عن الكلامِ، وذلك إذا كذَّبوا الرُّسلَ وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَجيءُ ناسٌ يومَ القيامةِ مُفَدَّمةً أفواهُهم، وإنَّ أوَّلَ ما يتكلَّمُ عنه لَفَخِذُه ويَدُه»[1].

فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الله يُمكِّنُها منَ الكلامِ، ويجعلُ لها خِلْقةً تصلحُ للنُّطقِ.

وقيل: المُتكلِّمُ هو الله سبحانَه، إلَّا أنَّه يُسمَعُ من جهتِها فنُسِبَ إليها.

وقيل: كلامُها دلالتُها على أفعالِها، ومثلُه قولُ الشّاعرِ:

إذا نَظَرَتْ نحوي تَكَلَّمَ طَرْفُها   وجاوَبَها طَرْفي ونحنُ سكوتُ[2]

وقيل: إنَّ الملائكةَ المُوكَّلينَ بأعضاءِ بني آدمَ تشهدُ عليهم.

***

(٦٦) - ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾؛ أي: أعمَيناهُم في الدُّنيا ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾: طريقَ منازِلِهم، ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ الطَّريقَ وقد أعمَيناهُم؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٤٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤١٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٧٣)، من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥١): «رواه أحمد في حديث طويل، ورجاله ثقات».

(٢) البيت للقحيف العجلي كما في «الدر الفريد» (٣/ ٢٥٠).

وقيل: أعمَيْناهُم عن الهدى، فأنَّى يُبصِرونَ طريقَ الرَّشادِ؟

وقيل: ولو نشاءُ لفقَأْنا أعيُنَ ضلالتِهم فأبصروا الرُّشدَ وبادَرُوا إلى الإيمانِ والطَّاعةِ، فأنَّى يُبصِرونَ ولمْ نفعلْ ذلك[1]؟

والطَّمْسُ: مَحْوُ الشَّيءِ حتَّى لا يبقى له أثرٌ.

***

(٦٧) ـ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾: صيَّرْناهم قردةً وخنازيرَ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾: في منازلِـهم.

وقيل: على المكانِ؛ أي: ساعتَئذٍ، والمكانُ والمكانةُ واحدٌ[2].

وقيل: معنى ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾: لأقعَدْناهُم عن أرجلِهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾: مجيئًا وذهابًا.

وقيل: ما قَدَروا أن يُجاوِزوا تكذيبَهم، ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ولا يتوبون.

وقيل: ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾: جعلْناهُم حجارةً ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾: حيثُ كانوا.

والمَسْخُ: نهايةُ النَّكالِ والتَّنكيلِ.

***

(٦٨) ـ ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾؛ أي: مَن أطَلْنا عُمُرَه ردَدْناه إلى أرذلِ العمرِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٤)، واستغربه.

وقيل: نُصيِّره إلى الضَّعفِ بعد القُوَّةِ، وإلى النُّقصانِ بعد الزِّيادةِ.

وعن سُفيانَ: إذا بلغَ الرَّجلُ ثمانينَ سنةً تغيَّرَ جسمُه[١].

﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾ قال عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ: ما يقولُ محمَّدٌ شعرٌ، فأنزلَ الله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾[٢].

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾ أن يقولَ شعرًا[٣]؛ لأنَّه يُورِثُ شُبهةً.

﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾: عِظَةٌ للخلقِ ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهرُ الشِّعرِ كلامٌ موزونٌ مُقفًّى، والبيتُ الواحدُ لا يكونُ شعرًا؛ لأنَّ القافيةَ تظهرُ بالبيتِ الثاني، ولم يكُنْ للنَّبيِّ ﷺ طبعُ[٤] شعرٍ؛ لا صنعةٌ ولا روايةٌ؛ فإنَّ عائشةَ رضي الله عنها قالت: أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن يتمثَّلَ بيتَ أخي قيسٍ فقالَ: «ستُبدي لكَ الأيَّامُ ما كنتَ جاهِلًا ويأتيكَ مَن لم تُزَوِّدْ بالأخبارِ»، فقال أبو بكرٍ رضيَ الله عنه إنَّما هو: ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «ما عُلِّمْتُ الشِّعْرَ، وما ينبَغي لي»[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠١)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٠) مقتصرًا على قوله: «ثمانين سنة».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٨٤).

(٣) في (ف): «الشعر».

(٤) «طبع»: ليس في (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤)، من طريق قتادة عن عائشة رضي الله عنها، وفيه انقطاع؛ لأن قتادة لم يسمع من عائشة.

وما رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ من مثلِ قولِه:

هــل أنــتِ إلّا إصبــعٌ دَمِيــتِ وفــي ســبيلِ الله مــا لقِيــت[١]

وقولِه:

أنـــا النَّـــبيُّ لا كَـــذِب أنا ابـــنُ عبـــدِ المُطَّلـــب[٢]

ففيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه ﷺ قال: «دَميتِ» من غيرِ إشباعٍ، و«لقيتْ» بالسُّكونِ للوقفِ، فلا يكونُ موزونًا، وكذلك «لا كَذِبَ» بالفتحِ، و«المطلبِ» بالكسرِ.

والثّاني: أنَّ هذا رَجَزٌ، والرَّجَزُ غيرُ الشِّعْرِ، والرّاجزُ غيرُ الشَّاعرِ، وديوانُ رُؤبةَ والعجَّاجِ كلُّه رَجَزٌ، وليس فيه بيتُ شعرٍ، والرَّجزُ يأتي تامًّا مُسدَّسًا ومجزوءًا ومشطورًا[٣] ومَنهوكًا، حتَّى إنَّ عبدَ الصَّمدِ بنَ المُعَذَّلِ[٤] صنعَ قصيدةً على جزءٍ واحدٍ، منها:

هـــذا الرَّجُـــلْ
لــــمَّا احتَفَـــلْ
أهـــدَى بصَـــلْ

(١) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «أو مشطورًا».

(٤) عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل بن غيلان البصري من فحول الشعراء، له أشعار كثيرة منها قصيدة على حروف المعجم في أوائلها وآخرها. توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر: «المؤتلف والمختلف» (٤/ ٢١٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٨٧١).

فجعلَ كلَّ «مُستفعِلن» بيتًا[١].

وأنكرَ بعضُهم هذا القولَ، وقال: إنَّ الرَّجزَ والهزجَ والرَّملَ من دائرةٍ واحدةٍ، والهزجُ والرَّمَلُ شعرٌ، فكذلك الرَّجزُ، وأمَّا مجيئُه مشطورًا ومنهوكًا فلا يُخرِجُه عن الشِّعرِ، فقد جاء:

هــــل بالدِّيــــارِ إنــــسُ

وليس برجزٍ، وهو دون المنهوكِ في عددِ[٢] الحروفِ والحركاتِ.

والثَّالثُ: أنَّ الله نفى الشِّعرَ عن القرآنِ فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾، إنَّما علَّمْناه القرآنَ، وما ينبَغي له أن يقولَ: القرآنُ شِعرٌ[٣].

وقيل: وما ينبَغي للقرآنِ أن يكون شعرًا.

والقولُ هو الأوَّلُ، فقد ذُكِرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا جرى على لفظِه:

هــل أنــتِ إلا أصبــعٌ دَمِيــتِ   وفــي سـبيلِ الله مــا لقيــت

انقطعَ الوحيُ مُدَّةً مديدةٌ حتَّى قالتِ الكفَّارُ: إنَّ محمَّدًا قد ودَّعَه ربُّه وقلاه، فأنزلَ الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣][٤].

---

(١) ذكر المصنف القول الثاني في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «عدة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٦) وعده من العجائب.

(٤) رواه بتمامه الترمذي (٣٣٤٥) من حديث جندب البجلي رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح».

ورواه البخاري ومسلم فجعلاه حديثين: الأول: رواه البخاري (٦١٤٦)، ومسلم (١٧٩٦)، عن جندب قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت إصبعه، فقال: «هل أنت إلا إصبع...». =

وهذا أحدُ ما قيلَ في سببِ انقطاعِ الوحيِ تلكَ الأيّام، والله أعلمُ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: ليُنذِرَ محمَّدٌ.

وقيل: ليُنذِرَ القرآنُ.

ومَن قرأ بالتّاءِ: ﴿لِتُنذِرَ﴾[1] يا محمَّدُ.

﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعني: المؤمنين، وخصَّهم بالذِّكرِ لانتفاعِهم به.

وقيل: مَن كان حيًّا في القلبِ.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: ويَجِبَ العذابُ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وهذا مُطابقٌ معنًى؛ أي: ويحقَّ القولُ على مَن كان ميتًا؛ لأنَّهم في عدادِ الموتَى.

وقيل: ليحقَّ القولُ فلا يكونَ للنّاسِ على الله حجَّةٌ بعد الرُّسلِ.

* * *

(٧١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾؛ أي: خلَقْناها لانتِفاعِهم واعتِبارِهم، وذِكْرُ الأيدي يُفيدُ أنَّ الله خلقَها بذاتِه سبحانه من غيرِ واسطةٍ.

﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ فيه قولانِ:

= والثاني: رواه البخاري (٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧): قال جندب: «اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾».

(١) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

أحدُهما: ضابِطون قابِضون، من قولِ الشّاعرِ:

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا أَمْلِكُ رأسَ البَعِيْرِ إنْ نَفَرا[1]

والثّاني: مالِكون ملكَ اليمينِ؛ أي: خلَقْناها وجعَلْناها ملكًا لهم.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾: صَيَّرْناها مُنقادةً لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرَّكُوبُ: ما يُرْكَبُ، وهو جمعٌ، وكذلك الحَلُوبُ ما يُحْلَبُ، والرَّكوبةُ: تكونُ واحدًا وجمعًا.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: سخَّرْناها لهم؛ ليركبُوا ظهرَها ويأكلوا لحمَها.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾: في نسلِها، ودَرِّها، وصُوفِها، وشَعَرِها، والحَمْلِ عليها ﴿وَمَشَارِبُ﴾؛ أي: ألبانُها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ الله؟ استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: لعلَّ أصنامَهم تنصرُهم إذا حزَبَهم أمرٌ.

* * *

---

(١) للربيع بن ضبع الفزاري كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٤٩)، و«الحماسة» للبحتري (ص: ٣٩٩)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٧).

(٧٥) ـ ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾؛ أي: خابَ أملُهم، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ بل الكفارُ ينصُرونَ الأصنامَ ويذُبُّونَ عنها.

وقيل: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الأصنامُ، ﴿لَهُمْ﴾: للكفّارِ ﴿جُندٌ﴾: تبعٌ ﴿مُّحْضَرُونَ ﴾ في النّارِ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: قولُهم في الله: إنَّ له شريكًا وولدًا، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ فنُجازيهم على أقوالِـهم وأفعالِـهم.

والثّاني: قولُهم فيك: إنَّكَ شاعرٌ ومجنونٌ.

وقيل: ﴿قَوْلُهُمْ﴾: تهديدُهم إيّاكَ بالقتلِ ووعيدُهم، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ فنَحُولُ بينكَ وبينَهم.

* * *

(٧٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾: مِنْطِيقٌ، جَدِلٌ، بارعٌ، لَسِنٌ.

وقيل: هذه صفةُ ذمٍّ؛ أي: خلَقْناه أحسنَ ما يكونُ، ثمَّ هو يُجادِلُنا ويُخاصِمُ نبيَّنا ويُنكِرُ قُدرتَنا.

واختلَفُوا في نزولِه؛ فقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧).

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: في العاصِ بنِ وائلٍ[١].

الحسنُ: في أميّةَ بنِ خلَفٍ[٢].

قتادةُ: في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، وعليه الأكثَرون، وذلك أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ بعظمٍ حَائِلٍ قد بَلِيَ، ففتَّه بيدِه وقال: يا محمَّد، أترى أنَّ الله يُحيي هذا بعدما رمَّ؟! فقال ﷺ: «نعَمْ ويبعَثُكَ ويُدخِلُكَ النّارَ»، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[٣].

***

(٧٨) ـ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾.

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾؛ أي: خَلْقَنا إيَّاه، مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ.

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ تقولُ: رَمَّ الشَّيءُ ورَمَـمْتُه، وهي كـ: كفٌّ خَضيبٍ، وعينٍ كحيلٍ[٤].

***

(٧٩) ـ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ ﴾: خلَقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداءً حين أَوْجَدَ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه أجزاؤه وإنْ تفرَّقَتْ في البرِّ والبحرِ، فيجمعُه ويُعيدُه خلقًا كما كانَ.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣٧)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٦)، عن قتادة.

(٤) أي: تدلُّ على المؤنث بلا تاء؛ لأنها جاءت على (فعيل) بمعنى: مفعول، وقد سبق ذكره مراراً.

(٨٠) ـ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يُريدُ شجرةَ المَرْخِ والعَفَارِ، فمَن أرادَ منهم النَّارَ قطعَ غُصنَين مثلَ السِّواكَين، وهما خَضْراوانِ يقطُرُ منهما الماءُ، فيُسحَقُ المَرْخُ وهو ذَكَرٌ، على العفارِ وهي أُنثى، فتخرجُ منهما النارُ، وتقولُ العربُ: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ[1].

وفي التَّفاسيرِ: كلُّ شجرٍ فيه نارٌ إلا العُنَّابَ[2].

* * *

(٨١) ـ ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ لأنَّهم مُقِرُّون بذلك، ثمَّ قال: ﴿بَلَىٰ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم يقولون: بلى.

والثّاني: فإنْ أجابوكَ وإلّا فقُلْ: بلى؛ إذ ليس له جوابٌ غيرُ ذلك.

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

* * *

(١) يُضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض أي لكل واحد من هؤلاء فضل إلا أن فلانًا أفضل. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩) عن الحكماء.

(٨٢) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾: لذلك الشَّيءِ، وقيل: لأجلِه.

﴿كُن﴾ سبقَ في أوَّلِ (البقرةِ).

﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فهو يكونُ على ما قدَّرَ وأرادَ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: نزِّهوه عن الوصفِ بالعجزِ عمَّا أرادَ.

والملَكوتُ: المُلْكُ بأبلغِ الألفاظِ، ولا يكونُ إلا لله وحدَه.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ.

* * *

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مئةٌ واثنتان وثمانونَ آية[1]، مكِّيةٌ.

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ ذهبَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما إلى أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ الملائكةُ[2]؛ لأنَّهم صفوفٌ في السَّماءِ كصفوفِ المُصلِّين في الأرضِ، ولأنَّها تزجُرُ عن معاصي الله، وقيل: تزجُرُ السَّحابَ؛ تسوقُه إلى حيثُ أمرَ الله، ولأنَّها تتلو كتابَ الله على الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ: المُصلُّونَ منَ النَّاسِ، قال: والزَّجْرُ والصَّيْحةُ واحدٌ؛ أي: يرفعون أصواتَهم بتلاوةِ القرآنِ في الصَّلاةِ فهم الزَّاجراتُ التَّالياتُ.

وقيل: الصَّافَّاتُ: الطُّيورُ في الهواءِ[3].

---

(١) في (ن): «مائة وثمانون واثنان آية»، وليست في (ف)، والصواب المثبت. وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢) وفيه: «وهي مئة وثمانون آية في البصري وأبي جعفر القارئ، وآيتان في عدد الباقين»، و«الكشاف» (٤/ ٣٣) وفيه: و«هي مئة وإحدى وثمانون، وقيل: واثنتان وثمانون آيةً».

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١١)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، وعده من العجائب.

وقيل: الزَّاجراتُ: آياتُ القرآنِ[١].

وقيل: التَّالِيَاتُ ذِكْرًا: آياتُ القرآنِ أيضًا.

وقيل: التَّالِيَاتِ ذِكْرًا: قُرَّاءُ القرآنِ[٢].

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالثَّلاثةِ: الغُزاةُ[٣]، كقولِه: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١]؛ فهم الصَّافَّاتُ في الحربِ، الزَّاجِراتُ للكفَّارِ[٤]، التَّالياتُ ذكرَ الله بالتَّكبيرِ والتَّهليلِ والتَّسبيحِ.

والصَّفُّ: ترتيبُ الشَّيءِ على نَسَقٍ، كالصَّفِّ في الصَّلاةِ، والصَّافُّ واحدٌ، والصَّافَّةُ جمعٌ، والصَّافَّاتُ: جمعُ الصَّافَّةِ.

والزَّجْرُ: الصَّرْفُ عن الشَّيءِ بخوفٍ وتخويفٍ.

والتِّلاوةُ: القراءةُ، والتُّلُوُّ: الاتِّباعُ.

أقسمَ الله بهذه الأشياءِ تعظيمًا لها وتشريفًا.

وقيل: وربِّ الصَّافَّاتِ، وكذلك ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ﴾ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ وغيرُها.

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾.

﴿إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ جوابُ القسمِ ردًّا على مَن قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٦٩)، واستغربه.

(٤) في (ن): «والزاجرات الكفار».

(٥) ـ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾؛ أي: مطالعِ الشَّمسِ، ولها ثلاثُ مئة وستُّونَ مطلعًا، وكذلك المغاربُ.

وقيل: لها مئةٌ وثمانون مَشْرقًا، فإذا انتهى إلى آخرِها رجعَتْ.

وقيل: كلُّ ما طلعَ عليه الشَّمسُ منَ الأرضِ فهو مشرقٌ، وكلُّ ما غربَ عنه الشَّمسُ فهو مغربٌ.

* * *

(٦) ـ ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾.

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ تأنيثُ الأدنى، وهي التي تدنو منَ الأرضِ.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ مَن جرَّها غيرَ مُنوَّنةٍ فللإضافةِ، ومَن جرَّها مُنوَّنةً فبالبدلِ، ومَن نصبَها فعلى محلِّ الجارِّ والمجرورِ(٥).

وقيل: بدلٌ منَ ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾.

وقيل: زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بتزيينِنا الكواكبَ.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾؛ أي: وحفِظْناه حفظًا ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ خالٍ عن الخيرِ خبيثٍ.

* * *

---

(٥) قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿بزينةٍ﴾ منوَّنةً ﴿الكواكبَ﴾ نصباً، وقرأ عاصمٌ في روايةِ حفصٍ وحمزةُ: ﴿بزينةٍ﴾ منوَّنةً ﴿الكواكبِ﴾ خفْضاً على البدل، والباقون: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ مُضافةً. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)

(٨) ـ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾؛ أي: إلى كلامِ الملأ الأعلى، وهم الملائكةُ، وتقديرُه: أنْ لا يَسْمَعُوا؛ أي: لئَلَّا يَسْمَعُوا، فلمَّا حُذِفَ (أنْ) رُفِعَ الفعلُ، وعدَّاه بـ﴿إِلَى﴾ لأنَّه في معنى الإصغاءِ.

وقيل: (سَمِعْتُ إليه) بمعنى: صَرَفْتُ إلى جهتِه سمعي.

قُرِئَ: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[1]؛ فمَن شدَّدَ فأصلُه: يتَسَمَّعون، فأُدغِمَ، ومَن خفَّفَ جعلَه من: سمِعَ يسمَعُ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يتَسمَّعون ولا يسْمَعون[2].

الحسن: لا يسْمَعون الوحيَ، ويخْتَطِفون الخَطْفَةَ مـمَّا سوى ذلك فيُلقونَ إلى الكَهَنةِ[3].

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ تقولُ: قَذَفْتُ الشَّيءَ: طَرَحْته، وقَذَفْتُه بالحجرِ[4]: رميتُ إليه حجرًا، ومنه: قذَفَه بالفُجورِ، والآيةُ تحتمِلُ الوجهَين.

﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾؛ أي: مرَّةً من هذا الجانبِ، ومرَّةً من هذا الجانبِ.

وقيل: يُقْذَفُون من كلِّ الجوانبِ.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين والميم، والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٥)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٩). وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٢). قال الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٥): «وبهذا يُنْصَرُ التخفيْفُ على التَّشدِيْد».

(٣) لم أجده.

(٤) في (ف): «بحجر».

(٩) ـ ﴿ دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾.

﴿ دُحُورًا ﴾ مصدرٌ من غير لفظِ الفعلِ الأوَّلِ؛ أي: يُقْذَفون قَذْفًا.

وقيل: فعلُه مُضمَرٌ تقديرُه: ويُدحَرونَ دُحورًا.

وقيل: ﴿ دُحُورًا ﴾: جمعُ: دَحرٍ، وهو ما يُرْمى به، فيكونُ تقديرُه: بدُحورٍ، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ[١]، يُقوِّيه قراءةُ مَن فتحَ (دَحُورًا)[٢].

ولا يمتنِعُ أن يكون حالًا؛ أي: مدحورين مطرودين[٣]، من قولِه: ﴿مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ ﴾؛ أي: للشَّياطينِ عذابٌ ﴿وَاصِبٌ﴾ قيل: دائمٌ، منَ الوُصوبِ.

وقيل: مُوجِعٌ، منَ الوَصَبِ.

وقيل: شديدٌ.

وقيل: خالصٌ.

* * *

(١٠) ـ ﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾.

﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ ﴾ قيل: الاستثناءُ من قولِه: ﴿لا يَسْمَعون﴾، ومحلُّ ﴿مَنۡ﴾ رفعٌ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، واستغربه.

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن السلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧١)، واستغربه، وقال: «وفيه نظر».

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ، وخبرُه: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾.

ومعنى ﴿خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾: اختَلَسَ الكلمةَ مُسارقةً.

وقيل: استمعَ استماعةً.

وقيل: مُسارعةً.

وقيل: وثَبَ وَثبةً.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾؛ أي: تبِعَه، رُمِيَ في أثرِه ﴿شِهَابٌ﴾: كوكبٌ ﴿ثَاقِبٌ﴾: مضيءٌ.

وقيل: ماضٍ.

وقيل: عالٍ.

وقيل: يَثقُبُ بضوئِه، منَ الثَّقْبِ.

فإذا قُذِفُوا احتَرقُوا.

وقيل: تُصيبُهم آفَةٌ فلا يعودون.

وقيل: لا يُقتَلون بالشُّهُبِ، بل يُحِسُّ بذلك فلا يرجعُ، ولهذا لا يَمتنِعُ غيرُه عن ذلك.

وقيل: يُصيبُهم مرَّةً ويسلَمُون مرَّةً، فصاروا في ذلك كراكبي السَّفينةِ للتِّجارةِ وغيرِها.

* * *

(١١) ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: سَلْ قومَك.

نزَلَتْ في أبي الأشدِّ بنِ كَلَدةَ بنِ أَسِيْدٍ، حكاهُ الثَّعلبيُّ(١).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٢٧)، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٦٠٣). وقد اختلف في اسمه ولقبه، فقيل: أبو الأشدين أسيد بن كلدة، وقيل: كلدة بن أسيد، وقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلاب الجمحي، وقيل غير ذلك. انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤١)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٦٤).

وقيل: فحاجِّهِم.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريدُ: عادًا وثمودَ ومَن قبلَهم من الأممِ الخاليةِ، والتَّقديرُ: أمَّنْ خلَقْنا قبلَهم وسِواهُم؟ فإنَّ الكلَّ من خلقِ الله.

وقيل: فاستَفْتِ بني آدمَ أهم أشدُّ خلقًا أم مَن خلقنا؟ يعني: الملائكةَ.

الحسن في جماعةٍ: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يُريدُ: السَّماواتِ والأرضَ والجبالَ، كقولِه[1] تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧][2]، فيكونُ ﴿مَنْ﴾ حينَئذٍ لازدِواجِ الكلامِ.

ثـمَّ بيَّنَ من أيِّ شـيءٍ خلـقَ بني آدمَ فقـال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ يعني: أصـلَ بني آدمَ ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الطِّيـنُ: التُّـرابُ خالطَـه الماءُ. والـلاَّزِبُ: اللاَّزِمُ، والبـاءُ بدلٌ منَ الميمِ عنـد أكثرِهم.

وقيل: هو منَ اللُّزوبِ بمعنى: اللُّزومِ، ومعناه: لازِقٌ.

وقيل: من طينٍ عَلِكٍ[3].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو المُلتصِقُ منَ الطِّينِ الحُرِّ الجيِّدِ[4].

مجاهدٌ والضَّحَّاكُ: مُنْتِنٍ[5].

---

(١) في (ف): «لقوله».

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٢٥)، وجعل المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٢) من الغريب تفسير (مَن خَلَقْنا) بالسماء.

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٣)، ومكي في «الهداية» (٩/ ٦٠٨٦). وطِينَةٌ عَلِكَةٌ: خضراءُ لَيِّنةٌ حرَّة. انظر: «التاج» مادة: (ع ل ك).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٥).

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٨).

(١٢) ـ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾؛ أي: عَجِبْتَ من تكذيبِهم وهم يسخَرون من تعجُّبِكَ.

وقيل: بل عجِبْتَ يا محمَّدُ منَ القرآنِ حين أُعْطِيتَه ويسخرُ أهلُ الكفرِ منه.

ومَن قرأ بالضَّمِّ[١] فلذلك وجهانِ:

أحدُهما: أنَّ المعنى: حَلُّوا محلَّ مَن يُتَعَجَّبُ منهم، والعجَبُ على الله غيرُ جائزٍ، ومنهم مَن أجازَ لفظَ التَّعجُّبِ[٢] وحملَه على مثلِ ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، و﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ومثلُه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥]، وقال ﷺ: «يعجَبُ ربُّكَ منَ الشَّابِّ ليست له صبوةٌ»[٣].

وقيل: العجَبُ أن يرى الإنسانُ ما يُنكِرُه، فيجوزُ على هذا القولِ أنَّ الله أنكرَ ما عليه الكفَّارُ.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وعِظُوا لا يتَّعِظُون ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: انشِقاقَ القمرِ وغيرَه منَ المُعجِزاتِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يسخَرون.

---

(١) أي: بضم التاء، قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٢)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن».

وقيل: يستدعي بعضُهم بعضًا إلى أنْ يَسخرَ.

ويحتمِلُ: أنَّهم يَسألون غيرَهم أن يسخَروا منه عليه السَّلامُ.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾؛ أي: الذي نراه ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ.

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾؛ أي: أَنُبعَثُ إذا مِتْنا؟ وقد سبقَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾.

﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ قُرِئَ بفتحِ الواوِ على تقديرِ: أَوَآباؤُنا الأوَّلون مبعوثون؟ وبسكونِ الواوِ(١)، وتقديرُه: أَيُبعَثُ واحدٌ منَّا؟ مُبالغةً في الإنكارِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾.

﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾ تُبعَثون وآباؤُكم ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ صاغِرون أذِلاءُ على رَغْمٍ منكم.

* * *

(١٩) ـ ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾.

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ ﴾؛ أي: القيامةُ، أو نفخةُ القيامةِ ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾: صيحةٌ واحدةٌ ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾؛ أي: أحياءٌ ينظُرون.

---

(١) هي قراءة قالون وابن عامر، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

وقيل: ينتَظِرون أمرَ الله فيهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ معناه: وجَبَ لنا الويلُ والحزنُ.

وقيل: حلَّ بنا أشدُّ شيءٍ نكرهُه.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ قيل: هو من تمامِ كلامِهم؛ أي: هذا يومُ الجزاءِ الذي كنَّا نُنكِرُه.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، ثمَّ قال الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المُحسِنِ والمُسيءِ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفَروا ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الحسنُ: نساءَهُم اللّاتي على دينِهم[١].

وقيل: أتباعَهم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: أمثالَهم وأضرابَهم ونُظَراءَهم[٢]؛ الزَّاني مع الزَّاني، وصاحبُ الخمرِ مع صاحبِ الخمرِ، من قولِه: ﴿أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]؛ أي: أشباهًا.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ؛ ليُعذَّبَ بها الكفَّارُ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤) عن الحسن بلفظ: «المشركات»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٣)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٨).

﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: ادعوهُم.

وقيل: قدِّموهُم، والسَّابقُ يُسمَّى: الهادي.

وقيل: دُلُّوهم.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وسطِها، وقيل: طريقِها.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؛ أي: احبِسُوهم، تقولُ: وقَفْتُه وقفًا.

وفي السؤالِ قولانِ:

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عن (لا إلهَ إلا الله)[١].

وقيل: عن خطاياهُم.

وقيل: عن جميعِ أقوالِـهم وأفعالِـهم.

والثّاني: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ ثمَّ بيَّنَ عمَّ يُسألونَ فقال:

* * *

(٢٥) ـ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ كما كنتُم تنصُرون أوثانَكم على مَن قصدَها، وها هي تُحشَرُ إلى النّارِ، ما لكم تركتُم نُصرتَها؟ وهذا توبيخٌ لهم وتقريعٌ.

وقيل: هذا جوابٌ لأبي جهلٍ حيثُ قال يومَ بدرٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٣٣٩)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٩/ ٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ مُقدَّمٌ مُتَّصلٌ بقولِه: (احشُروهم)، و(احشُروهُم) متَّصلٌ بقولِه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

* * *

(٢٦) ـ ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: خاضِعون، وقيل: مُنقادُون.

الأخفشُ: هم مُلقُونَ بأيديهم[1].

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الأتباعَ والرُّؤساءَ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يتخاصَمون ﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الأتباعُ للرُّؤساءِ: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: من قِبَلِ الدِّينِ فتُضِلُّوننا عنه؛ أي: تأتونَنا عن أقوى الوجوهِ وأيمَنِه، كأنَّكم تنفعونَنا نفعَ السَّانحِ، فجنَحْنا إليكم فهلَكْنا.

وقيل: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: عن الخيرِ تُرونَنا أنَّكم تُريدونَ بنا خيرًا.

وقيل: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: تُكرِهونَنا على الدِّينِ[2].

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الرُّؤساءُ: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ما كنتُم مُؤمنين فردَدْناكم عن الإيمانِ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾: بُرهانٍ وحُجَّةٍ، ولا قَهَرْناكم عليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٣)، واستغربه، وأضاف: «واليمين: القوة».

﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: بل كفرتُم بطُغيانِكُم.

* * *

(٣١) ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾؛ أي: وجَبَ علينا جميعًا كلمةُ العذابِ ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ يعني: الرُّؤساءَ والأتباعَ.

وقيل: معناه: استحقَقْنا العذابَ الذي أوعَدَناه ربُّنا.

وقيل: حقَّ علينا قولُ الله وإخبارُه أنَّا جميعًا نكفرُ فنصيرُ إلى النَّارِ ونذوقُ العذابَ.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾: قضاءُ ربِّنا.

وقيل: ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ أنَّه يُعذِّبُنا إنْ كفَرْنا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: أضلَلْناكُم ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾: ضالِّين.

وقيل: معناه: خيَّبْناكُم كما خِبْنا؛ والغِوايةُ: الخيبةُ.

والإغواءُ: الدُّعاء إلى الغيِّ.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: جميعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: بالمُشركين.

(٣٥) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: يتكبَّرون على مَن يدعوهُم إلى قولِ: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يأنفون من قولِه، ويسْتَخِفُّونَ بمَن دعاهُم إليه.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ خبرُ (كان)، فإنْ أُلْغِيَتْ (كانَ) فهو خبرُ (إنَّ)، والعاملُ في ﴿إِذَا﴾: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنُونَ محمَّدًا ﷺ، فَرَدَّ الله عليهم وقال:

* * *

(٣٧) ـ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: جاء بالصِّدقِ، ووافقَ ما كان معهم.

وقيل: لأنَّ مجيءَ المُخبِرِ يُصدِّقُ المخْبَرَ به، وقد سبق.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من غير زيادةٍ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قيل: الاستثناءُ مُتَّصلٌ بالجزاءِ؛ أي: إلا عبادَ الله المُخلَصين فإنَّ جزاءَهم أضعافٌ مُضاعفةٌ تفضُّلًا منه سبحانَه عليهم.

وقيل: مُتَّصلٌ بالذَّوقِ؛ أي: يذوقون إلَّا عبادَ الله.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: المُصْطَفَيْن، وبالكسرِ[1]: المُصَحِّحُونَ عزمَهم.

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ عبادُ الله المُخلَصين[2].

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: معلومٌ دوامُه، وقيل: معلومٌ وقتُه، بكرةً وعشيًّا.

﴿فَوَٰكِهُ﴾ بدلٌ منَ ﴿رِزْقٌ﴾، والفاكهةُ: ما يُؤكَلُ تلذُّذًا، لا لحفظِ الصِّحَّةِ والقوتِ.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: مُعظَّمُون.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: لا شيءَ فيها إلا النَّعيمُ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: يُقابِلُ بعضُهم بعضًا.

وقيل: لا عداوةَ بينَهم.

وقيل: يَستمتعُ بعضُهم بالنَّظرِ إلى وجوهِ البعضِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: إناءٍ فيه خمرٌ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: خمرٍ جاريةٍ ظاهرةٍ تراها العيونُ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ونافع: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٤)، واستغربه.

وقيل: ﴿مَعِينٍ﴾ فعِيل منَ المَعْنِ، وهو: المنفعةُ.

وقيل: منَ الإمعانِ في السَّيرِ؛ أي: جارٍ.

وقيل: من مَعَنَ الماءُ: إذا جرَى على وجهِ الأرضِ.

وقيل: هو مفعولٌ من: عَيْنِ الماءِ(١).

***

(٤٦) - ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾.

﴿بَيْضَآءَ﴾ من صفةِ الكأسِ، وقيل: من صفةِ الخمرِ(٢)، والبياضُ أحسنُ الألوانِ.

﴿لَذَّةٍ﴾: ذاتِ لذَّةٍ؛ أي: لذيذٍ ﴿لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾.

***

(٤٧) - ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: صُداعٌ، وقيل: داءٌ.

وقيل: لا تذهبُ بعقولِـهم فتغتالَها، والغَوْلُ: فسادٌ يَلحقُ في خفاءٍ.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ مَن كسرَ الزّايَ فله معنيانِ:

أحدُهما: لا يسْكَرون، من قولِـهم: أَنْزَفَ الرَّجلُ؛ إذا سكِرَ، والنَّزِيفُ: المخمورُ.

والثّاني: لا ينفَدُ شرابُهم.

ومَن قرأ بفتحِ الزّاي(٣) فالمعنى: لا يسْكَرُون فيزولَ عقلُهم، تقولُ: نُزِفَ الرَّجلُ؛ إذا زالَ عقلُه سُكْرًا.

---

(١) العَيْنُ والعَيَنَانُ: جريان الماء. انظر: «القاموس» مادة: (ع ي ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي، والباقون بفتحها، ولا خلاف في ضم الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾؛ أي: قَصَرْنَ عيونَهنَّ عن النَّظرِ إلى غيرِهم ﴿عِينٌ ﴾: جمعُ عَيْناء؛ أي: نَجْلاءُ واسعةُ العَينِ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾: مَصُونٌ، شبَّهُهُنَّ ببَيضِ النَّعامةِ[١]؛ فإنَّها تُكِنُّها عن الرِّيحِ والشَّمسِ والغبارِ بريشِها.

وقيل: شبَّهُهُنَّ[٢] ببياضِ البَيضِ المسلوقِ تحتَ القِشْرِ[٣].

وقيل: شبَّهَ لونَهنَّ ومُلاستَهنَّ بالبيضِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: البيضُ المكنونُ: الدُّرُّ في صدَفِه[٤].

* * *

(٥٠) ـ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يعني: أهلَ الجنَّةِ يتذاكَرونَ أحوالَ الدُّنيا وأحوالَ أصدقائِهم.

* * *

(٥١) ـ ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾: جليسٌ في الدُّنيا؛ قيل: كانا أخوَين.

وقيل: كانا شريكَين.

---

(١) في (ف): «النعام».

(٢) في (ف): «شبهن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤١) بلفظ: «اللؤلؤ المكنون»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، وعده من العجائب.

وقيل: كان القرينُ شيطانًا.

وقيل: هما قَطْروسُ الكافرُ ويَهُوذا المسلمُ، وقصَّتُهما في (الكهفِ): ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ [الكهف: ٣٢][(١)].

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعثِ ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: مجزِيُّونَ، وقيل: مُحاسَبون. وقيل: مـملوكون.

* * *

(٥٤) ـ ﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم﴾ يقولُ الله لأهلِ الجنَّةِ: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النَّارِ؛ أي: هل تحبُّونَ أن تطَّلِعوا فتعلَمُوا أينَ منزلتُكم من منزلةِ أهلِ النّارِ؟

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الجنَّةِ كُوًى ينظرُ أهلُها منها إلى النَّارِ، وأهلُها يُناظِرونَهم[(٢)]؛ لأنَّ لهم في توبيخِ أهلِ النَّارِ لذَّةً وسرورًا.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ على أهلِ النّارِ ﴿فَرَءَاهُ﴾؛ أي: قرينَه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: وسطِه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إلى النار وأهلها ويناظرون أهلها». رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٩)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١٦) عن كعب بلفظ: «في الجنة كوى، فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكرًا». قوله: «يناظرونهم» يعني: ينظرون إليهم نظر المترقِّب، وليس من المناظرة والمجادلة، والله أعلم.

(٥٦) ـ ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾؛ أي: يقولُ له: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾: تُهلِكُني، منَ الرَّدَى، وهو الهلاكُ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾.

﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي ﴾: عِصمتُه ورحمتُه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ معكَ فيها، ولم يقُلْ: في العذابِ؛ لأنَّ الإحضارَ لا يُستعمَلُ إلا في الشَّرِّ.

* * *

(٥٨ ـ ٦٠) ـ ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾.

﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴾؛ أي: أفما نحنُ بمَن شأنُه أن يموتَ، كقولِه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

﴿ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ قيل: هذا استفهامُ تعجُّبٍ، يقولونَها فيما بينَهم فرحًا بذلك.

وقيل: يَسأَلُ أهلُ الجنَّةِ من الملائكةِ(١)، فيقولون: لا، ويقولونَ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾.

وقيل: هذا من تمامِ كلامِه لقرينِه تقريعًا له وتوبيخًا(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) كذا في النسختين، ولو كانت العبارة: «يسأل أهلُ الجنة الملائكة» لكان أظهر؛ فعبارة المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥): «هم يسألون الملائكة عنه، فيقولون: لا، فيقول أهل الجنة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾».

و﴿مَوۡتَتَنَا﴾ نصبٌ على المصدرِ.

والاستثناءُ يجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا، وتقديرُه: لا نموتُ إلا مرّةً.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ مُنقَطِعًا، وتقديرُه: لكنِ الموتةُ الأولى قد كانت في الدُّنيا(١).

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: بعدَ(٢).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تمَّ كلامُه لقرينِه، ثمَّ قال الله:

* * *

(٦١) ـ ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾.

﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ وقيل: هذا أيضًا من كلامِه، ثمَّ قال الله:

* * *

(٦٢) ـ ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا﴾؛ أي: أذلك الذي ذكرتُ من نعيمِ أهلِ الجنَّةِ خيرٌ نزلًا ﴿أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾؟ يُريدُ: أسبابُ ذلك خيرٌ أم أسبابُ هذا(٣)؟

والنُّزُلُ: ما يُقدَّمُ للضَّيفِ عند نُزولِه(٤).

والزَّقُّومُ: طعامٌ يبتلِعُه الإنسانُ على مشقَّةٍ وجهدٍ؛ جَهيدٍ لمرارتِه ونَتْنِه وخُشونتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٥)، وعده من العجائب، وذكر المرادي في «الجنى الداني» (ص: ٥٢١) أن هذا من أغرب ما قيل في (إلا).

(٣) في (ف): «أسباب هذا خير أو أسباب ذلك».

(٤) في (ف): «ما يقام للضيف»، «عند نزوله»: ليس في (ف).

وذكرَ قُطْرُبٌ أنَّ الزَّقُّومَ شجرةٌ مُرّةٌ تكونُ بتِهامةَ(١).

وذكر المُفسِّرونَ: أنَّ ابنَ الزِّبَعْرَى قال لصناديدِ قُريشٍ: إنَّ محمَّدًا يُخوِّفُنا بالزَّقُّومِ، وإنَّ الزَّقُّومَ بلسانِ بربرَ وإفريقيَّةَ الزُّبدُ والتَّمرُ.

وذكروا أيضًا: أنَّ أبا جهلٍ لـمَّا سمعَ ذكرَ الزَّقُّومِ أدخلَهم بيتَه وقال: يا جاريةُ زقِّمينا، فأَتَتْهم بالزُّبدِ والتَّمرِ، فقال: تَزَقَّمُوا؛ فإنَّ هذا ما يُوعِدُكم محمَّدٌ، فأنزَلَ الله صفةَ الزَّقُّومِ(٢)، فقال:

(٦٣ ـ ٦٥) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾: امتحانًا وبلاءً ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: مَنْبِتُها فيها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قيل: إنَّ الشَّياطينَ هاهنا نوعٌ منَ الحَيَّاتِ تعرفُها العربُ، خِفافٌ لها أعرافٌ ورؤوسٌ قِباحٌ.

وقيل: إنَّ الشَّيطانَ شجرٌ معروفٌ عند العربِ قبيحُ الأعالي، يُسمى: الأَسْتَنَ، شُبِّهَ طلعُ الزَّقُّومِ به في قُبحِ المنظرِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١).

(٢) هذا والذي قبله خبر واحد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٦٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١). وروى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠)، بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقال أبو جهلٍ: أَيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم، هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتَزقَّموا». وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨) عنه نحوه، وروى نحوه (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة.

وقيل: هذا مَثَلٌ، وذلك أنَّ الشَّيءَ إذا استُقْبِحَ شُبِّهَ بالشَّيطانِ فقيل: كأنَّه وجهُ شيطانٍ، كأنَّه رأسُ شيطانٍ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يزعمُ أنَّه أقبحُ الأشياءِ وإنْ لم يكُنْ رآه.

وقيل: يُشوِّهُ الله الشَّياطينَ في النّارِ، فشُبِّه طَلعُها برؤوسِهم.

مُقاتلٌ: رؤوسُ الشَّياطينِ حجارةٌ سُودٌ تكونُ حولَ مكّةَ[1].

***

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾: منَ الشَّجرةِ ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ والمَلْءُ: حشوُ الوعاءِ بما لا يحتمِلُ زيادةً عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على أكلِ الشَّجرةِ ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ فيشربون[2] مزاجًا منَ الماءِ الحارِّ المُفرِطِ الحرارةِ، ومنَ الصَّديدِ والغَسَّاقِ.

والحميمُ: هو الدَّاني منَ الإحراقِ.

وقيل: يشربون على الزَّقُّومِ منَ الحميمِ فيخلِطونَه به.

***

(٦٨) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٦٧) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «يشربون».

أحدُهما: أنَّهم في وقتِ أكلِهم وشُربِهم ذلك لا يُعذَّبون بالنّارِ، ثمَّ يُرَدُّونَ إلى الجحيمِ.

وقيل: هذا كقولِـهم: فلانٌ يرجعُ إلى مالٍ ونعمةٍ؛ أي: هو فيها.

ويحتمِل أنَّ ﴿ثُمَّ﴾ لتراخي الإخبارِ؛ أي: فقد صحَّ أنَّ مرجعَ الكفَّارِ إلى النَّارِ[1].

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ مع الجملةِ قد يدلُّ على التَّقديمِ؛ أي: وقبلَ ذلك كان مرجعُهم إلى الجحيمِ[2].

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾؛ أي: وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يُزْعَجُون ويُسْتَحَثُّون.

وقيل: كأنَّ بعضَهم يسوقُ بعضًا، لكنَّه ذُكِرَ بلفظِ المجهولِ.

والإهْرَاعُ: الإسراعُ في المشيِ.

* * *

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أهـلِ مكّةَ ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الأممَ الخاليةَ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: رُسلًا وأنبياءَ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلَصُوا الطّاعةَ لله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٦)، وعده من العجائب.

(٧٥) ـ ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾؛ أي: دَعانا لنُنَجِّيَه، وقيل: دَعانا لنُغرِقَ مَن كفرَ به ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾؛ أي: نحن.

* * *

(٧٦) ـ ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وهو الغرقُ والطُّوفانُ وأهوالُ السَّفينةِ.

وقيل: تكذيبُ قومِه إيَّاه واستذلالُه.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالخلقُ كلُّهم من أولادِ نوحٍ عليه السَّلامُ؛ لأنَّ مَن كان معه في السَّفينةِ ماتوا إلّا أولادَه ونساءَهم، حامٌ وسامٌ ويَافِثُ؛ فسامٌ أبو العربِ وفارسَ والرُّومِ، وحامٌ أبو السُّودانِ، ويافِثُ أبو التُّركِ والخزَرِ ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك.

* * *

(٧٨ ـ ٨٢) ـ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ أي: تركْنا عليه أن يقولَ الآخرونَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فارتفعَ بالحكايةِ؛ كما قال: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ [النمل: ٥٩].

وقيل: وتركْنا عليه ثناءً حسنًا، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قال الله: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: سائرَ المُحسنين نُنَجِّيهم ونُثْني عليهم كما نجَّينا نوحًا وأثنَينا عليه.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصَّ الإيمانُ بالذِّكرِ ـ والنُّبوَّةُ أشرفُ منه ـ بيانًا لشَرَفِ المُؤمنين لا لشَرَفِ نوحٍ عليه السَّلامُ، كما تقولُ: إنَّ محمَّدًا ﷺ من بني هاشمٍ.

وقيل: فيه بيانٌ أنَّه إنَّما استحقَّ ذلك بإيمانِه؛ فضيلةً للإيمانِ وترغيبًا فيه.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ يعني: قومَه الكافرينَ.

***

(٨٣) ـ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشِّيعةُ: الجماعةُ تتَّبعُ سيِّدَهم، واشتقاقُها من شاعَه يَشِيعُه شَيْعًا: إذا تبعَه، قال الشّاعرُ:

قـال الخليـطُ غـدًا تَرَحُّلُنـا ... أو شَـيْعَهُ فمتَـى تُودِّعُنـا[1]

أي: بعدَ غدٍ.

وقيل: الشِّيعَةُ: الأعوانُ، وأصلُه منَ الشِّياعِ، وهو الحطبُ الصِّغارُ تُوضَعُ مع الكبارِ على النّارِ.

وفي الهاء قولانِ:

الجمهورُ: يعودُ إلى نوحٍ عليه السَّلامُ.

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة. انظر: «شرح أبيات سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (١/ ١٢٤)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٤٧١).

الفَرَّاءُ: يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ؛ أي: هو على منهاجِه ودينِه وإنْ كانَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ سابقًا له[1].

***

(٨٤) ـ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾: حين أجابَ داعيةَ الإيمانِ بالتَّوحيدِ والطّاعةِ.

وقيل: حينَ أُلقِيَ في النّارِ.

والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ معنى التَّبعِ، و﴿إِذْ﴾ الثَّانيةُ بدلٌ منَ الأولى.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليمٍ من الشِّركِ والشَّكِّ.

وقيل: مُخلِصٍ.

وقيل: خالصٍ من كلِّ دنَسٍ.

وقيل: معنى ﴿سَلِيمٍ﴾: حزينٍ، من قولِهم: فلانٌ سَليمٌ؛ أي: لَدِيغٌ.

وقيل: سليمٌ من كلِّ علاقةٍ دونَ الله.

وقيل: معنى ﴿سَلِيمٍ﴾: لا يكونُ لعَّانًا.

***

(٨٥) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ يريدُ: لأيِّ شيءٍ؟ فإنَّ السُّؤالَ وقعَ عن الغرضِ لا عن الجنسِ، و﴿مَاذَا﴾ إنْ جعلْتَه كلمةً واحدةً فهو نصبٌ، وإنْ جعلتَه كلمتَين فهو مبتدأٌ وخبرٌ، وقد سبقَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

(٨٦) ـ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفكُ: الكذبُ. والآلهةُ: بدلٌ منه، وهو منصوبٌ بـ﴿تُرِيدُونَ﴾.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾ نصبٌ على الحالِ؛ أي: كاذِبين[1].

* * *

(٨٧) ـ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨٧ ـ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أيُّ شيءٍ ظنُّكم بربِّ العالمين وأنتم تعبُدونَ غيرَ الله؟!

وقيل: وما ظنُّكم بربِّ العالمين أنَّه من أيِّ جنسٍ من أجناسِ الأشياءِ حتَّى شبَّهتُم به هذه الأصنامَ؟! أي: لا يُشبِهُه شيءٌ.

* * *

(٨٨ ـ ٩٠) ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ وذلك حين طلَبُوا منه أن يخرجَ معهم إلى عيدٍ لهم، فأرادَ أن يتأخَّرَ للأمرِ الذي هَمَّ به ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

قد أكثرَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ؛ فقال بعضُهم: كانوا يتعاطَونَ علمَ النُّجومِ، وكان علمًا نبويًّا إلى أن نُسِخَ، فنظرَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ في النُّجومِ؛ أي: في علمِ النُّجومِ، وكتبِ النُّجومِ، فرأى في طالعِه ما يدلُّ على سقَمٍ، فقال: إنِّي سقيمٌ؛ أي: في الحالِ، والسَّقَمُ والمرضُ: خروجُ المزاجِ منَ الاعتدالِ، وقَلَّ مَن يخلو منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

وقيل: معناه: سأَسْقَمُ.

وقيل: إنَّ المُرادَ به الموتُ، وهو يلحقُه لا محالةَ.

وقيل: أرادَ بالسَّقَمِ الطَّاعونَ، وكانوا يخافون العَدْوَى، ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾.

وقيل: أرادَ نجومَ السَّماءِ في اللَّيلِ، وكانت الحمَّى تأخذُه بعِدَادٍ[1]، فرأى أماراتِ ذلك في ذلك الوقتِ، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: محمومٌ.

وقيل: هذا كما يُقالُ: فلانٌ ينظرُ في الطِّبِّ والأدبِ؛ أي: يعرفُهما، فيكونُ ﴿فِي﴾ بمعنى: إلى.

وقيل: ﴿نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾: ما حكى اللهُ عنه في قولِه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الآيات [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩]، وقولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إذ لستُ على يقينٍ منَ الأمرِ ولا شفاءٍ؛ لأنَّ العلمَ شفاءٌ، والجهلَ سُقْمٌ وداءٌ، فعلى هذا قولُه: ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقيل: المُرادُ بالنُّجومِ: النَّباتُ؛ أي: فنظرَ فيها مُتخيِّرًا منها ما فيه شفاءٌ لسُقْمٍ أَوْهَمَهُم أنَّ به ذلك[2].

قال الأزهريُّ عن أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ يحيى قال: ﴿فِي ٱلنُّجُومِ﴾ النُّجومُ: جمعُ نجمٍ، وهو ما نجمَ من كلامِهم لـمَّا سألوه أن يخرُجَ معهم إلى عيدِهم، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً﴾ أي: تفكَّرَ ليُدبِّرَ حُجَّةً، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سقيمٌ من كُفرِكُم بخالقِكم[3]، كما تقولُ: أنا مريضُ القلبِ من كذا.

---

(١) في (ف): «لعداد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٨٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٩/ ٧١).

وقيل: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾؛ أي: إلى جانبِ السَّماءِ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهو في ذلك كاذبٌ للمكيدةِ التي همَّ بها، فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لقد كذَبَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ ثلاثَ كذباتٍ، ما منها واحدةٌ إلا وهو يمُاحِلُ ويُناضِلُ بها عن دينِه، وهي: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقولُه لسارةَ: هذه أُختي»(١).

وقيل: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾؛ أي: فكَّرَ في الحِيَلِ(٢)، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فأقنعَهم ذلك ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾. والله أعلَمُ.

***

(٩١ ـ ٩٢) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: ذهبَ إليها في خُفْيةٍ حتَّى لا يُرى.

وقيل: مالَ.

وقيل: أقبلَ عليها.

وقيل: راغَ بقولِه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ حتَّى خلا بها.

وقيل: رجعَ إليها مُراوِغًا قومَه، وسمَّاها آلهةً على زعمِهم.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ وكان عندَها طعامٌ زعَمُوا أنَّها تأكلُ منه.

وقيل: وُضِعَ الطَّعامُ ليُبارَكَ فيه ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ استهزاءً بها وبعابدِيها.

ويحتمِلُ: أنَّما قال ذلك لأنَّ سدَنَتَها كانوا يأكلون ما يُوضَعُ عندَها منَ

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٨)، وعده من العجائب.

الطَّعـامِ، وينطقـونَ عنـد الضَّعَفـةِ عـن لسـانِها؛ يُوهِمُـونَ أنَّها تـأكلُ وتنطـقُ[١].

***

(٩٣) ـ ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾.

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ عَدَّاه بـ(على) لأنَّ (راغ) بمنزلةِ: مالَ، فكما تقولُ في المحبوبِ: مالَ إليه، وفي المكروهِ: مالَ عليه، كذلك: راغَ إليه وعليه.

قولُه: ﴿ضَرْبًا﴾؛ أي: يضربُ ضَرْبًا، فيكونُ مصدرًا لفعلٍ محذوفٍ، وجاز أن يكونَ حالًا.

وقولُه: ﴿بِالْيَمِينِ﴾؛ أي: باليدِ اليُمنَى؛ لأنَّها أقوى على الأعمالِ منَ الشِّمالِ.

وقيل: بالقوَّةِ، كقولِه:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ تلقَّاهـا عَرَابـةُ باليَميـنِ[٢]

وقيـل: باليميـنِ التـي سـبقَتْ منـه، وهـو قولُـه: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٥٧][٣].

***

(٩٤) ـ ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾.

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾: إلى إبراهيمَ عليه السَّلامُ ﴿يَزِفُّونَ﴾ بالفتح: يُسْرِعون.

وقيل: يمشون على مَهَلٍ، وأصلُه من زَفِيفِ النَّعامةِ، وهو ابتداءُ عَدْوِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني» (ص: ٣١٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٠٧)، و«الكامل» (١/ ١٠٨)، وهو من قصيدة في مدح عَرابة بن أوس رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٧٩)، واستغربه.

وقيل: مشيةٌ فيها اختيالٌ، من قولِهم: زُفَّتِ العروسُ إلى زوجِها.

وقُرِئَ: ﴿يُزِفُّون﴾ بالضَّمِّ[١]، وله وجهانِ:

أحدُهما: يُزِفُّونَ دوابَّهم، فحُذِفَ المفعولُ؛ أي: يحملُونها على الزَّفيفِ، قاله أبو عليٍّ في «الحجّةِ»[٢].

والثّاني: أَزَفَّ الرَّجلُ: إذا صارَ إلى حالِ الزَّفيفِ.

***

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ بأيديكُم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: خلقَكُم وخلقَ أعمالَكم.

وقيل: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أصنامَكم.

وقيل: وما تعمَلون منه الأصنامَ[٣]؛ كالخشبِ والفِضّةِ والذَّهبِ.

***

(٩٧) ـ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ﴾؛ أي: لأجلِه ﴿بُنْيَانًا﴾.

مُقاتلٌ: بنَوا له حائطًا منَ الحجرِ، طولُه ثلاثونَ ذراعًا، وعرضُه عشرونَ ذراعًا، ومَلَؤوه منَ الحطبِ، وأوقَدوا فيه النَّارَ، ثمَّ رمَوا به إليها[٤].

---

(١) قرأ بها حمزة، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٥٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٠)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦١٣).

وقيل: بنَوا له أَتُونًا.

وقيل: بنَوا له مثلَ بناءِ التَّنُّورِ.

﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ هي: النَّارِ يُجمَعُ بعضُها إلى بعضٍ.

وقيل: كلُّ نارٍ على نارٍ جحيمٌ.

وتقديرُ الآية: ابنُوا له بُنيانًا، واملَؤُوه نارًا، فألقُوا إبراهيمَ فيها.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ إبراهيمَ لمَّا أُلقِيَ في النّارِ كانت الدَّوابُّ كلُّها تُطفِئُ عنه النّارَ إلا الوَزَغةَ، فإنَّها كانت تنفخُ عليه، فأُمِرَ عليه السَّلامُ بقتلِها»(١).

* * *

(٩٨) ـ ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾.

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾: مكرًا وحيلةً لـمَّا غلبَهم بالحِجاجِ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ قيل: المقهورينَ.

وقيل: المغلوبين في الحجَّةِ.

وقيل: الأسفَلينَ في النَّارِ.

وقيل: أسفَلَ من سافِلينَ غيرِهم، وليس التَّقديرُ: أسفَلَ من إبراهيمَ؛ إذ لـم يكُنْ في أمرِ إبراهيمَ سَفالٌ.

وقيل: ليس أفعلُ هذا للتَّفضيلِ، بل للمُبالغةِ؛ كما قُلنا في: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ

(١) رواه النسائي (٢٨٣١)، وابن ماجه (٣٢٣١)، وروى البخاري (٣٣٥٩) عن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ أَمَر بقتلِ الوَزَغِ، وقال: «كان يَنفُخُ على إبراهيم عليه السَّلامُ»، ورواه مسلم (٢٢٣٧) مختصرًا.

عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والمعنى: علا أمرُ إبراهيمَ لأنَّ النَّارَ لـم تُحرِقْ منه إلا الوَثاقَ، وسَفَلَ أمرُهم لأنَّ الله منعَ النَّارَ التَّحرُّكَ في جهتِه فلم تُداخِلْه، والنَّارُ تحرقُ الأجسامَ بالمُداخلةِ فيها.

* * *

(٩٩) ـ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قالَه حين نجَّاه الله منَ النَّارِ، وقولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: إلى أمرِ ربِّي، وإلى مرضاةِ ربِّي.

وقيل: إلى الشّامِ، كما في قولِه: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقيل: إلى الأرضِ المُقدَّسةِ.

وقيل: إلى حَرَّانَ.

وقيل: مُهاجِرٌ بعمَلي ونيَّتي، مُتجرِّدٌ لعبادةِ ربي، سيهديني إلى مَقصِدي.

وقيل: إنَّما قال ذلك حينَ طُرِحَ في النّارِ؛ أي: ذاهبٌ إلى ما قضى عليَّ ربِّي.

وقيل: معناه: إنِّي ميِّتٌ، كما يُقالُ لمَن ماتَ: ذهَبَ إلى الله(١).

﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى الخلاصِ منَ النَّارِ، وقيل: إلى الجنَّةِ.

وقيل: إلى قولِ: حسبيَ الله ونعمَ الوكيلُ، حكاه الماورديُّ(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٠)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٩) وعزاه لسليمان، ولعله أخذه من خبر رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤١) عَن سُلَيْمَان بن صرد ـ وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ ـ: «أن إبراهيم لما أرادوا أن يلقوه فِي النَّار جعلُوا يجمعون له الحطب... فلمَّا ذُهب به ليطْرَح في النَّار قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فلمَّا طرح في النَّار قال: حسبي الله ونعم الوكيل...». وروى البخاري (٤٥٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل».

وقيل: سيُثَبِّتُني على الهدى[١].

***

(١٠٠) ـ ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الموصوفُ محذوفٌ تقديرُه: أولادًا منَ الصّالحين؛ أي: منَ المُطيعين لك، ويحتمِلُ: من الأنبياءِ.

***

(١٠١) ـ ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾؛ أي: بغلامٍ يبلغُ درجةَ الحُلَماءِ؛ فإنَّ الصَّبيَّ لا يُوصَفُ بالحِلمِ، والحليمُ: الذي لا يُعجِّلُ بالعقوبةِ مع القُدرةِ.

وقيل: بغلامٍ عليمٍ في صِغَرِه حليمٍ في كِبَرِه.

***

(١٠٢) ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ قَوِيَ على أن يسعَى معه في منافعِه.

وقيل: يمشي مع أبيه.

وقيل: بلغَ أن يسعى في عبادةِ الله وطاعتِه.

وقيل: بلغَ مبلغَ الرِّجالِ.

وقيل: كانَ له مع يومئذٍ[٢] ثلاثَ عشرةَ سنةً.

---

(١) ثمة نقص ورقتين في (ن) تبدأ من هنا.

(٢) كذا في (ف)، وحذف (مع) يجعل السياق ظاهراً.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ اختلَفُوا في الذَّبيحِ؛ فذهبَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ عبَّاسٍ، وابنُ عمرَ، ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ، وسعيدُ بنُ المسيِّبِ، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، إلى أنَّه إسماعيلُ عليه السَّلامُ(١).

واستَدَلَّ المُحتجُّ لهذا بقولِه ﷺ: «أنا ابنُ الذَّبيحَين»(٢)؛ فأحدُهما: جدُّه إسماعيلُ، والآخرُ: أبوه عبدُ الله؛ وذلك أنَّ عبدَ المُطَّلبِ نذرَ إن بلغَ بنوه عشرةً أن يذبحَ واحدًا منهم تقرُّبًا، فلما كمَلوا عشرةً أتى بهم البيتَ وضربَ عليهم بالقِداحِ على أن يذبحَ مَن خرَجَ قِدْحُه، وقد كتبَ اسمَ كلِّ واحدٍ على قِدْحٍ، فخرَجَ قِدْحُ عبدِ الله ففداه بعشرةٍ منَ الإبلِ، ثمَّ ضربَ عليه وعلى الإبلِ فخرجَ قِدْحُه ففَداه بعشرةٍ أخرى، إلى أن تمَّتْ مئةً، فخرجَ القِدْحُ على الجُزُرِ فنحَرَها وسنَّ الدِّيةَ مئةً(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٢ ـ ٥٩٨) عن ابن عمر، وابن عباس، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، والحسن، ومحمد بن كعب القرظي، وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية.
وزاد الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٤) أبا الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والربيع بن أنس، والكلبي، قال: وهي رواية عطاء بن أبي رباح وأبي الجوزاء ونصر بن عمران الضُّبَعي ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٤٧) عن عبد الله بن سلام، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٤٠٤٠) عن خوات بن جبير.

(٢) لا أصل له بهذا اللفظ، كما ذكر ابن حجر والزيلعي فيما نقله العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٢٦). وانظر الحديث الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦)، عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله! عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم...، الخبر. قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٥): «هذا حديث غريب جدًّا». وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٦).

واستَدلَّ أيضًا بقولِه عند تمامِ قصَّةِ الذَّبحِ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] بعدَ قولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ فالبشارةُ بالغلامِ غيرُ البشارةِ بإسحاقَ.

واستَدلَّ أيضًا بقولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فيمَن قرأه بالنَّصبِ(١)؛ لأنَّه إذا بُشِّرَ بالولدِ من صُلْبِه عُلِمَ أنَّه لـم يُؤمَرْ بذبحِه.

وذهبَ عليٌّ وابنُ مسعودٍ وكعبُ الأحبارِ إلى أنَّ الذَّبيحَ إسحاقُ(٢)، وإليه ذهبَ أهلُ الكتابِ، واستدَلُّوا بما رُوِيَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِل: أيُّ النَّسبِ أشرفُ؟ فقال: «يوسفُ صِدِّيقُ الله، ابنُ يعقوبَ إسرائيلِ الله، ابنِ إسحاقَ ذبيحِ الله، ابنِ إبراهيمَ

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وحفص، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨٨ ـ ٥٩٢) عن العباس، وابن عباس، وابن مسعود، وكعب، ومسروق، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن أبي الهذيل، وعبد الرحمن بن سابط، وأبي ميسرة.
وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٧) عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن التابعين وأتباعهم: سعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة، والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قال: وهي رواية عكرمة وابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وهو القول الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٨).
ورد ذلك ابن كثير فقال: «وهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه، فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة –والله أعلم ـ حاجة إلى حرف واحد مما عنده، وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده».
وقال الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٩): «وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل».

خليلِ الله»[1]، فأجابُوا عن قولِه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ أنه بُشِّرَ بالغلامِ أوَّلًا، ثمَّ بنُبوَّتِه ثانيًا، وزادوا فقالوا: صَرَّحَ بالمبَشَّرِ به في قولِه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١]، وفي قولِه: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فيُحمَلُ عليه قولُه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾؛ لأنَّ هذا مُبْهَمٌ، وذاك مُفسَّرٌ.

وأجابوا عن قولِه: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أنَّه لـم تكُنِ البشارةُ بيعقوبَ مُتَّصلًا ببشارةِ إسحاقَ اعتبارًا بقراءةِ مَن قرأ ﴿يعقوبُ﴾ بالرَّفعِ.

والأظهرُ أنَّه إسماعيلُ، وأمَّا قولُه في أشرفِ الأنسابِ، فالصَّحيحُ أنَّه قال: «يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»، والزَّوائدُ منَ الرَّواي.

واحتَجُّوا أيضًا بأنَّ قَرنَي الكبشِ كان ميراثًا لولدِ إسماعيلَ عن أبيهم، وكان مَنُوطينِ بالكعبةِ إلى أن احترقَ البيتُ واحترقَ القرنُ في أيامِ ابنِ الزُّبيرِ والحَجَّاجِ[2].

---

(١) بهذا اللفظ ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٤٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٠) إلى أبي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسيأتي قول المصنف أن هذا من زوائد الراوي، وأن المذكور في الصحيح هو الأسماء دون الأوصاف، كما رواه البخاري (٣٣٩٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام».

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٣٧)، وأبو داود (٢٠٣٠)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٢٣) واللفظ له، من طريق سفيان، عن منصورٍ الحَجَبيِّ، حدثني خالي مسافع بن شيبة، عن أُمي صفية بنت شيبة: أن امرأةً من بني سُلَيمٍ وَلَدَت عامَّتهم قالت لعثمانَ بن طلحة: لِمَ دعاكَ النبيُّ ﷺ بَعْد خروجه من البيت؟ قال: قال لي: «إنِّي رأيتُ قَرْنَي الكبش في البيت، فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أَنْ تخمِّرها، فإنه لا ينبغي أنْ يكون في البيت شيءٌ يَشْغَلُ مُصلِّيًا». زاد الأزرقي: قال عثمانُ: وهو الكبشُ الذي فُدِي به إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام. وفي رواية أحمد: قال سفيانُ: لمْ تَزَلْ قرنَا الكبش في البيت حتى احترق البيتُ فاحترَقَا. ورجاله ثقات.

وكانَ أبو عمرِو بنُ العلاءِ يقولُ: متى كان إسحاقُ بمكَّةَ؟ وإنَّما كان إسماعيلُ، وهو الذي بنى البيتَ مع أبيه كما قالَ الله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، والمنحرُ بمكّةَ[1]. والله أعلَمُ.

قولُـه: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ إنَّمـا قـال بلفظِ المُسـتقبلِ لأنَّـه كان يرى ذلـك ثـلاثَ ليـالٍ، والمعنى: رأيـتُ رُؤيـا أُمِرْتُ فيهـا بذَبْحِـك، ورُؤْيـا الأنبياءِ في المنـامِ وحيٌ.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قُرِئَ بفتحتَين، وقُرِئَ بضمِّ التَّاءِ وكسرِ الرَّاءِ[2]؛ فمَن فتحَ فالمعنى: ما عندَكَ منَ الرَّأيِ؟

ومَن ضمَّ التَّاءَ فالمعنى: ما تُشِيرُ؟ وقيل: ماذا تُرِينِيهِ من صبرِك أو جزَعِك؟

و(رأيتُ) هذا منَ الرَّأيِ، كما تقولُ: فلانٌ يَرى رأيَ أبي حنيفةَ، وهو مُتعدٍّ إلى مفعولٍ واحدٍ، فنُقِلَ بالألفِ فتعدَّى إلى المفعولين، وليس من رُؤيةِ العينِ، ولا من رُؤيةِ القلبِ التي بمعنى: العلمِ.

﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: منَ الذَّبحِ.

وقيل: كان نذَرَ ذبحَه فنسيَ، ثمَّ رأى في المنامِ فتذكَّرَ.

وقيل: افعَلْ ما تُؤمَرُ بعد هذا، ولهذا جاء بلفظِ المُستقبلِ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾؛ أي: على الذَّبحِ، وقيل: على قضاءِ الله.

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٢) قرأ بهذه حمزة والكسائي، والباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(١٠٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: سلَّمَ الذَّبيحُ نفسَه، وسلَّمَ إبراهيمُ ابنَه.

وقيل: ﴿أَسْلَمَا﴾: اتَّفقا على أمرٍ واحدٍ.

وقيل: استَسْلَما لأمرِ الله.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: صرَعَه على جبينِه، والجبينُ: أحدُ جانبَي الجبهةِ.

وقيل: كبَّهُ على وجهِه(١)؛ لأنَّ الذَّبيحَ قال له: اذبَحْني وأنا ساجدٌ، ولا تنظُرْ إلى وجهي، فعسى أن ترحَمَني فلا تذبحَني(٢).

* * *

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؛ أي: عَمِلْتَ بما رأيتَ في المنامِ؛ أي: صَدَّقْتَ الأمرَ في رُؤياكَ، وهذا دليلٌ على أنَّه لـم يكُنْ مأمورًا بأكثرَ مـمَّا وُجِدَ منه، وهو الإضجاعُ على الجنبِ والتَّلُّ على الجبينِ.

---

(١) في (ف): «كبه لوجهه».

(٢) قوله: «فعسى أن ترحَمَني فلا تذبحَني» كذا ذكر المصنف، وفيه نظر؛ فهذه العبارة تحتمل أن تكون مستأنفة، فيقال: كان الذبيح يعلم أن هذا من أمر الله، وأن تنفيذه على الخليل واجب، فكيف يرتجي أن يترك تنفيذ أمر الله وهو نبي وأبوه نبي؟ ولكن العبارة تحتمل أن تكون متصلة بالنهي، فيكون المعنى: لا تنظر، فإن النظر قد يكون سبباً في رجاء ما لا ينبغي، وهذا هو المعنى المراد قطعاً؛ فقد روى عنه أنه قال: «كُبَّنِي عَلى وَجْهِي فإنَّكَ إذا نَظَرْتَ في وَجْهي رَحِمْتَني، وأدْرَكَتْكَ رِقَّةٌ تحُولُ بَينك وبيْنَ أَمْرِ الله» رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٦)، والطبري في «التاريخ» (١/ ٢٧٥)، عن محمد بن إسحاق بن يسار، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٦ـ٣٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٩).

وقيل: كانَ مأمورًا بذبحِ الولدِ بشرطِ التَّخليةِ والتَّمكينِ فلم يُمكَّنْ؛ لأنَّه أمَرَّ السِّكِّينَ على حلقِه فانقَلَبَ، وأرادَ أن يطعنَه به فانثَنَى.

وقيل: جعلَ الله على حلقِه صفحةً من نُحاسٍ.

وقيل: كان يقطعُ فيلتئِمُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الفِداءَ وقع لعدمِ الذَّبحِ.

وقيل: رُؤيا الأنبياءِ تنقسمُ قسمَين:

رُؤيا تقعُ على ما رأى كما رأى النَّبيُّ محمَّدٌ ﷺ أنَّه يدخلُ المسجدَ الحرامَ، فكانَ كما رأى؛ لقولِه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

والثّاني: أن تقعَ بخلافِ ذلك، كما رأى يوسفُ عليه السَّلامُ أحدَ عشرَ كوكبًا، فكانَ إخوتَه[١].

ورُؤيا إبراهيمَ عليه السَّلامُ من قَبيلِ الثَّاني، ولم يأمَنْ أن يكونَ منَ القَبيلِ الأوَّلِ، فأخذَ بظاهرِه، فأخبرَه الله أنَّه بما قد فعلَ قد صدَّقَ الرُّؤيا، ثمَّ نُودِيَ: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ دُونَك هذا الذِّبحَ فهو فِداءٌ له، فالتَفَتَ إبراهيمُ فإذا هو بكبشٍ أملَحَ ينحطُّ منَ الجبلِ، فخلَّى ابنَه، وأخذَ الكبشَ فذبحَه.

وقيل: هو قُربانُ ابنِ آدمَ الذي تُقُبِّلَ منه.

الحسنُ: وعلٌ نزلَ منَ الجبلِ[٢].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٣)، وعده من العجائب. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢١) عن ابن عباس، قال: «الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه، هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء، فذبحه، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه، فكان مخزونًا حتى فدى به إسحاق».

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾: النِّعمةُ الظَّاهرةُ.

وقيل: الاختبارُ الظَّاهرُ، والامتحانُ الشَّديدُ، ولو تـمَّتْ تلك الذَّبيحةُ لصارَتْ سُنَّةً وذبحَ النَّاسُ أولادَهم.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَفَدَيْنَـٰهُ﴾ الفِداءُ: جَعْلُ الشَّيءِ مكانَ غيرِه لدفعِ الضَّررِ عنه.

﴿بِذِبْحٍ﴾ الذِّبْحُ: اسمٌ لِـمَا يُذْبَحُ، كالطِّحْنِ لِـمَا يُطْحَنُ.

﴿عَظِيمٍ﴾ صَغُرَ جِرْمُ أشكالِه بالإضافةِ إلى جِرْمِه.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾ لأنَّه رَعى في الجنَّةِ أربعينَ خريفًا.

وقيل: ﴿عَظِيمٍ﴾؛ أي: مُتَقَبَّلٍ.

وقيل: لأنَّه فُدِيَ به نبيٌّ.

وقيل: هو شيءٌ أحدَثَه الله ذلك الوقتَ.

ويحتمِلُ: أنَّه إنَّما وصفَه بالعِظَمِ لبقاءِ أثرِه إلى يومِ القيامةِ؛ لأنَّه ما من سَنةٍ إلَّا ويُذْبَحُ بسببِ ذلك منَ الأنعامِ ما لا يُحصيه إلَّا اللهُ.

* * *

(١٠٨ ـ ١١٣) ـ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾: على إبراهيمَ ﴿فِي الْآخِرِينَ [1] ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ سبق في قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ.

﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ولم يقُلْ: (إنا) كما في غيرِه؛ لِـمَا تقدَّم ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٥]، ولأنَّه بقيَ منَ القِصّةِ شيءٌ، وسائرُ ذلك وقعَ بعد تمامِ القِصّةِ.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سبق ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾: مَن جعلَ الذَّبيحَ إسماعيلَ قال: وبشَّرناه بإسحاقَ بعد إسماعيلَ، ومَن جعلَ الذَّبيحَ إسحاقَ قال: بُشِّرَ بنُبوَّتِه، وقد كان بُشِّرَ بمولدِه.

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ ﴾: على إبراهيمَ ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾.

وقيل: على الغلامِ المُبشَّرِ به وعلى إسحاقَ، وهو ما رُزِقَا من الذُّرِّيةِ الصّالحةِ التي تُوجَدُ قرنًا بعد قرنٍ إلى قيامِ السّاعةِ.

وقيل: خرجَ من صُلبِ إسحاقَ ألفُ نبيٍّ؛ أوَّلُـهم يعقوبُ، وآخرُهم عيسى عليهم السَّلامُ.

وقيل: جعَلْنا فيهما وفي نسلِهما البركةَ والزِّيادةَ، تقولُ: بارَكَ الله فيك وعليك.

وقيل: معنى ﴿باركنا﴾: بقَّينا عليهم نعِمَنا، والبركةُ: البقاءُ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾؛ أي: في أولادِهما المؤمنون والظّالمونَ، وهم الكافرونَ والفاسقونَ.

---

(١) هنا ينتهي النقص في (ن).

وللعلماءِ في الذَّبحِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أُمِرَ بالذَّبحِ ثمَّ نُسِخَ.

والثّاني: أنَّه أمرٌ غيرُ ممتدٍّ، فلا يحتمِلُ النَّسخَ.

والثّالثُ: أنَّه أتى بما أُمِرَ به على ما سبقَ بيانُه.

* * *

(١١٤ ـ ١١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بالنُّبوَّةِ، المَنُّ: قطعُ الأذى بالمِنَّةِ[1]، ومنه: المَنُونُ.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيلَ ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قيل: من الغرقِ. وقيل: من تعذيبِ فرعونَ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ يعودُ إلى موسى وهارونَ وقومِهما، وقد تقدَّمَ ذكرُ القومِ.

﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على فرعونَ وقومِه.

* * *

(١١٧ ـ ١٢٢) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: التَّوراةَ يستبينُ فيه الحقُّ ويظهرُ، وبانَ وأبانَ واستَبانَ بمعنًى.

---

(١) في (ف): «بالنعمة».

﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: دينَ الله الإسلام؛ أي: أثبَتْناهما عليه.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في إلياسَ:

فذهبَ الجمهورُ إلى أنَّه نبيٌّ من بني إسرائيلَ بُعِثَ بعد موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: كانَ من ولدِ هارون عليه السَّلامُ.

قتادةُ: إلياسُ اسمٌ لإدريسَ[١].

وفي حرفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (وإنَّ إدريسَ لَـمِنَ المُرسَلين)، (سلامٌ على إِدْراسين)[٢].

وفي حرفِ أُبَيٍّ رضي الله عنه: (وإنَّ إيليسَ لَـمِنَ المُرسَلين) (سلامٌ على إيليسين)[٣].

وقيل: كانَ له اسمانِ كيعقوبَ وإسرائيلَ.

---

(١) لم أجده عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٠) ثم قال: وإلى هذا ذهب عكرمة، قال: وتفرد عبد الله وعكرمة بهذا القول.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٢٤).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٤).

وحكى الثَّعلبيُّ وغيرُه: أنَّ إلياسَ نبيٌّ من سبطِ هارونَ، بعثَه الله إلى بني إسرائيلَ، وكان فيهم ملكٌ يقالُ له: أجبٌ، وله امرأةٌ يقالُ لها: إزبيل، وكانت تبرزُ للنَّاسِ كما يبرزُ زوجُها وتجلسُ للحكمِ كما يجلسُ، فأتاهما إلياسُ ودَعاهما إلى الله فأبَيا عليه، وهَـمَّا بقتلِه، فاختفَى منهما سبعَ سنينَ، وكان اليسَعُ خليفتَه، وآلَ أمرُه إلى أن أُوحِيَ إليه: اخرُجْ إلى موضعِ كذا فما جاءكَ فاركَبْه ولا تهَبْه، فجاءَه فرسٌ من نارٍ فوثَبَ عليه وناداه خليفتُه اليسعُ بنُ أخطوبَ: يا إلياسُ ما تأمُرُني؟ فرمى إلياسُ إليه بكسائِه منَ الجوِّ، وكان ذلك علامةَ استخلافِهِ إيّاه على بني إسرائيلَ، ورفعَ الله إلياسَ من بين أظهُرِهم، وقطعَ عنه لذَّةَ المطعمِ والمشربِ وكساه الرِّيشَ، فكانَ إنسيًّا ملكيًّا، أرضيًّا سماويًّا(١).

وقيل: بُعِثَ إلياسُ بعد حِزْقيلَ لمَّا عظُمَتِ الحوادثُ في بني إسرائيلَ.

وقيل: إلياسُ مُوكَّلٌ بالفَيافي، كما وُكِّلَ الخضِرُ بالبحارِ، وهما آخرُ مَن يموتُ من بني آدمَ(٢).

والحسنُ يقولُ: قد هلَكَ إلياسُ والخضرُ، ولا يقولُ ما يقولُ النّاسُ: إنَّهما حيَّانِ، والله أعلَمُ(٣).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٤٠٢ ـ ٤١٦) في خبر طويل جدًّا عن ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٦) عن ابن إسحاق. وهو بلا شك من خرافات الإسرائيليات.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب. قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٧): «واختلف العلماء هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا يقول، ويقبِّح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائه. وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل =

(١٢٤) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ الله بالإيمانِ به، وقيل: معناه: اتَّقُوا اللهَ.

* * *

(١٢٥) ـ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قيل: منَ الدُّعاءِ الذي هو الطَّلبُ؛ أي: تطلُبونَ الخيرَ منَ الصَّنَمِ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وقيل: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ إلـهًا، وتُعْرِضُونَ عن أحسنِ الخالقين.

وقيل: معنى ﴿أَتَدْعُونَ﴾: أتُسَمُّونَ الصَّنمَ إلـهًا؟

وفي «بعل» أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه اسمُ صنمٍ لقومٍ كانوا يسكُنونَ موضِعًا يُقالُ له: بك، فرُكِّبا فصارَ: بَعْلَبَكَّ، فبعثَ الله إليهم إلياسَ.

وقيل: اسمُ امرأةٍ عبدَها قومٌ[1].

وقيل: البعلُ: الرَّبُّ.

وقيل: البعلُ: الرَّبُّ المُمَلَّكُ، كالزَّوجِ ربُّ البُضعِ، وهو مُملَّكٌ.

وقيل: بعل: تنِّينٌ عبدَه أهلُ ذلك الزَّمانِ.

وقولُه: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: المُصوِّرين، وقيل: المُقَدِّرين، وقد سبقَ.

* * *

= عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»؟» رواه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٢٦) ـ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ النَّصبُ على البدلِ من ﴿أَحْسَنَ﴾، ولا يجوزُ الوصفُ كما ذهبَ إليه كثيرٌ منَ المُفسِّرين، والرَّفعُ[1] على الاستئنافِ، والمعنى: اللهَ مُربِّيكم ورازِقكم ومُربِّيَ آبائِكم وأجدادِكم إلى حيثُ ينتَهي ورازِقَهم.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: كَذَّبَه قومُه ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذابِ، والإحضارُ عند الإطلاقِ لا يكونُ إلا في[2] الشَّرِّ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: عُرِفَ بالقرينةِ أنَّه للشَّرِّ[3].

* * *

(١٢٨) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الاستثناءُ من قولِه: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، وقيل: منَ المُحضَرين.

* * *

(١٢٩ ـ ١٣٠) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه لغةٌ في إلياس، كسينا وسينينَ، ومِيكالَ وميكائيلَ.

والثَّاني: أصلُه: إلياسيِّين، بياءَي النَّسبِ، ثمَّ حُذِفَ كـ ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨][4].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم (اللهُ ربُّكم وربُّ آبائكم)، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ف): «عند».

(٣) في (ف): «الشر».

(٤) واعترضه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠) بقوله: «لو كان جمعاً لَعُرِّفَ بالألفِ واللاَّم»، لكنه =

وقُرِئَ: ﴿آلِ ياسينَ﴾[1]؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿يس﴾ اسمُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه، وآلُه: عِترتُه والمؤمنون.

وقيل: على آلِ دينِ ياسين؛ يعني: المُؤمنين.

وقيل: ﴿إِلْ﴾ زيادةٌ؛ أي: سلامٌ على يس، وهو محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: يس: اسمُ كتابٍ من كتُبِ الله، فصارَ كقولِك: سلامٌ على آلِ القُرآنِ، حكاه أبو عليٍّ الـجُبَّائيُّ[2].

* * *

(١٣١ ـ ١٣٢) ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

* * *

(١٣٣ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ سبق.

= ذهب إليه في قراءة: (على الْياسين) بالوَصْل، فقال: «على أنه جمعٌ يُراد به إلياسُ وقومُه؛ كقَوْلهم: الخُبيبُونَ والمُهَلَّبُونَ».

والقراءة بالوصل هي قراءة الحسن كما في «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٤١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٩٤)، وزاد ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٢٣) نسبتها لابن محيصن، وعكرمة بخلاف، وأبي رجاء.

(١) قرأ بها نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٤)، وعده من العجائب.

(١٣٧ ـ ١٣٨) ـ ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ ﴾؛ أي: تَمُرُّونَ في أسفارِكُم على ديارِهم ليلًا ونهارًا.

وقيل: بكرةً وعشيًا؛ لأنَّ سدومَ في طريقِ الشّامِ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنَّ مَن فعلَ ذلك بهم قادرٌ على أن يفعلَ بكم مثلَ ما فعلَ بهم.

إنْ قيلَ: لِمَ لَمْ يختِمْ قصَّةَ لوطٍ ويونسَ بالسَّلامِ أُسوةً بمَن تقدَّمَ منَ الأنبياءِ في السُّورةِ؟

قُلنا: لأنَّه لمَّا قال: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فكأنَّه قد قالَ: سلامٌ عليهما؛ لأنَّ الله قد سلَّمَ على جميعِ المُرسلين آخرَ السُّورةِ فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨١]، فاكتَفَى بذلك عن ذكرِ كلِّ واحدٍ مُنفردًا بالسَّلامِ، وأمَّا إلياسُ؛ فمنَ القبيلِ الأوَّلِ فيمَن جعلَ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ لغةً في ﴿إِلْيَاسَ﴾، ومَن جعلَه غيرَه أو قرأ ﴿آلِ ياسينَ﴾ فمنَ القَبيلِ الثّاني. والله أعلَمُ.

* * *

(١٣٩ ـ ١٤٠) ـ ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ ﴾: هرَبَ.

ابنُ عيسى: الآبِق: الفارُّ إلى حيثُ لا يهتَدي إليه الطَّالبُ، فشُبِّهَ يونسُ بالفارِّ من مولاهُ[1].

وقيل: أبَقَ: خرَجَ. وقيل: فَزِعَ. وقيل: تباعَدَ.

﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ، وقيل: المُجهَّزِ.

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠) بلا نسبة.

وكان يونسُ عليه السَّلامُ وعدَ قومَه العذابَ، فلمَّا تأخَّرَ العذابُ عنهم خرَجَ كالمُتَشَوِّرِ[١] منهم، فقصدَ البحرَ وركبَ السَّفينةَ.

وقيل: لـمَّا وعدَهُم بالعذابِ خرجَ من بينِ أظهُرِهم كعادةِ الأنبياءِ إذا نزلَ بقومِهم العذابُ، وكان ذلك بغيرِ إذنٍ منَ الله، وقد سبق.

* * *

(١٤١) ـ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿فَسَاهَمَ﴾: قارَعَهم مرَّةً، وقيل: ثلاثَ مرَّاتٍ. وقيل: سبعينَ مرَّةً.

والمُساهمةُ: إلقاءُ السِّهامِ على جهةِ القُرعةِ.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾؛ أي: فوقعَ السَّهْمُ عليه، فكانَ منَ المقروعين المغلوبين بالحجّةِ، تقولُ: دَحَضَتْ حُجَّتُه فهي داحِضةٌ، وأدحَضْتُ زيدًا؛ إذا أدحَضْتَ حجَّتَه وغلبتَه.

ابنُ عيسى: المُدْحَضُ: المُلقَى في البحرِ، والدَّحْضُ: الزَّلَقُ[٢].

* * *

(١٤٢) ـ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: ابتلَعَه، وقيل: أخذَه بفيه كاللُّقمةِ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أتى بما يُلامُ عليه.

وقيل: يلُومُ نفسَه.

وقيل: يُلامُ. والوجهُ الأوَّلُ.

* * *

---

(١) المتشوِّرُ: الخجلان. انظر: «تاج العروس» مادة: (ش و ر)، (١٢/ ٢٥٧).

(٢) ذكر نحوه ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠) بلا نسبة.

(١٤٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: المُصلِّين قبلَ ذلك.

وقيل: هو من قولِه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقيل: منَ التَّائبين.

وقيل: منَ العابدين.

وقيل: منَ المُصلِّين في بطنِ الحوتِ.

* * *

(١٤٤) ـ ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: بقيَ هو والحوتُ إلى يومِ البعثِ.

والثّاني: يموتُ الحوتُ ويبقى هو في بطنِه.

والثّالثُ: يموتانِ ثمَّ يُحشَرُ يونسُ من بطنِه.

فلم يلبَثْ لكونِه منَ المُسبِّحينَ في بطنِ الحوتِ إلّا ساعةً منَ الزَّمانِ عند الحسنِ(١).

وقيل: التقَمَه ضُحًى ولفَظَه عشيَّةً.

قتادةُ: ثلاثةَ أيامٍ(٢).

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣١٣) بلفظ: «لم يلبث إلا قليلًا وأخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٦٨).

وقيل: سبعةَ أيامٍ.

وقيل: أربعينَ يومًا، وعليه الأكثَرون.

قال أبو عليٍّ: ستَّةَ أشهرٍ[1].

***

(١٤٥) ـ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾: رَمَيناه بالمكانِ الخالي الذي لا شجرَ فيه ولا بناءَ.

وقيل: العَراءُ: الفضاءُ.

وقيل: العَراءُ: الأرضُ.

وقيل: السّاحلُ.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: مريضٌ مـمَّا نالَه من الْتِقامِ الحوتِ.

وقيل: صارَ كبدنِ الأطفالِ في الرِّقَّةِ والضَّعْفِ.

وقيل: كالفرخِ المُمَعَّطِ[2].

***

(١٤٦) ـ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ أكثرُهم على أنَّها القَرْعُ، واليَقْطِينُ من الشَّجرِ: ما له ورقٌ عريضٌ مُنبسطٌ على وجهِ الأرضِ.

ويحتمِلُ أنَّه خُصَّ بالقَرْعِ؛ لأنَّه لـمَّا نُبِذَ بالعَراءِ كان في غايةِ الرِّقَّةِ واللَّطافةِ،

---

(١) لعلّه الجبائي، فالمصنف ينقل عنه وعن الفارسي، ولم أقف على قوله، وليس عليه وعلى ما قبله دليل، وليس لنا بها حاجة. قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١٢٤): «ذكر في مدة لبثه في بطن الحوت أقوال متكاذبة، ضربنا عن ذكرها صفحاً».

(٢) أي: لا يغطي جلده شيء. انظر: «لسان العرب» مادة: (م ع ط)، (٧/ ٤٠٥).

فكان يُؤذيه وقوعُ الذُّبابِ عليه، وورقُ القرعِ لا يحومُ حولَه الذُّبابُ ولا يقعُ عليه[١]. والله أعلَمُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكانت تختلفُ إليه وَعلةٌ يشربُ من لبنِها حتَّى قوِيَ[٢].

ثمَّ يبِسَتِ الشَّجرةُ فبكى حُزنًا عليها، فأُوحِيَ إليه: أتبكي على هلاكِ شجرةٍ ولا تبكي على هلاكِ مئةِ ألفٍ أو يزيدون[٣]؟

* * *

(١٤٧) ـ ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: هم القومُ الذين بُعِثَ إليهم قبلَ الالتقامِ، فيكونُ (قد) مُضمَرًا.

والثّاني: أُرْسِلَ بعد الخروجِ من بطنِ الحوتِ إلى قومٍ غيرِ الأُوَلِ.

وقيل: يجوزُ أن يكونَ أُرسِلَ إلى الأوَّلينَ بشريعةٍ أُخرَى فآمَنُوا به[٤].

قولُه: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ثلاثينَ ألفًا[٥].

وقيل: بضعةً وثلاثينَ ألفًا[٦]. وقيل: بضعةً وأربعينَ. وقيل: سبعينَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٥)، وعده من العجائب.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٦) عن سعيد بن جبير، وذكره البغويُّ في «تفسيره» (٤/ ٤٨) عن مقاتل.

(٤) في (ف): «بها».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٧) بلفظ: «بل يزيدون، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفًا»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١) بلفظ: «يزيدون ثلاثين ألفًا».

(٦) «ألفًا»: ليس في (ف).

وجاء مرفوعًا: عشرينَ ألفًا[١].

ويحتمِلُ: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرورِ الزَّمانِ؛ لأنَّه بقيَ فيهم مدَّةً؛ لقولِه: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وفي ﴿أَوْ﴾ أقوالٌ:

أحدُها: بمعنى الواوِ.

والثّاني: بمعنى: بل.

والثّالثُ: هو للإبهامِ على أصلِه في حقِّ المُخاطَبين؛ أي: لو رآهُم واحدٌ منكم لقالَ: مئةُ ألفٍ أو يزيدون، وكذلك ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، وهذا مذهبُ النُّحاةِ.

وقيل: كان الفرضُ عليه أن يدعُوَ مئةَ ألفٍ، ثمَّ خيَّرَه فيما بعدُ؛ أي: أو يزيدون إنْ شاءَ.

قُلْتُ: يمتنعُ أن يكونَ ﴿يَزِيدُونَ﴾ عطفًا على ﴿مِائَةِ أَلْفٍ﴾ من وجهَينِ:

أحدُهما: أنَّ قولَه: ﴿يَزِيدُونَ﴾ فعلٌ، والفعلُ لا يُعْطَفُ على الاسمِ.

والثّاني: أنَّ ﴿مِئةِ﴾ مجرورٌ بـ﴿إِلَىٰ﴾، والفعلُ لا يليه حرفُ الجرِّ، بل التَّقديرُ: إلى مئةِ ألفٍ أو ذَوي عددٍ يزيدونَ على مئةِ ألفٍ.

ويحتمِلُ أيضًا أنَّ التَّقديرَ: أرسَلْناه إلى مئةِ ألفٍ، أو أرسَلْناه إلى قومٍ يزيدونَ على مئةِ ألفٍ، و﴿أَوْ﴾ للإبهامِ في حقِّ المُخاطَبين كما سبَق. والله أعلَمُ.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَآمَنُوا﴾ به وبما أُرسِلَ به، وعلى القولِ الأوَّلِ: جدَّدُوا إيمانَهم.

---

(١) روى الترمذي (٣٢٢٩) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: «عشرون ألفًا»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب». وفي سنده ضعيف ومجهول.

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾: بقَّيْناهُم في لذَّةٍ وراحةٍ ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾: إلى مُنتَهى آجالِـهم.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾: سَلْ يا محمّدُ أهلَ مكّةَ، والاستفتاءُ: طلبُ الفتوى، وهي: جوابُ المسألةِ؛ أي: سَلْهُم سؤالَ توبيخٍ وتجهيلٍ؛ يعني: بني خُزاعةَ؛ لأنَّهم زعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾؛ أي: أيُّ قياسٍ يقتَضي أن يختارَ سُبحانَه لنفسِه الأنقَصَ ويجعلَ لكم الأفضلَ؟!

* * *

(١٥٠) ـ ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾.

﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾: حاضِرون خَلْقَنا إيّاهُم، فهم يشهَدُونَ عن مُشاهدةٍ وعِيَانٍ.

* * *

(١٥١ ـ ١٥٢) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لـم يقولوا عن قياسٍ ولا مُشاهدةٍ، بل عن كذبٍ محضٍ يقولون: ولدَهم الله، ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في هذا وفي سائرِ ما يتديَّنونَ به.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾.

﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ مَن وصلَ الألفَ جعلَه بدلًا من قـولِه: ﴿وَلَدَ

﴿ٱللَّهُ﴾، أو بإضمارِ القولِ على تقديرِ: (يقولون: اصْطفَى البناتِ على البنينَ). ومَن قطعَ الألفَ جعلَه استفهامًا ووصلَه بقولِه: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[1].

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ والاصطِفاءُ: أخذُ صفوةِ الشَّيءِ؛ أي: فكيفَ أخذَ الشَّائبَ الكَدِرَ وتركَ الصَّفْوَ الخالِصَ؟

* * *

(١٥٤ ـ ١٥٥) ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في هذه الدَّعوى ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لربِّكم ما لا ترضَونَه لأنفُسِكم؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّه واحدٌ لا ولدَ له؛ لا ذكرًا ولا أُنثَى؟

* * *

(١٥٦ ـ ١٥٧) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ كتابٌ من عندِ الله فيه أنَّ الملائكةَ بناتُ الله.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾؛ أي: فأتُوا بذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكُم؛ أي: بقيَ في القسمةِ وجهٌ ثالثٌ لـمَّا بطلَ القياسُ والمُشاهدةُ، وهو: إخبارُ صدقٍ؛ أي: في كتابٍ من عندِ الله، وليس عندَكم ذلك أيضًا، فقد بطلَ حجَّتُكم وظهرَ عِنادُكم.

* * *

---

(١) قرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة، واختلف عن ورش؛ فروى الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ الباقون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠).

(١٥٨) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الملائكةِ ﴿نَسَبًا﴾ حينَ قالوا: إنَّهم بناتُ الله، وسمَّوا الملائكةَ جِنَّةً لاستِتارِهم عن العيونِ.

وقيل: إنَّ أهلَ الجاهليّةِ كانوا يُسمُّونَ الملائكةَ جِنّةً.

وقيل: هم بطنٌ منَ الملائكةِ.

وقيل: سُمُّوا جِنَّةً لأنَّهم في الجنانِ.

وجماعةٌ منَ المُفسِّرين على أنَّ الجِنَّةَ هاهنا: الجِنُّ المعروفُ.

وقال الكلبيُّ: قالوا: الباري سبحانَه تزوَّجَ إلى الجنِّ فخرجَ منها الملائكةُ[1].

عِكرمةُ: قالوا: سَرَواتُ الجِنِّ بناتُ الرَّحمنِ[2].

وقال بعضُ الكفّارِ: إبليسُ والباري أخوانِ، والنُّورُ والخيرُ منَ الله، والظُّلمةُ والشَّرُّ من إبليسَ[3]، تعالى الله عمَّا يقولُ الظّالمونَ علُوًّا كبيرًا.

وقال الحسنُ: أشرَكُوا الشَّيطانَ في عبادةِ الله، فهو النَّسبُ الذي جعلوا بين الله وبين الجِنّةِ[4].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٧٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٢١) عن الكلبي من قول الزنادقة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٣)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٥٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ السُّدِّيُ والزَّجَّاجُ والفرَّاءُ: علِمَتِ الملائكةُ إنَّ الذين قالوا هذا القولَ لمُحضَرون في النّارِ(١).

مجاهدٌ: أي: عَلِمَتِ الملائكةُ إنَّهم لمُحضَرون للحسابِ(٢)، والقولُ هو الأوَّلُ.

ومَن قال: إنَّ الجِنَّةَ هم الجِنُّ المعروفُ قال: ولقد علِمَ الجِنُّ الذين نسبُوهم إلى الله أنَّهم مُعذَّبون، وهذا فيه كلامٌ، أو يُحمَلُ على المُستقبلِ.

***

(١٥٩) ـ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزَّهَ نفسَه عن الولدِ والوالدِ والأخِ والصّاحبةِ.

***

(١٦٠) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ تقدَّمَ، تقديرُه: لمُحضَرونَ إلّا عبادَ الله المُخلَصين، فإنَّهم لا يُحضَرون.

***

(١٦١ ـ ١٦٣) ـ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: مِنَ الآلهةِ، وهذا خطابٌ لأهلِ مكّةَ مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٦٦)، وقال: «كذا قال السدي، وهو صحيح، وكذا كل ما في السورة من محضرين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١).

﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾؛ أي: مُهلِكيـن، وقيـل: الفاتـنُ: الدّاعـي إلـى الضَّـلالِ بتزيينِـه.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾: داخلُ النَّارَ، والمعنى: إلَّا مَن أضلَّه الله.

وقيل: إلَّا مَن تولَّيتُم.

وقيل: إلَّا مَن قَدَّرَ اللهُ له أن يصلَى الجحيمَ.

وقيل: إلّا مَن في علمِ الله أنَّه يصلَى الجحيمَ.

الحسنُ: معناه: يا بني إبليسَ ليس لكم سلطانٌ إلّا على مَن هو صالِ الجحيمِ(١)؛ أي: يُعذَّبُ بنيرانِها.

* * *

(١٦٤ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وما منَّا أحدٌ إلّا له مقامٌ معلومٌ، فيه أقوالٌ:

الجمهورُ: على أنَّه كلامُ الملائكةِ؛ أي: وما منَّا مَلَكٌ إلّا له في السَّماءِ مَقامٌ معلومٌ يعبدُ الله هناك.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ أي: نقِـفُ صُفوفًـا فيهـا، وقيل: حولَ العـرشِ. وقيل: في الهواءِ.

وقيل: الصّافُّونَ في الصَّلاةِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المُنَزِّهون المُمَجِّدُون، فمن أينَ استحقَقْنا العبادةَ عند الكفَّارِ؟

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٨).

وعن عائشةَ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قالَ: «ما في السَّماءِ الدُّنيا موضعُ قدمٍ إلّا عليه مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ»[(١)].

قتادةُ: كان يُصلِّي الرِّجالُ والنِّساءُ معًا حتَّى نزلَتْ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، فتقدَّمَ الرِّجالُ وتأخَّرَ النِّساءُ، قال: وكانوا يُصَلُّونَ فُرادَى حتَّى نزلَتْ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[(٢)].

وقيل: المُضْمَرون في هذا هو النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون، ومَن خاطبَهم منَ الكفَّارِ، يقولُ: ليس منَّا ومنكم إلَّا مَن له في الآخرةِ مَقامٌ معلومٌ كقولِه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآياتِ الأربعَ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١]، وكذلك قولُه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ أي: النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون؛ أي: نحنُ الصّافُّون لله في الصَّلاةِ، ونحنُ المُسبِّحونَ المُنزِّهونَ اللهَ عن السُّوءِ.

وقيل: ما مِنَّا يومَ القيامةِ إلّا مَن له مقامٌ معلومٌ بينَ يدَي الله[(٣)].

* * *

(١) رواه المروزي في «الصلاة» (٢٥٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١٨٢٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨). وروى الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...»، قال الترمذي: «حديث حسن غريب... ويروى عن أبي ذر موقوفًا».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦)، واستغربه.

(٣) عزاه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٦) للكوفيون ثم قال: «وهذا لا يجوز عند البصريين».

(١٦٧ ـ ١٧٠) ـ ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى كفَّارِ مكّةَ، كانوا يقولون: لو جاءنا كتابٌ كما جاء غيرَنا منَ الأوَّلين لأخلَصْنا عبادةَ الله.

وقيل: لو أنَّ عندَنا علمًا كما للأوَّلين من كتابٍ ورسولٍ.

وقيل: المُرادُ بالأوَّلين النَّبيُّون والصّالحون، وهو قولُه: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: فلمَّا جاءَهُم محمَّدٌ ﷺ ومعه القرآنُ، وفيه ذِكرٌ منَ الأوَّلينَ وذِكرٌ منَ الآخِرين ﴿كفَروا به﴾، الهاءُ يعودُ إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى الذِّكرِ.

وقيل: للآيةِ وجهٌ آخرُ؛ وهو: أنَّهم قالوا: لو علِمْنا حالَ آبائِنا وما آلَ إليه أمرُهم وكانَ ذلك كما يقولُه محمَّدٌ ﷺ لآمنَّا به وأخلَصْنا، لكِنَّا على شكٍّ مـمَّا يقولُه فلا نُصدِّقُه، وهو قولُه: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾.

ثمَّ أوعدَهُم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِهم[1].

* * *

(١٧١) ـ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: سبقَ وعدُنا إيّاهُم بالنُّصْرةِ، وهو قولُه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [غافر: ٥١].

وقيل: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ ما ذُكِرَ من قولِه:

---

(١) في (ف): «كفرهم».

(١٧٢ ـ ١٧٣) ـ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ بالحجَّةِ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، ولم يُقْتَلْ نبيٌّ في معركةٍ وقتالٍ، وإنَّما قُتِلَ منهم مَن لم يُؤمَرْ بالقتالِ.

وقيل: هم المنصورون بالحجَّةِ والغالبون بالسُّلطانِ.

الكلبيُّ: إنْ لم يُنصَروا في الدُّنيا نُصِروا في الآخرةِ[1].

* * *

(١٧٤) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أعْرِضْ عن قولِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى يومِ بدرٍ.

وقيل: إلى فتحِ مكّةَ.

وقيل: إلى الموتِ.

وقيل: إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: إلى أن تُؤمَرَ بالقتالِ.

والآيةُ منسوخةٌ. وقيل: ثابتةٌ.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾؛ أي: وأبصِرْ ما ينالُهم يومَئذٍ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك.

وقيل: وأنظِرْهُم إلى ذلك الوقتِ[2].

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) هذه العبارة في تفسير الآية السابقة، ومقتضاها أن يكون الهين الذي وُقِّت لإنظارهم وقت معاينتهم العذاب في الدنيا.

وقيل: أبصِرْ حالَـهم بقلبِكَ، فسوف يُبصِرونَ مُعايَنةً.

وقيل: أعلِمْهم فسوفَ يعلَمون.

وقيل: أبصِرْ ما ضيَّعوا من أمرِنا، فسوفَ يُبصِرون ما يحلُّ بهم من عذابِنا.

* * *

(١٧٦) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ لمَّا نزَلَ: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قالوا: متى هذا الذي تُوعِّدْنا به؟ فنزلَتْ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

* * *

(١٧٧) ـ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بدارِهم؛ أي: العذابُ.

وقيل: محمَّدٌ ﷺ.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾: فبئسَ صباحُ الكافرينَ يومُ نزولِ العذابِ، وذُكِرَ الصَّباحُ والمُرادُ به اليومُ.

وقيل: نزلَ وقتَ الصُّبحِ، كما نزلَ بقومِ لوطٍ من قولِه: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

* * *

(١٧٨ ـ ١٧٩) ـ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قيل: هذا التَّكرارُ[١] للتَّأكيدِ.

وقيل: الأوَّلُ في الدُّنيا، والثَّاني في الآخرةِ.

---

(١) في (ف): «تكرار».

وقيل: ترى اليومَ عزَّهم إلى ذلٍّ، وترى بعدَ اليومِ ما تحتقِرُ معه ما شاهدتَهم فيه من عذابِ الدُّنيا، وحُذِفَ الضَّميرُ اكتفاءً بالأوَّلِ.

* * *

(١٨٠ ـ ١٨١) ـ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ نزَّهَ نفسَه، وأمرَ المؤمنين بالتَّنزيهِ.

ومعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: ذو العِزَّةِ؛ لأنَّ العِزَّةَ صِفتُه لا مربوبُه، وفي الحديثِ أنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما سمعَ رجلًا يقولُ: اللَّهمَّ ربَّ القرآنِ، فأنكرَ عليه وقال: القرآنُ ليس بمربوبٍ، ولكنَّه كلامُ الله[1].

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عمَّمَ الرُّسلَ بالسَّلامِ بعدما خصَّ البعضَ في السُّورةِ؛ لأنَّ تخصيصَ كلِّ واحدٍ بالذِّكرِ يطولُ.

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا سلَّمْتُم عليَّ فسلِّموا على المُرسَلين؛ فإنَّما أنا رسولٌ منَ المُرسَلين»[2].

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٤٠)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٣٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥١٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة مرسلًا.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٣) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما.

وروى البزار في «مسنده» (٩٤١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «صلوا على أنبياء الله فإن الله تبارك وتعالى بعثهم كما بعثني». وانظر: «جلاء الأفهام» (ص: ٤٦٢).

وقيل: المُرادُ بهم مَن تقدَّمَ ذِكرُهم في السُّورةِ.

والقولُ هو الأوَّلُ، والمعنى: يُسلِّمُهم ويُؤمِّنُهم من كلِّ مكروهٍ.

و﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مُتعلِّقٌ بالعِزَّةِ؛ أي: امتنعَ عمَّا يصِفُونَ.

* * *

(١٨٢) - ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على هلاكِ الكافرينَ.

وقيل: علَّمَ عبادَه كيف يحمَدونَه في الفواتحِ والخواتمِ.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: مَن أحبَّ أن يكتالَ بالمكيالِ الأوفى منَ الأجرِ يومَ القيامةِ فليكُنْ آخرُ كلامِه من مجلسِه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ(١)(٢).

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٦). وفي إسناده الأصبغ بن نباتة رمي بالكذب. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ٣٠٨). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن الشعبي.

(٢) بعدها في (ف): «تمَّ الرُّبعُ الثّالثُ من كتابِ لُبابِ تفسيرِ القرآنِ، ويتلوه في الرُّبعِ الرّابعِ أوّلُ سورةِ ص. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ المُصطَفى وآلِه الطّاهرين. اتَّفقَ الفَراغُ من كَتْبِه يومَ الخميسِ العاشر من شهرِ صفَرٍ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وستٍّ مئةٍ هجريّة، كاتبُه العبدُ الضَّعيفُ المُحتاجُ إلى رحمةِ الله تعالى عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ محمودٍ المُؤذِّنُ بجامعِ عربي عسكر مكرم، غفرَ الله له ولوالدَيه ولجميعِ المؤمنين. آمين يا ربَّ العالَـمين».

سُورَةُ ص

سُورَةُ صٓ

ثمانٍ وثمانونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾.

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ سبقَ الكلامُ[2] في الحروفِ، وتختصُّ ﴿صٓ﴾ بأقوالٍ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: اسمُ بحرٍ عليه عرشُ الرَّحمنِ[3].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ﴿صٓ﴾ بحرٌ يحيي الله به الموتى بين النَّفختَينِ[4].

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله.

وقيل: اسمٌ للقرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

---

(١) «ثمان وثمانون آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٤)، وفيه: «خمس وثمانون في البَصْري، وهو عدد عَاصِم الجحدري، وست في عدد المدنيين والمكي والشامي، وثمان في الكوفي، اختلافُها ثلاث آيات...».

(٢) في (ف): «القول».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٣٥).

الفَرَّاءُ: هو كقولك: وجَبَ والله، نزلَ والله[١].

وقيل: صدَقَ الله والقرآنِ.

وقُرِئَ بالفتحِ[٢]، كأنَّه حُرِّكَ بالفتحِ لالتقاءِ السّاكنَينِ.

وقيل: اسمٌ للسُّورةِ لا ينصرفُ؛ أي: اقرأ صادَ.

وقيل: فعلٌ ماضٍ؛ أي: صادَ محمَّدٌ قلوبَ العبادِ[٣].

وقُرِئَ بالكسرِ[٤] لالتقاءِ السّاكنَينِ.

وقيل: أمرٌ من صادَى[٥] يُصادي؛ أي: صادِ بالقرآنِ عملَكَ[٦].

قال أبو عليٍّ: الواوُ بدلٌ منَ الباءِ في غيرِ القسَمِ[٧].

﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾: ذي البيانِ.

وقيل: ذي الشَّرفِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) أي: صادَ، ونسبت لعيسى الثقفي ومحبوب عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، وعده من العجائب.

(٤) أي: صادِ، ونسبت لأبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق وأبي السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٥) في هامش (ف): «وقيل: صادى من المقابلة ومنه الصدى في الجبل».

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» (٤/ ١٤٩)، وزاد: «ومن ذلك الصدى، وهو انعكاس الصوت إذا فعل في موضع صقيل كثيف».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٨٩)، واستغربه.

(٧) انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٢٥٥).

وقيل: فيه ذِكرُ الأوَّلين ونبأُ الآخِرينَ.

المُبرِّدُ: ذي الذِّكرِ؛ أي: ذي المنعِ منَ[١] القبيحِ كما تمتنعُ الذُّكرةُ وهي الصَّخرةُ الشَّديدةُ الصَّلابةِ.

والجمهورُ على أنَّ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ قسَمٌ، واختلفُوا في الجوابِ:

فقال بعضُهم: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾.

وقال بعضُهم: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

وقيل: مُضمَرٌ؛ أي: ليُبعَثُنَّ.

وقيل: مُقدَّمٌ على أن يكونَ ﴿صٓ﴾ اسمًا للقرآنِ، فيكونُ التَّقديرُ: اذكُرْ صاد والقرآنِ، كما تقولُ: قُم واللهِ، وكذلك[٢]: صدَقَ اللهُ والقرآنِ.

وقيل: جوابُه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ والتَّقديرُ: لَكَمْ أهلَكْنا، كما في قولِه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ في سورةِ (الشَّمسِ)؛ أي: لقد أفلَحَ، لكنْ لمَّا حيلَ بين القسمِ والمُقسَمِ عليه حُذِفَ اللَّامُ فصارَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وكذلك[٣] هاهنا، وهذا قولُ الفرّاءِ[٤]، وهو غيرُ مرضيٍّ عند البصريِّين؛ لأنَّ (كم) لتضمُّنِه معنى الاستفهامِ لا يعملُ فيه ما قبلَه، فله صدرُ الكلامِ لا حاجةَ به إلى اللّامِ.

وقيل: جوابُه مُضمَرٌ دلَّ عليه:

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ن): «فكذلك».

(٣) في (ف): «فكذلك».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧)، وذكره المصنف في [غرائب] التفسير» (٢/ ٩٩٠) وعده من العجائب.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وتقديرُه: ما آمنَ بك قومُك، بل هم ﴿فِى عِزَّةٍ﴾.

و(بل) لتركِ كلامٍ وأخذِ كلامٍ آخرَ.

قولُه: ﴿فِى عِزَّةٍ﴾؛ أي: أَنَفةٍ منَ الانقيادِ للحقِّ.

وقيل: معنى ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: عازُّوا الرُّسلَ وطلبوا بتكذيبِهم أن يكونوا أعزَّ منهم.

وقيل: ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: في امتناعٍ من أتباعِهم.

وقيل: في منَعةٍ بتمكينِ الله إيّاهم، قد تقوَّوا به على دفعِ الحقِّ.

وقيل: في تمنُّعٍ على مَن يدعُوهم إلى رشدٍ.

وقيل: في تكبُّرٍ عن قَبولِ الحقِّ.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلافٍ وعداوةٍ، وقيل: فراقٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾؛ أي: كم قرناً، وقيل: كم مرَّةً أهلكْنا[١].

﴿مِن قَبْلِهِم﴾: قبلِ قومِك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: أمَّةٍ منَ الأممِ.

وقيل: القرنُ: الزَّمانُ، والتَّقديرُ: من أهلِ زمانٍ، وهو ثلاثون سنةً.

وقيل: أربعون سنة.

وقيل: ستُّونَ سنةً.

وقيل: ثمانونَ.

وقيل: مئةٌ.

---

(١) في (ف): «أهلكت».

وقيل: مئةٌ وعشرونَ سنةً.

﴿فَنَادَواْ﴾: رفَعوا أصواتَهم بالويلِ، وأظهروا النَّدمَ في البكاءِ على أنفسِهم، والنِّداءُ: رفعُ الصَّوتِ، من قولِ العربِ: هو أندى صوتًا من غيرِه.

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أصلُه (لا) زِيدَ عليه التَّاءُ كما زيد في (ثُمَّتَ) و(رُبَّتَ)، فيكونُ ﴿حِينَ﴾ منصوبًا به، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: لا حينَ مناصٍ لهم، ويختصُّ بالدُّخولِ على الأزمنةِ فحسب.

والثّاني: أنَّ أصلَه (ليس) ثمَّ قُلِبَ[1] الياءُ ألفًا، وقُلِبَ السِّينُ تاءً، كما قال الشّاعرُ:

يا قبَّحَ[2] اللهُ بني السِّعْلاتِ عَمرَو بنَ يَربُوعٍ شِرارَ النَّاتِ[3]

يُريدُ: النّاس، فيكونُ الاسمُ مُقدَّرًا، وتقديرُه: وليس الحينُ حينَ مناصٍ.

والثّالثُ: أنَّ التَّاءَ مُلحَقٌ بـ(حين) كما قال:

العاطِفونَ تَحينَ مَا من عاطفٍ والمُطعِمونَ زمانَ مَا مِن مُطعِمٍ[4]

وكذلك تلحقُ (الآنَ) فيُقالُ: تَلانَ، قال الشّاعرُ:

---

(١) في (ف): «فقلب».

(٢) في (ف): «قاتل»، وهي رواية.

(٣) الرجز لعلباء بن أرقم. انظر: «النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٤٥)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٤٢)، وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٠)، واستغربه.

(٤) البيت لأبي وجزة السعدي كما في «العين» (٨/ ٣٦٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، و«الوقف والابتداء» لأبي بكر الأنباري (١/ ٢٩٣).

نوِّلـــي قبـــلَ نـــأيِ دارِي جُـــمانا   وَصِلِينـــا كَمـــا زَعَمْـــتِ تَلانـــا[(١)]

وإلى هذا ذهبَ أبو عُبَيدٍ[(٢)] وقال: نظرتُ في الإمامِ مُصحفِ عثمانَ رضي الله عنه، وكان التّاءُ مُتَّصلًا بـ﴿حِينَ﴾[(٣)].

والقرَّاءُ على القولِ الأوَّلِ[(٤)].

واختلفوا في الوقفِ؛ فالكوفيَّةُ تقفُ بالهاء قياسًا على الاسمِ نحو: قائمة، والبصريَّةُ تقفُ بالتَّاءِ[(٥)] قياسًا على الفعلِ نحو: ضَربَتْ، وهذا المرضيُّ عندَ النُّحاةِ[(٦)].

والمناصُ: مصدرُ ناصَ ينوصُ نَوْصًا ومَناصًا، وهو الفِرارُ والمهرَبُ.

---

(١) البيت لجميل بثينة كما في «ديوانه» (ص: ٢١٨)، و«لسان العرب» مادة: (ت ل ن)، ودون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٤)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٦)، و«الصحاح» مادة: (ت ل ن).

(٢) في هامش: «قال الشيخ: إن أبا عبيد قال: كان مصحف أمير المؤمنين ملطخًا بالدم وأكثر الدم كان في سورة النجم».

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩١).

(٤) قال ابن الجزري في «النشر» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) معقبًا على كلام أبي عبيد: «ثم ذكر غير ذلك من حجج ظاهرة، وهو مع ذلك إمام كبير وحجة في الدين وأحد الأئمة المجتهدين مع أني أنا رأيتها مكتوبة في المصحف الذي يقال له: الإمام، مصحفِ عثمان رضي الله عنه (لا) مقطوعةً والتاء موصولة بـ﴿حِينَ﴾، ورأيت به أثر الدم، وتبعت فيه ما ذكره أبو عبيد فرأيته كذلك، وهذا المصحف هو اليوم بالمدرسة الفاضلية من القاهرة المحروسة».

(٥) ﴿وَّلَاتَ﴾ وقف الكسائي عليها بالهاء، والباقون بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ٦٠).

(٦) قال في «النشر» (٢/ ١٥٠): «وأما ﴿وَّلَاتَ حِينَ﴾ فإن تاءها مفصولة من (حين) في مصاحف الأمصار السبعة فهي موصولة بـ(لا) زيدت عليها لتأنيث اللفظ كما زيدت في (ربت وثمت)، وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه والكسائي، وأئمة النحو والعربية والقراءة، فعلى هذا يوقف على التاء، أو على الهاء بدلاً منها كما تقدم. وقال: أبو عبيد القاسم بن سلام إن التاء مفصولة من (لا) موصولة بـ﴿حِينَ﴾ قال: فالوقف عندي على (لا) والابتداء: (تحين)».

وقيل: المطلبُ.

وقيل: التأخُّرُ، والمعنى: لا مَنجى ولا فوتَ.

وقيل: ولاتَ حينَ نداءٍ يُنجِي.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان كفَّارُ مكَّةَ إذا قاتلوا فاضطروا في الحربِ قال بعضُهم لبعضٍ: مناصٌ؛ أي: اهرُبوا وخُذوا حِذْرَكم، فلمَّا نزلَ بهم العذابُ ببدرٍ قالوا: مناصٌ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[7].

* * *

(٤) ـ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾؛ أي: مِن أن جاءَهم ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ، استبعَدوا أن يكونَ النَّبيُّ منَ البشرِ.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ يسحَرُ أعيُنَنا في إظهارِ المُعجِزاتِ ﴿كَذَّابٌ﴾ يكذبُ على الله أنَّه رسولُه.

* * *

(٥) ـ ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ معنى (جعَلَ) هاهنا: سمَّى وحكَمَ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ عجيبٌ في النِّهايةِ، وكيفَ يسعُ الخلقَ إلهٌ واحدٌ؟!

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّه لـمّا أسلَمَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه شقَّ ذلك على قُريشٍ وفرِحَ المؤمنون، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ للملأ من قُريشٍ وهم الصَّناديدُ والأشرافُ: امشُوا إلى أبي طالبٍ، فأتَوه فقالوا له: أنتَ شيخُنا وكبيرُنا، وقد علمتَ

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠) عن ابن كيسان.

ما فعلَ هؤلاءِ السُّفهاءُ، وإنَّا أتيناكَ لتقضيَ بيننا وبين ابنِ أخيك، فأرسلَ أبو طالبٍ إلى النَّبيِّ ﷺ فدعاه فقال له: يا ابنَ أخي، هؤلاءِ قومُك يسألونكَ السَّواءَ، فلا تَـمِل كلَّ الميلِ على قومِكَ، فقال: «وماذا يسألونَني؟» قالوا: ارفُضْنا وارفُضْ ذكرَ آلهتِنا وندَعَكَ وإلهكَ، فقال عليه السَّلامُ: «أتُعطونَني كلمةً واحدةً تملِكون بها العربَ وتدينُ لكم بها العجمُ؟» فقال أبو جهلٍ: لله أبوكَ لنُعطِيَنَّكَها وعشرَ أمثالِـها، فقال عليه السَّلامُ: «قولوا: لا إلهَ إلا الله»، فنفَروا من ذلك، وقاموا وقالوا: أجَعَلَ الآلهةَ إلـهًا؟ كيف يسعُ الخلقَ كلَّهم إلهٌ واحدٌ؟ فأنزلَ الله فيهم هذه الآياتِ[1]، يريدُ: من أوَّلِ السُّورةِ إلى قولِه: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾.

* * *

(٦) ـ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ أي: نهضُوا من ذلك المجلسِ ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ (أنْ) هذه هي المُفسِّرةُ، ومعناه: (أي: امشُوا) من غيرِ أن تلَفَّظُوا به.

وقيل: وانطلقَ الملأُ منهم وقالوا لغيرِهم: امشوا.

وقيل: انطلقُوا بأن امشُوا؛ أي: بهذا القولِ، وليس المُرادُ بالمشيِ السَّيرَ، إنَّما المُرادُ المُضيُّ على الأمرِ.

وقيل: امشُوا واترُكوا محمَّدًا واصبروا على آلهتِكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (١٩/ ١٥٤).

وروى أصله الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائيُّ في «الكبرى» (٨٧١٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وقال بعضُهم: هي من مشَتِ الماشيةُ ـ إذا كثُرَ نسلُها ـ مَشَاءً، قال:

والعنـزُ لا تَـمْشي عـلى الهَمَلَّـعِ[(١)]

وزَيَّفَه عليُّ بنُ عيسى، وقال: إنَّما يُقالُ: أَمْشَى الرَّجلُ؛ إذا كثُرَتْ ماشيتُه[(٢)]، وهذا يُوجِبُ: (أن أَمْشُوا) بالقطعِ والفتحِ.

وفي «تهذيبِ اللُّغةِ» عن الأزهريِّ: مَشَى الرَّجلُ ـ إذا استَغْنى ـ مَشاءً[(٣)]، فيحتملُ أن يكونَ القائلُ ذهبَ إلى هذا، كأنَّه دعاءٌ لهم. والله أعلمُ.

﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ﴾؛ أي: على عبادتِها.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: التَّوحيدَ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ذُكِرَ بلفظِ المجهولِ والمُرادُ به محمَّدٌ ﷺ؛ أي: هذا أمرٌ يُريدُه محمَّدٌ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الاستعلاءَ والتَّرفُّعَ والرِّياسةَ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾؛ أي: يُريدُه كلُّ أحدٍ وكلُّ ذي همَّةٍ[(٤)].

---

(١) في (ف): «مع الهملع»، وكذا في نسخة بهامش (ن)، وكلمة «الهملع» كتب تحتها في (ن): «الذئب».
والرجز بلا نسبة في «جمهرة اللغة» (١/ ١٥٥)، و«الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٨٧)، و«غريب الحديث» للخطابي (٣/ ٢٠٦)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٩٣)، وفيها كلها: «والشاة» بدل «والعنز»، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٣/ ١٧٤) بلفظ «فالعنز»، وذكر في «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٤/ ٦١) باللفظين.
وذكر هذا القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣) دون نسبة، وجاء في «تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠١) يمش: يكثر، يقال: مشت إبل بني فلان تمشي مشاء، إذا كثرت»، وهو معنى ما قاله المصنف، وقد قال الخطابي في «غريب الحديث» (٣/ ٢٠٦): «يقال: أمش الرجل؛ إذا كثرت ماشيته، ومثله مش بغير ألف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٣) واستغربه.

وقيل: إنَّ هذا لشيءٌ يُرادُ بنا، ومكرٌ يُمكَرُ علينا.

وقيل: إنَّ هذا لكيدٌ يُكادُ.

وقيل: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: عبادةَ الأصنامِ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ نُريدُه ونحتاجُ إليه.

* * *

(٧) ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾؛ أي: بالذي يقولُه محمَّدٌ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ قيل: فيما أدركْنا عليه آباءَنا.

وقيل: الملَّةُ الآخرةُ: ملَّةُ عيسى عليه السَّلامُ؛ أي: دينُه.

وقيل: اليهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ.

وقيل: في دينِنا وزمانِنا.

وقيل: ما سمِعْنا بأنَّ هذا يكونُ في آخرِ الزَّمانِ.

قال المُؤرِّجُ: الملَّةُ الأولى بلغةِ القِبْطِ(١).

وقيل: لم نعرِفْه في هذا الزَّمانِ، إنَّما هو شيءٌ كان يبلُغنا عمَّنْ تقدَّمَ فيما مضى منَ الزَّمانِ.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: كذِبٌ اختلَقَه من تلقاءِ نفسِه.

* * *

(٨) ـ ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾.

﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: الوحيُ. وقيل: القرآنُ. وقيل: النُّبوَّةُ.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٢٦)، وفيه: «وعن مؤرج بن عمرو قال: في الملة الآخرة؛ أي: في الملة الأولى، وهو لغة لبعض العرب».

﴿مِنۢ بَيۡنِنَا﴾؛ أي: كيف خُصَّ من بينِنا بذلك؟ قالوه حَسَدًا، فأجابَهم الله تعالى فقال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي﴾: وَحْيِي ووحدانيَّتي؛ أي: إنَّهم لا يُكذِّبونَك ولكن جحَدوا آياتي.

وقيل: ﴿مِّن ذِكۡرِي﴾؛ أي: ذِكرِك لي.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾؛ أي: لم يذوقُوه بعدُ وسيذوقُونه.

قتادةُ: هو يومُ بدرٍ(١).

وأخبرَهم الله به قبلَ أن يكونَ، ولو ذاقوه لآمَنُوا ولم يجحَدُوا.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ يعني: خزائنَ النُّبوّةِ فيُعطُوا مَن يشاءُ، كقولِه: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقيل: ﴿خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾؛ أي: علمُ ذلكَ، فهم يعلمُون على مَن ينزلُ وحيُ ربِّك.

﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ من أن يُغالبَ ﴿ٱلۡوَهَّابِ﴾ لمَن يشاءُ ما يشاءُ.

﴿أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾: أم الإلهيّةُ لهم فيتخيَّروا الرُّسلَ؟

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٦)، لكن في قوله تعالى: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾.

وقيل: معنى الآيتين: كيفَ يتجاسَرون على عداوَتي ولي ملكُ السَّماواتِ والأرضِ؟

ابنُ عيسى: وجهُ اتِّصالِ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ﴾ بما قالوا اتِّصالُ الإنكارِ لِـمَا قالوا قبلَه؛ أي: ذلك ليس إليهم، وإنَّما هو إلى مَن يملكُ هذه الأمورِ.

﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾؛ أي: إن يملكوا السَّماءَ فليَصعَدوا إليها، والأسبابُ: الأبوابُ، والارتقاءُ يُستعملُ في الجبلِ، وهو الأصلُ، وفي الطَّريقِ والوسيلةِ وغيرِ ذلك، ويُقالُ للعالِـمِ المُتبحِّرِ: قد ارتَقَى في الأسبابِ.

وقيل: الأسبابُ: هي التي تُؤدِّي الملائكةَ إلى السَّماءِ التي يعتمدونَ بأجنحتِهم في طيرانِهم وصُعودِهم إليها، والمعنى: إن ادَّعَوا ملكَ السَّماواتِ وأنَّهم يعلَمون ما يجري فيها فليرتَقُوا إليها.

* * *

(١١) ـ ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾.

﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾؛ أي: هم جندٌ، و﴿مَّا﴾ زيادةٌ، ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ منَ الارتقاءِ إلى السَّماءِ، ﴿مَهۡزُومٞ﴾: مكسورٌ، ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: منَ الكفَّارِ الماضيةِ، و﴿مِّنَ﴾ صلةُ ﴿جُندٞ﴾.

وقيل: الأحزابُ: إبليسُ وأتباعُه.

وقيل: إنَّه وعدٌ بما كان يومَ بدرٍ[1]، مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾؛ لأنَّه وعدٌ بالعذابِ، والمعنى: يتحزَّبون عليك ويُهزَمون هناك.

وقيل: معنى الأحزابِ: أتباعٌ مُقلِّدون ليس فيهم مُرشِدٌ.

---

(١) روي عن قتادة كما تقدم قريباً.

(١٢) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ أهلِ مكّةَ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسى.

﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قيل: ذو الجموعِ الكثيرةِ.

وقيل: هي أوتادٌ أربعةٌ كان يُعذِّبُ النّاسَ بها.

وقيل: هي أوتادٌ وحبالٌ يُلعبُ بها[1] بينَ يدَيه.

وقيل: ذو الملكِ الثّابتِ في الأرضِ.

وقيل: بنَى أبنيةً طويلةً مُحكمةً صارت كالأوتادِ لطولِ بقائِها وثباتِها. حكاه المُبرِّدُ.

وقيل: أرادَ أوتادَ الخِيامِ، وكانت فيها كثرةٌ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾.

﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قومُ صالحٍ، وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ قومَ صالحٍ آمنوا به، فلما ماتَ صالحٌ رجعُوا بعدَه عن الإيمانِ، فأحيا اللهُ صالحًا وبعثَه إليهم، فأعلَمَهم[2] أنَّه صالحٌ فكذَّبوه، فأتاهُم بالنّاقةِ فكذَّبوه، فعقَروها، فأهلَكَهم اللهُ[3].

﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ قال مجاهدٌ: كانوا أربَعَ مئةِ ألفِ بيتٍ، في كلِّ بيتٍ عشرةٌ[4].

---

(١) في (ف): «عليها».

(٢) في (ن): «وأعلمهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤).

وقال عطاءٌ: ما من أحدٍ منَ الأنبياءِ إلّا يقومُ معه[١] يومَ القيامةِ قومٌ من أمَّتِه إلَّا لوطٌ؛ فإنَّه يقومُ وحدَه[٢].

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ كذَّبوا شُعَيبًا، والأيكةُ: الغَيضةُ[٣].

وقيل: النَّبعُ والسِّدْرُ، وهم أصحابُ الرَّسِّ أيضًا، وكانوا يأتون في الصَّيفِ الرَّسَّ ويعودونَ في الشِّتاءِ إلى الأيكةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ هذا مبالغةٌ في الذَّمِّ كما تقولُ في المدح: هو عينُ الجوادِ.

وقيل: معناه: هم الذين تحزَّبوا على الأنبياءِ بالعداوةِ.

وقيل: هم أحزابُ الشَّيطانِ بالمُوالاةِ.

* * *

(١٤) ـ ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: ما كلٌّ منهم إلّا كذَّبوا الرُّسلَ[٤].

وقيل: كلُّهم كذَّبوا الرُّسلَ.

﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: فاستحَقُّوا عقابي، وقيل: فوَجَبَ عليهم عقابي.

---

(١) في (ن): «ومعه».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٥).

(٣) في هامش (ن): «قال: الغيضة الأجمة، والنبع: شجر تكون في البوادي».

(٤) في هامش (ن) بخط مختلف: «وفي «القاموس»: وقراءة عبد الله: (إن كلهم لما كذب الرسل) لكنا ما وجدنا في الكتب المشهورة من ذكرها غيره».

قلت: كذا جاء، والقراءة في «القاموس» مادة: (ل م م) بلفظ: «إن كلّ لما كذب الرسل»، ووجدت اللفظ نفسه في «التاج» مادة: (إ ل ا)، وقوله: «ما وجدنا...» فيه نظر؛ فقد ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٠٠)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٠٧).

(١٥) ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: ما ينتظرُ قومُكَ؟ والمعنى: يلحقُهم لحوقَ المُنتظَرِ وإنْ كانوا لا يتوقَّعونَ.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: النَّفخةَ الأولى، وهي الفزعُ الأكبرُ.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ و﴿فُواقٍ﴾[١] وهما لغتان؛ أي: من رجوعٍ وتردادٍ ونَظِرةٍ ومثَنويَّةٍ[٢]؛ أي: صيحةً واحدةً[٣] تُهلِكُ الكلَّ فلا يَتخلَّصُ منها أحدٌ فيحتاجَ إلى صيحةٍ ثانيةٍ.

وقيل: المُرادُ بها نفخةُ القيامةِ، والمعنى: لا يُمهَلون بعدَها.

و[٤]الفُواقُ: ما بينَ الحلْبتَينِ. وقال عليه السَّلامُ: «العيادةُ قَدْرُ فُواقِ النّاقةِ»[٥]، والفَواقُ بالفتحِ: الإفاقةُ، والمعنى: إفاقَةً بالرُّجوعِ إلى الدُّنيا.

وقيل: فواقٌ: فترةٌ.

وقيل: يُريدُ بالصَّيحةِ عذابَ الدُّنيا.

* * *

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي، والباقون بفتح الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ن): «مثنوية» دون الواو.

(٣) في (ف): «الصيحة الواحدة».

(٤) في (ف) زيادة: «قيل».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١/ ٤٣٢)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٦٧٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة».

(١٦) ـ ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ القِطُّ: كتابُ الجائزةِ. والقِطُّ: النَّصيبُ، وأصلُه[١] من قَطَطْتُ؛ أي: قَطَعْتُ. والقِطُّ: الصَّكُّ، وهو الخطُّ[٢].

والمعنى: عجِّلْ لنا نصيبَنا منَ الجنَّةِ التي تَعِدُنا.

وقيل: منَ العذابِ.

وقيل: منَ الرِّزقِ.

وقيل: قالوها عند نُزولِ قولِه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩]، كلُّ ذلك استهزاءٌ منهم.

وقيل: ﴿قِطَّنَا﴾: حسابَنا.

السُّدِّيُّ: أرادوا آيةً على صدقِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ يؤمنون بها[٣].

عطاءٌ: قالَه النَّضرُ بنُ الحارثِ[٤].

* * *

(١٧) ـ ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾؛ أي: اصبِرْ على أذى قومِكَ؛ فإنَّك مُبتَلًى بذلك كما صبرَ سائرُ الأنبياءِ على ما ابتلاهُم به، ثمَّ عدَّهم وبدأ بداودَ عليه السَّلامُ، فقالَ:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: النِّعمةِ، وأنَّ الله أنعمَ على داودَ نعمًا كثيرةً لـم يُنعَمْ

---

(١) في (ن): «والأصل».

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٠٠)، وانظر: «تهذيب اللغة» مادة: (ق ط ط)، (٨/ ٢١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨) بلفظ: «أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥).

بها على غيرِه. والأكثرونَ على أنَّ ﴿ٱلْأَيْدِ﴾: القوَّةُ، وكانَ أُعطِيَ قوَّةً شديدةً على طاعةِ الله؛ يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، وذلك أشدُّ الصَّومِ، ويُصلِّي نصفَ النَّهارِ ويقومُ اللَّيلَ كلَّه؛ وقيل: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: القوَّةِ في الحربِ.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مُطيعٌ.

وقيل: رجَّاعٌ إلى الله.

وقيل: مُسبِّحٌ بلغةِ الحبشةِ، وفيه بُعدٌ(١).

وقيل: يذكرُ ذنوبَه ويستغفرُ(٢) منها.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ﴾: ذلَّلْنا ﴿مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ وكان يَسمعُ تسبيحَها.

وقيل: تسخيرُها: أنَّها كانت تسيرُ معه إذا أرادَ سيرَها إلى حيثُ يريدُ.

أبو القاسمِ الكعبيُّ(٣): إنَّا سخَّرْنا أهلَ الجبالِ(٤). قال: ويجوزُ أن يكونَ أوتيَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤)، واستغربه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٧) عن سعيد بن جبير.

(٢) في (ف): «فيستغفر».

(٣) العلاَّمةُ، شيخُ المعتزلة، أبو القاسم عبد الله بن أحمدَ بن محمود البَلخيُّ، المعروف: بالكعبيِّ، مِن نُظَراء أبي علِيٍّ الجُبَّائيِّ، وله من التَّصانيف: «التَّفسير الكبير»، وكتاب «الاستدلال بالشاهد على الغائب»، وكتاب «الجَدَل»، وكتاب «السُّنَّة والجماعة»، وأشياء سوى ذلك. توفي (٣١٧هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣١٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤) عن أبي القاسم الكعبي في «تفسيره»، واستغربه. وتعقبه بقوله: «والضمير في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يشهد بفساد قوله».

من شدَّةِ الصَّوتِ وحُسنِه ما يكونُ له في الجبالِ دويٌّ حسنٌ، وما تُصغي إليه الطَّيرُ لحُسنِه فتُصوِّتُ معَه[1]. والقولُ هما الأوَّلانِ.

وقال الزَّجَّاجُ: كانت الجبالُ تُرجِّعُ التَّسبيحَ، وكذلك الطَّيرُ[2].

﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: آخرِ النَّهارِ ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: صلاةِ الضُّحى، تقولُ: شَرَقَت الشَّمسُ؛ إذا طلعَتْ، وأشرَقَتْ؛ إذا أضاءَتْ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: كنتُ أمرُّ بهذه الآيةِ لا أدري ما العشيُّ والإشراقُ، حتَّى حدَّثَتْني أمُّ هانئٍ بنتُ أبي طالبٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها فدَعا بوَضوءٍ، فتوضَّأ ثمَّ صلَّى الضُّحى وقالَ: «يا أمَّ هانئٍ هذه صلاةُ الإشراقِ»[3].

وقيل: الإشراقُ: وقتُ طُلوعِ الشَّمسِ. والقولُ هو الأوَّلُ.

---

(١) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٢٦/ ٣٧٤) من قول القفال في «تفسيره».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٢٤).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٠٦)، كلهم من رواية حجاج بن نصير، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس: حدثتني أم هانئ. وإسناده ضعيف جدًا، أبو بكر الهذلي متروك، وحجاج بن نصير ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٨٧٣) من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس: «كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أم هانئ فقلت لها: أخبري ابن عباس، قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات. قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: هذه صلاة الإشراق». قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٢): «هذا موقوف، وهو أصح».

ورواه بنحو هذا موقوفاً أيضاً الحميدي في «مسنده» (٣٣٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١١٦).

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٤)، واستغربه.

(١٩) ـ ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾.

﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾: وسخَّرْنا الطَّيرَ مجموعةً من كلِّ ناحيةٍ.

قيل: سَلَّطَ عليها منَ الطَّيرِ ما يَقْوى على حشرِها إليه(١).

وقيل: الملائكةُ كانت تحشرُ إليه ما امتنعَ عليه منها.

وقيل: زادَ اللهُ فيها ما فهمَتِ الأمرَ والنَّهيَ والزَّجرَ به.

﴿كُلٌّ﴾: الجبالُ والطَّيرُ ﴿لَّهُۥٓ﴾: لله ﴿أَوَّابٌ﴾: مُطيعٌ.

وقيل: ﴿لَّهُۥٓ﴾: لداودَ ﴿أَوَّابٌ﴾: رجاعٌ(٢) إلى التَّسبيحِ معه مُطيعٌ لِـمَا يأمرُه.

***

(٢٠) ـ ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾.

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ بالجنودِ والنُّصرةِ.

وقيل: كان يحرُسُ محرابَه كلَّ ليلةٍ ثلاثةٌ وثلاثونَ ألفَ حرسٍ.

وقيل: شدَدْنا مُلكَه بالهيبةِ، وذلك أنَّ غُلامًا استعدَى على رجلٍ وادَّعى عليه بقرةً، وأنكرَ(٣) المُدَّعى عليه، ولطَمَ الغلامَ لطمةً، فسأَلَ داودُ منَ الغلامِ البيِّنَةَ فلم يُقِمْها، فرأى داودُ عليه السَّلامُ في المنامِ أنَّ الله يأمرُه أن يقتُلَ المُدَّعى عليه، ويُسلِّمَ البقرةَ إلى الغلامِ، فقال داودُ: هو منامٌ، ثمَّ أتاه الوحيُ بذلك، فأخبرَ بذلك بني إسرائيلَ فجَزِعَتْ بنو إسرائيلَ، وقالوا: رجلٌ لطَمَ غلامًا لطمةً أفتقتلُه(٤) بذلك؟ فقال داودُ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «راجع».

(٣) في (ف): «فأنكر».

(٤) في (ن): «فتقتله».

هذا أمرٌ أمرَ الله بذلك، فسكَتُوا، ثمَّ أُحضِرَ الرَّجلُ وأُخبِرَ أنَّ الله أمرَ[1] بقتلِه، فقال الرَّجلُ: صدَقْتَ يا نبيَّ الله، إنِّي قتلتُ أباه غِيلةً وأخذتُ البقرةَ، فقتلَه داودُ فعظُمَتْ هيبتُه واشتدَّ ملكُه، وقالوا: يقضي بوحيِ السَّماءِ[2].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: النُّبوَّةَ.

وقيل: الفَهمَ والعلمَ.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: القضاءَ بالبيِّنةِ واليمينِ، وذلك أنَّ الله علَّقَ سلسلةً منَ السَّماءِ، وأمرَه أن يقضيَ بها بين النَّاسِ، فمَن كانَ على الحقِّ يأخذُ السِّلسلةَ، ومَن كان على الباطلِ لا يقدرُ على أخذِها، ثمَّ إنَّ رجلًا غصبَ من آخرَ لؤلؤًا فجعلَ اللُّؤلؤَ في جوفِ عصًا له، ثمَّ خاصَمَه المُدَّعي إلى داودَ، فقال المُدَّعي: إنَّ هذا أخذَ منِّي لُؤلؤًا ولـم يرُدَّه عليَّ، وإنِّي صادقٌ في مقالتي، فجاءَ وأخذَ السِّلسلةَ، ثمَّ قال المُدَّعى عليه: خُذْ منِّي العصا، فأخذَ عصاه فقالَ: إنِّي ردَدْتُ عليه اللُّؤلؤَ، وإنِّي صادقٌ في مقالَتي، فجاء وأخذَ السِّلسلةَ، فتحيَّرَ داودُ في ذلك، فرُفِعَت السِّلسلةُ، وأمرَه بأن يقضيَ بالبيِّنةِ واليمينِ[3]، وذلك فصلُ الخطابِ.

وقيل: فصلُ الخطابِ: قولُه: البيِّنةُ على المُدَّعي واليمينُ على المدَّعى عليه[4].

---

(١) في (ف): «أمره».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦١)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٧)، عن علي رضي الله عنه، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠ ـ ٥١) عن قتادة وشريح والشعبي، وقال الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٥): «وهذا قول أكثر المفسرين».

وقيل: هو قولُه: أمَّا بعدُ[١]، وهو أوَّلُ مَن تكلَّمَ به[٢].

وقيل: إذا تكلَّمَ في الحكمِ فصَلَ.

وقيل: هو الفصلُ يُذكَرُ ويُكتَبُ[٣] بين كلامٍ وكلامٍ[٤].

وقيل: لا يُتَعْتِعُ في كلامِه.

وقيل: الخطابُ: المُخاطَبةُ، وفصلُه: الخروجُ من مُخاطبةٍ إلى مُخاطبةٍ أُخرى، وقطعُ قصّةٍ بعد قصّةٍ.

وقيل: الفصلُ: القطعُ، والخطابُ: المُحاورةُ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ افتتاحُ كلامٍ، وهو يعلَمُ تعالى أنَّه لـم يأتِه.

وقيل: معناه: ما أتاكَ وقد أتاكَ الآنَ.

﴿نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ النَّبأُ: الخبرُ العظيمُ، والخَصْمُ في الأصلِ: مصدرُ: خصَمَه خَصْمًا، ولا يُثنَّى ولا يُجمَعُ.

﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ أتَوه منَ السُّورِ، والمحرابُ: الغُرفةُ، وقد سبقَ؛ أي: أتَوا غُرفَتَه؛ يعني: الملكَين اللَّذَين أتَياه في صورةِ رجُلَينِ من بني آدمَ، هذا قولُ الجمهورِ.

وقيل: كانا آدميَّينِ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١) عن الشعبي.

(٢) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٣٧)، و«الأوائل» للعسكري (ص: ٦٨).

(٣) في (ن): «أو يكتب»، والمثبت من (ف)، ومثله في «غرائب التفسير».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٥)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه، وعد القول بأنهما كانا ملكين على =

(٢٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ (إذ) الثَّانيةُ تكرارٌ للأولى، وقيل: هي بمعنى: لمَّا[1]، والعاملُ في ﴿إِذْ﴾ الأولى: النَّبأ، وفي الثَّانيةِ: ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنَّهم دخَلُوا بغيرِ إذنِه في غيرِ وقتِ الخصومِ.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ﴾ جمعَ حَملًا على اللَّفظِ، وثنَّى حَملًا على المعنى.

وقيل: أرادَ بالخصمَينِ: فريقَينِ، كلُّ فريقٍ خَصْمٌ[2].

﴿خَصْمَانِ﴾ يرتفعُ بالخبرِ عند الجمهورِ، وتقديرُه: نحنُ خصمانِ، وإنَّما يَحسنُ هذا على قولِ مَن جعلَ الخصمَين آدميَّين، وأمَّا مَن جعلَهما ملكَين وهو الأظهرُ فمنهم مَن أجازَ إضمارَ (نحنُ).

ومنهم مَن يقولُ: لو قالَ الملَكانِ: «نحنُ خَصْمان بغَى بعضُنا على بعضٍ» لكذَبا[3]، والملائكةُ لا تكذِبُ، ولا يأمرُهم الله بالكذبِ، بل التَّقديرُ: ما تقولُ: خصمان قالا: بغى بعضنا على بعض... الآيات[4]؟

وقال بعضهم: إنما عرَّضا وأراد: أرأيت إنْ كنا خصمين بغَى بعضُنا على بعضٍ؛

= صورة آدميين من العجائب.

(١) وجوابه: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾، هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «جمع».

(٣) يعني: أن قولهما: «نحنُ خَصْمان بغَى بعضُنا على بعضٍ»، وكذلك قولهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ ينافي كونهما ملكين؛ لأن الملائكة لا تكذب، ولا يبغي بعضهم على بعض، ولا يكونان خصمين، ولا يملكان النعجة ولا غيرها، ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦).

أي: بغَى أحدُنا على الآخرِ، ألستَ تحكمُ بينَنا؟ فاحكُم؛ لأنَّ الملكَين لم يكونا خَصْمَين، ولا بغَى أحدُهما على الآخرِ، وإنَّما هو مثلٌ.

قولِه: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾؛ أي: بغَى أحدُنا على الآخرِ، وجاء مثلُه في الشِّعرِ، قال الكُميتُ:

وساقت الشِّعْرَيَانِ الفجرَ بعضُهما فيه وبعضُهما باللَّيل مُحتجِبُ(١)

وحكى النَّحّاسُ في قولِه: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا﴾ يجوزُ أن يُرادَ به داودُ عليه السَّلامُ(٢).

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: لا تَجُرْ عن الحقِّ في الحكومةِ، وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (ولا تَشْطُطْ)(٣)، وشَطَّ وأشَطَّ لُغتانِ، وأصلُهما البعدُ.

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: قصدِ الطَّريقِ، والمعنى: إلى الحقِّ، فعبَّرَ عنه بوسطِ الطَّريقِ؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى المقصودِ.

***

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾؛ أي: على ديني، وقيل: صاحبي ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: الأُنثى منَ الضَّأنِ، والمرادُ بها الشَّاةُ، هذا على قولِ مَن جعلَ الخصمَين من بني آدمَ.

والثاني: إنَّها كنايةٌ عن المرأةِ، والعربُ تَكْنِي عن المرأةِ بالنَّعجةِ والشَّاةِ والقَلوصِ.

---

(١) انظر: «ديوان الكميت بن زيد» (ص: ٥٨)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ١٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٩).

(٣) نسبت لأبي رجاء وأبي حيوة وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١).

والثّالـثُ: النَّعْجـةُ: المرأةُ الحسـناءُ اللَّيِّنـةُ الجميلةُ، مـنَ النَّعجِ، وهـو البياضُ واللِّينُ[١].

وقيل: النَّعَجُ: الفُتورُ في العينِ.

وفي مصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (نعجةٌ أُنثى)[٢]؛ لتأكيدِ التَّأنيثِ، حيثُ لا يجوزُ: جبهةٌ أُنثَى، ولا: عَينٌ أُنثَى.

وعن جماعةٍ: أنَّ معنى (أُنثى) هاهنا من قولِـهم: امرأةٌ مُؤنَّثةٌ؛ إذا كانت مُطيعةً لزَوجِها، والزَّوجُ يأنَسُ بها، وعلى الضِّدِّ: امرأةٌ مُذكَّرةٌ؛ لا تلينُ لزَوجها ولا يأنَسُ بها.

﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: اجعَلْها في كِفلي، وهو النَّصيبُ.

وقيل: انزِلْ لي عنها، وضُمَّها إليَّ لأكفُلَها.

وقيل: معناه: أعطِنيها.

وقيل: أعطِني بها كفيلًا إلى أن أُخاصمَكَ فيظهرَ أنَّها لي أو لك.

﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ صار أعزَّ منِّي في مُخاطبتِه إيَّاي؛ فإنْ تكلَّمَ كان أبينَ منِّي، وإنْ بطَشَ كان أشدَّ منِّي، فغلبَني.

وقيل: غلبَني في الخصومةِ.

وقيل: قهرَني وظلَمَني[٣].

والخطابُ: المُخاطبةُ.

وقيل: هو من خِطبةِ المرأةِ؛ أي: دافَعَني عن خِطبةِ هذه المرأةِ، وسيأتي بيانُه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٧٥)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٥).

(٣) في (ن): «فظلمني».

(٢٤) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ﴾ ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ التَّقديرَ: إنْ كانَ الأمرُ على ما قُلتَ فقد ظلَمَك(١).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الآخرَ أقرَّ بما ادَّعى عليه الأوَّلُ(٢).

وقال بعضُهم: قال ذلك قبلَ أن ينظُرَ في صدقِ ما ادَّعى(٣).

ومعنى: (سؤال نعجتك)؛ أي: سؤالِه إيَّاك نعجتَك، مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ، والسُّؤالُ هاهنا سؤالُ مُطالبةٍ ومُغالبةٍ لا سؤالُ خضوعٍ وتفضُّلٍ؛ إذ لو كان كذلك لم يكُنْ مُعازَّة.

و﴿إِلَىٰ﴾ مُتعلِّقةٌ بفعلٍ دلَّ عليه السُّؤالُ تقديرُه: بسؤالِ نعجَتِكَ ليضُمَّها إلى نعاجِه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾؛ أي: الشُّركاء، جمعُ خليطٍ، كظريفٍ وظُرفاء.

﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يتعدَّى الحقَّ والإنصافَ، مشتقٌّ منَ الخلطةِ والشَّركةِ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المُستثنَى منصوبٌ؛ والتَّقديرُ: أكثرُ الخلطاءِ بهذه الصِّفةِ إلَّا الخلطاءَ المؤمنين فإنَّهم بخلافِ ذلك.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زيادةٌ، والتَّقديرُ: هم قليلٌ.

ابنُ عيسى: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذي(٤)؛ أي: وقليلٌ الذي(٥) كذلك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٧)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الذين».

(٥) ذكر المصنف نحوه عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾؛ أي: علِمَ، والظَّنُّ إذا دخلَ على خبرٍ جازَ أن يكون بمعنى العلمِ، وأمَّا العِيانُ فلا يُقالُ فيه إلا: علِمَ.

﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: ابتَلَيناه وعامَلْناه مُعاملةَ المُبتَلَى.

وقيل: معنى فتنَّاه: شدَدْنا عليه التَّعبُّدَ.

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (فَتَنَاه)[1]؛ أي: الخصمانِ؛ لأنَّهما قالا: حكَمَ على نفسِه.

وقيل: ضَحِكا وذَهَبا، فعلِمَ أنَّ الله ابتلاه بذنبِه.

واختَلَفُوا في ذنبِه؛ فذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ داودَ عليه السَّلامُ دخلَ محرابَه، وأغلقَ بابَه، وقامَ يُصلِّي، فجاء طائرٌ في أحسنِ صورةٍ، مُزَيَّنٌ كأحسنِ ما يكونُ، فوقعَ قريبًا منه، فنظرَ إليه فأعجبَه، فوقعَ في نفسِه منه شيءٌ، فدَنا منه ليأخذَه، فوقعَ قريبًا، وأطمعَه أن يأخُذَه، وفعلَ[2] ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، حتَّى إذا كان في الرّابعةِ ضرَبَ يدَه عليه فأخطأه فوقعَ على سُورِ المحرابِ، وكان خلفَ المحرابِ حوضٌ يغتسلُ فيه النِّساءُ، فضرَبَ يدَه عليه وهو على سور المحراب فأخطأه، وهبَطَ الطائرُ، وأشرفَ[3] داودُ فإذا بامرأةٍ تغتسلُ، فلما رأتْه نقضَتْ شعرَها، فغطَّى جسَدَها، فوقعَ في نفسِه منها ما شغلَه عن الصَّلاةِ، فنزلَ من محرابِه، ولبست المرأةُ ثيابَها، وخرجَت إلى بيتِها، فخرجَ داودُ حتَّى عرفَ بيتَها، وسألَـها: مَن أنتِ؟ فأخبرَتْه، فقال: هل لكِ زوجٌ؟ فقالت: نعم، قال: أين هو؟ قالت: في جندِ كذا، فرجعَ وكتبَ إلى عاملِه إذا

---

(١) نسبت لأبي عمرو في رواية عبد الوهاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٢).

(٢) في (ف): «ففعل».

(٣) في (ف): «فأشرف».

جاءكَ كتابي هذا فاجعَلْ فلانًا في أوَّلِ الخيلِ، ففعَلَ وقُتِلَ(1)(2).

وفي بعضِ القصصِ كتبَ ذلك ثلاثَ مرّاتٍ، ثمَّ انتظرَ حتَّى انقضَتْ عدَّتُها، ثمَّ خطَبَها وتزوَّجَها، فلما أتاه الخصمانِ وظنَّ أنَّ الله فتنَهُ سجَدَ أربعينَ ليلةً لا يرفعُ رأسَه إلا للصَّلاةِ المكتوبةِ، ولـم يذُقْ طعامًا ولا شرابًا حتَّى أوحى الله إليه: أن ارفَعْ رأسكَ؛ فإنِّي قد غفرتُ لك(3).

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: إنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ قال له: اذهَبْ إلى أُوريا، وهو زوجُ المرأةِ واستحلَّ منه، فإنَّك تسمعُ صوتَه في موضعِ كذا، فأتاه واستحلَّ منه، فقال: أنتَ في حلٍّ، فلمَّا رجعَ قال له جبريلُ: هل أخبرتَه بجُرمِكَ؟ قال: لا، قال: فإنَّك لـم تعمَلْ شيئًا(4)، فارجِعْ وأخبِرْه بالذي صنَعْتَ، فرجعَ داودُ فأخبرَه بذلك، فقال: أنا خَصمُكَ يومَ القيامةِ، فرجعَ مُغتمًّا وبكى أربعينَ يومًا، فأتاه جبريلُ وقال: إنَّ الله يقولُ: أنا أستوهِبُكَ من عبدي فيَهَبُك لي، وأجزيه على ذلك أفضلَ الجزاءِ، فسُرِّي ذلك عنه، وكان حَزينًا في عمرِه باكيًا على خطيئتِه(5).

وذهبَ المُحقِّقون إلى إنكارِ ذلك أصلًا(6).

---

(1) في (ف): «فقتل».

(2) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٧) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جداً، وعن السدي، وليس في هذا ما يصح، وهو من الإسرائيليات، قال الزمخشري: «هذا ونحوُهُ مما يقبُح أن يُحَدَّثَ به عن بعض المتَّسِميْنَ بالصَّلاح من أفناء المُسلمين فضلاً عن بعض أَعلام الأَنبياء».

(3) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٨٥) عن الحسن، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسيأتي إنكار المصنف لهذه الأخبار.

(4) «شيئًا»: ليست في (ف).

(5) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٣). وكل هذا من الإسرائيليات.

(6) من العلماء المحققين الذين أنكروا هذه القصة: النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٩٨)، والقاضي =

ورُوِيَ أنَّ عليًّا رضي الله عنه أنكرَ هذا، وقال: مَن حدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السَّلامُ على ما يرويه القُصَّاصُ مُعتَقدًا صحّتَه جلدتُه مئةً وستِّين ـ أي: حدَّينِ ـ لعظيمِ ما ارتكبَ منَ الإثمِ، وكبيرِ ما احتقَبَ منَ الوِزْرِ[1].

وجاء عن ابنِ عبّاسٍ وابنِ مسعودٍ رضي الله عنهم إنكارُه أيضًا[2].

= عياض في «الشفا» (٢/ ٣٧١) وابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤)، وابن الملقن في «التوضيح» (١٩/ ٥٠٥)، والنسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ١٥٠)، والخازن في «تفسيره» (٤/ ٣٦)، والرازي في «مفاتيح الغيب» (٢٦/ ٣٨٠)، وابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآيات، والعليمي المقدسي في «فتح الرحمن» (٦/ ٢٠) وغيرهم.

أما ابن حزم فقد ذكر أن ما جاء في الآية لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم قال: «وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وَجل، وَأقر على نَفسه الخبيثة أَنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسع وتسْعُونَ نعجة، ولا كان للآخر نعجةٌ واحِدَةٌ، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾... ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردةُ، وتالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله داود الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟! لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله...» إلى آخر ما قال.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) من رواية الحارث الأعور، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية من رواية ابن المسيب وسعيد بن جبير، جميعهم عن علي رضي الله عنه. وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٥٧): «وهذا مما لا يصح عنه».

(٢) ذكره عنهما المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ٩٨٨).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ أُوريَا خطبَ امرأةً فأرادَ قومُها تزويجَها منه، فوُصِفَتْ لداودَ فخطَبها فزُوِّجَتْ من داودَ، فصار ذلك منه معصِيةً، وحُمِلَ قولُه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ على أنَّه[1] الفِعالَ منَ (الخِطبةِ) بالكسرِ.

وقال بعضُهم: كان ذنبُه أنَّه أحبَّ أن يُستشهَدَ أُوريا ليتزوَّجَ امرأتَه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ذنبَه هو قولُه: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فنسبَه إلى الظُّلمِ بقولِ المُدَّعي، وكانَ ذلك منه زلّةً، وظنَّ داودُ بعد فراغِه منَ الحكمِ: أنَّ الله بعثَ الخصمَينِ ليعرِفا مذهبَه في الحكمِ، فاستغفرَ ربَّه.

ودلَّ قولُه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ على أنَّ المُستغفَرَ منه مذكورٌ في القِصَّةِ المتلوَّةِ؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى معلومٍ، ولقولِه: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ذنبَ داودَ: أنَّه لمَّا وقعَتْ عينُه على امرأةِ أُوريا سألَه أن ينزلَ عنها له، وكان ذلك جائزاً في شرعِهم، وكانت الأنصارُ حين نزلَ عليهم المُهاجرونَ ينزلُ مَن عندَه امرأتانِ عن إحداهما؛ ليتزوَّجَها المُهاجِرُ، كما كان يُقاسمُه مالَه ومنزلَه[2].

وعن الحسنِ: لـم يكُنْ لداودَ تسعٌ وتسعونَ امرأةً، وإنَّما هذا مثَلٌ[3]، وكان يقرأُ: (تَسع وتَسعون) بالفتح[4]، وهو لغةٌ فيه كسبعٍ وخمسٍ[5].

---

(١) في (ن): «أن».

(٢) وليس في هذا حجة لمن ذهب هذا المذهب، فإن من فعل ذلك من الأنصار إنما فعله من تلقاء نفسه لا أن المهاجري نظر إلى امرأة فأعجبته فطلبها من زوجها، حاشا موقع الصحابة من هذا، فكيف بالأنبياء؟

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٧٩).

(٤) يقصد بفتح التاء فيهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٠).

(٥) في (ف) زيادة: «﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: غفرنا له ذنبه ذلك، وعن بعض القراء الوقف على ﴿فَغَفَرْنَا =

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾: سقطَ ساجدًا، والرُّكوعُ هاهنا: السُّجودُ على الوجهِ.

وقيل: معنى ﴿خَرَّ رَاكِعٗاۤ﴾: رمى بنفسِه.

وقيل: معنى ﴿خَرَّ رَاكِعٗاۤ﴾: صارَ إلى خُضوعٍ وخشوعٍ وتضرُّعٍ.

وقيل: أرادَ الرُّكوعَ والسُّجودَ، فاكتفى بذكرِ الرُّكوعِ؛ لأنَّه لا ركوعَ إلا وبعدَه سجودٌ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾؛ أي: غفَرْنا له ذنبَه ذلك، ووقفَ بعضِ القرَّاءِ على ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ﴾؛ ليكونَ مُطلقًا[1].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: القُربةَ بعد المغفرة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: مرجعٍ في الجنَّةِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

وقولُه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: خليفةً ممَّن كان قبلَكَ من الرُّسلِ، والخليفةُ: المُدبِّرُ للأمرِ من قِبَلِ غيرِه على جهةِ البدلِ من تدبيرِه.

وقيل: جعَلْناك خليفةَ الله في الأرضِ.

وقيل: جعلناك مَلِكًا.

= ﴿لَهُۥ﴾ ليكون مطلقًا ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ القربة بعد المغفرة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ مرجع في الجنة قوله» وستأتي قريبًا.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٨٤) عن القشيري.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾: لا تمِلْ إلى هوى نفسِك فتقضيَ بغيرِ عدلٍ.

وقيل: لا تجُرْ في القضاءِ.

وقيل: لا تتَّبعِ الهوى كما فعلْتَ بامرأةِ أُوريا.

﴿فَيُضِلَّكَ﴾؛ أي: الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن طاعتِه.

وقيل: فيستزِلَّكَ عن دينِ الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِ الإسلامِ ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾؛ أي: النّارُ ﴿بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾: أعرَضُوا عنه وتركوا العملَ بما ينفعُهم فيه.

وقيل: لم يُؤمِنُوا به.

و﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ مفعولُ ﴿نَسُواْ﴾.

وقيل: عذابٌ شديدٌ يومَ الحسابِ بما تركوا العملَ به[1].

وقيل: ﴿بِمَا نَسُواْ﴾: بما تركُوا منَ القضاءِ بالعدلِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ منَ الخلقِ عبثًا لغيرِ شيءٍ فنترُكَ الخلقَ سدًى، بل نُتبعُ هذه الدَّارَ دارًا أُخرى يُفصَلُ فيها بين المُحسِنِ والمُسيءِ، ويُنتصَفُ للمظلومُ[2] منَ الظَّالمِ.

---

(١) فهو على هذا مفعول فيه ظرف زمان متعلق بصفة محذوفة من (عذاب).

(٢) في (ن): «المظلوم».

وقيل: بل خلَقْناهما للدَّلالةِ على خالقِهما.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ظنُّهم أنْ لا بعثَ ولا حسابَ ولا جنَّةَ ولا نارَ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

***

(٢٨) ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الكفَّار؛ أي: لو سوَّينا بينهما لكنَّا خلَقْناهما باطلًا.

وفي التَّفاسيرِ: أنَّها نزلَتْ في ثلاثةِ رهطٍ: عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ بنَ الحارثِ[1]، ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: عُتبةَ وشَيبةَ ابنَي ربيعةَ، والوليدِ بنِ عتبةَ، وهم الذين تبارَزُوا يومَ بدرٍ، فقتلَ عليٌّ رضي الله عنه الوليدَ، وقتلَ حمزةُ عتبةَ، وقتلَ عُبيدةُ شيبةَ[2].

وقيل: عامٌّ.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتَّقون الشِّركَ والمعاصيَ ﴿كَٱلْفُجَّارِ﴾: كالكفّارِ؛ أي: في الثَّوابِ.

***

(٢٩) ـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هذا كتابٌ ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ فيه مغفرةٌ للذُّنوبِ لمَن آمنَ به ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ليقِفُوا على ما فيه ويعمَلوا به.

---

(١) في (ف): «الحرث».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: وليتَّعِظَ بالقرآنِ ذَوُو العقولِ.

* * *

(٣٠) - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: أعطَيناهُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أولادُنا من مواهبِ الله لنا[1]، ومثلُه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ الآية [الشورى: ٤٩].

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ سليمانُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجَّاعٌ إلى الله بالعبادةِ. وقيل: ﴿إِذْ عُرِضَ﴾ ظرفٌ لقولِه: ﴿أَوَّابٌ﴾.

وقيل: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ داودُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، كما قالَ: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

* * *

(٣١) - ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: على سليمانَ بإجماعٍ، إلّا ابنَ بحرٍ فإنَّه قال: عُرِضَ على داودَ[2].

﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾: بعد الظُّهرِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيولُ، والصّافنُ منَ الخيلِ: القائمُ بأيِّ وصفٍ كانَ، والأكثرُ على أنَّ الصّافنَ: الذي يثني إحدى يدَيه أو إحدى رجلَيه ويقِفُ على سُنْبُكِه[3].

﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمعُ جوادٍ، وهو الفرسُ الذي يجودُ بالركضِ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٣) السُّنبك: طرف مقدم الحافر، والجمع: سنابك. انظر: «الصحاح» مادة: (س ب ك) (٤/ ١٥٨٩).

ابنُ عيسى: جمعُ (جَوْدٍ) كسَوْطٍ وسياطٍ، تقولُ: مطرٌ جَوْدٌ؛ أي: كثيرٌ(١).

وقيل: الجيادُ: الطِّوالُ الأعناقِ، مُشتقٌّ منَ الجِيدِ، حكاه أقضى القُضاةِ وغيرُه(٢).

***

(٣٢) ـ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أي: الخيلِ، وفي مُصحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (حبَّ الخيلِ)(٣).

وقيل: الخيرُ: المالُ.

﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ قال بعضُهم: ﴿عَن﴾ هاهنا بمعنى: على، و﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ بمعنى: آثرتُ.

ابنُ جريرٍ: أحببتُ الخيرَ حُبًّا، فقُدِّمَ وأُضيفَ إلى المفعولِ(٤).

قال: ومعنى ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾: سَهَوْتُ عن ذكرِ ربِّي(٥).

وحكى صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ بمعنى: آثَرْتُ، ثمَّ قال: وله وجهٌ آخرُ، وهو: أنَّ ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ بمعنى: قَعَدْتُ وتأخَّرْتُ، مأخوذٌ من إحبابِ البعيرِ؛

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩) وعده من العجائب.

(٣) ذكرها ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٨٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٨٤).

إذا برَكَ؛ أي: تقاعَدْتُ عن ذكرِ ربِّي بحبِّ الخيرِ[١]، وأنشدَ:

دعَتْكَ إليها مُقلتَاها وَجِيدُها فمِلتَ كما مالَ المُحِبُّ على عَمْدِ[٢]

المُحبُّ: الجملُ الذي به عَمدٌ، وهو علَّةٌ في السَّنامِ.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾: تستَّرَتْ الشَّمسُ ﴿بِٱلۡحِجَابِ﴾ باللَّيلِ؛ لأنَّ اللَّيلَ يستُرُ كلَّ شيءٍ.

وقيل: الحجابُ جبلُ قاف.

وقيل: معنى ﴿أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾: آثَرْتُ حُبَّ الخيرِ عن أمر ربِّي، لا مِن تلقاءِ نفسي ولا حرصًا على المالِ[٣].

وقيل: أحبَبْتُ حبَّ الخيرِ عن ذكرِ ربِّي[٤] لها بالخيرِ؛ أي: أحبَبْتُ الخيلَ لحبِّ الخيرِ عن جهةِ ذكرِ ربِّي بما فيها منَ الخيرِ، فيكونُ المفعولُ محذوفًا، و﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مفعولٌ له.

وقيل: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾: عن صلاةِ العصرِ، وكانت فرضًا عليه.

وقيل: وظيفةٌ وظَّفَها على نفسِه، وذلك أنَّه صلَّى الظُّهرَ ثمَّ جلسَ على الكرسيِّ ليُعرَضَ عليه الخيلُ.

وكانت الخيلُ وردت عليه من الغنيمةِ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، واستغربه.

(٢) البيت لأبي ذؤيب. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٥٩)، و«إيضاح شواهد الإيضاح» (١/ ١٥٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٩٩)، وعده من العجائب.

(٤) في (ف): «الله».

(٥) في (ف): «غنيمة».

وقيل: ورِثَها من أبيه داودَ.

وقيل: كانت ألفَ فرسٍ أخرجَها الشَّياطينُ منَ البحرِ.

وقيل: أخرجَها الشَّياطينُ من مرجٍ من المُروجِ.

وقيل: كانت عشرينَ فرسًا ذواتِ أجنحةٍ.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمسُ ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾؛ أي: غربَتْ، وجازَ الكنايةُ عن الشَّمسِ وإنْ لـم يتقدَّمْ ذِكرُها لأنَّ العشيَّ دلَّ[1] على ذكرِها.

ابنُ عيسى: الضَّميرُ في ﴿تَوَارَتْ﴾ للخيلِ[2]؛ أي: إلى أن غُيِّبَت عنِّي وسُتِرَت عن بصري بحجابِها، وهو مرابطُها.

* * *

(٣٣) ـ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؛ أي: الخيلَ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ (طفِقَ) مثلُ ظلَّ بالنَّهارِ؛ أي: ما زالَ يَفعلُ، ﴿مَسْحًا﴾[3]: يمسحُ مَسحًا، ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: جمعُ ساقٍ، كدارٍ ودُورٍ، ولابةٍ ولوبٍ، ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾: جمعُ عُنُقٍ، والمعنى: قطَعَ أعناقَها وعَرْقَبَ أرجُلَها؛ لأنَّها منعَتْه عن الصَّلاةِ.

الزَّجَّاجُ: لـم يفعَلْ ذلك إلَّا وقد أباحَ الله له ذلكَ، وما أباحَ الله فليس بمُنكرٍ[4].

---

(١) في (ن): «دلت».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، واستغربه.

(٣) «يفعل مسحًا» من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٣١).

وقيل: ذبحَه للفُقراءِ والمساكينِ إلا مئةً منها، فما في أيدي النَّاسِ منَ الخيلِ العِرَاب[١] فهي منها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ما ضرَبَ أعناقَها وما عَرْقَبَها، بل مسحَ أعناقَها وسُوقَها بيدِه حبًّا لها[٢]، قال: ومعنى مسَحَ: غسَلَ[٣].

وقيل: مسَحَ الغبارَ عن أعناقِها[٤] وسُوقِها بيدِه.

وقيل: وسَمَ أعناقَهُنَّ وسُوقَهنَّ وجعلَهُنَّ في سبيلِ الله[٥].

وقيل: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؛ يعني: الشَّمسَ، والخطابُ للملائكةِ، يتضرَّعُ[٦] إلى الله، فردَّ الله له الشَّمسَ فصلَّى العصرَ.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾: ابتلَيناه.

وقيل: عاقَبْناه.

وقيل: شدَدْنا عليه في التَّكليفِ.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ اختلفَ المُفسِّرون في سببِ ذلك وفي الجسد،

---

(١) «العراب» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧) ورجحه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، واستغربه.

(٤) في (ف): «أعرافها».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٠)، وعده من العجائب.

(٦) في (ف): «تضرع».

وأَوْلَى ما ذُكِرَ فيه: ما رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ، وهو أنَّه قال: «قال سليمانُ بنُ داودَ عليهما السَّلامُ: لأطوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً ـ ويُروى: «على مئةٍ»، ويُروَى: «على ألفِ امرأةٍ» ـ تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهد في سبيلِ الله، فقال له صاحبُه: قل: إن شاءَ الله، ولـم يقُلْ، فطافَ عليهنَّ ولم تحمِلْ منهنَّ إلّا[1] واحدةٌ جاءَتْ بشقِّ ولدٍ، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لو قال: إنْ شاءَ الله، لجاهَدُوا في سبيلِ الله فُرسانًا»[2]، فلم يستَثْنِ، فلم يرضَ الله ذلك منه، وهو الجسدُ الذي أُلقِيَ على كرسيِّه؛ أي: سريرِ مُلكِه.

وقيل: كرسيِّ ملكِه.

الشَّعبيُّ: سببُ ذلك: أنَّه وُلِدَ لسليمانَ عليه السَّلامُ ابنٌ، فاجتمَعَتِ الشَّياطينُ وقال بعضُهم لبعضٍ: إنْ عاشَ له ولدٌ لـم ننفَكَّ مما نحنُ فيه من البلاءِ والسُّخْرةِ، فسبيلُنا أن نقتُلَ ولدَه، فعلمَ بذلك سليمانُ، فأمرَ السَّحابَ حتى حملته الرِّيحُ إليه، فغذا ابنَه[3] في السَّحابِ خوفًا من معرَّةِ الشَّياطينِ، فعاقبَه لخوفِه منَ الشَّياطينِ، فماتَ الولدُ وأُلقِيَ ميتًا على كرسيِّه، وهو الجسدُ الذي قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾[4].

---

(١) في (ف) زيادة: «امرأة».

(٢) رواه البخاري (٢٨١٩) بلفظ: «مئة امرأة، أو تسع وتسعين»، و(٣٤٢٤) بلفظ: «سبعين» وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح» ورواه (٦٧٢٠) بلفظ: «تسعين»، وكذا رواه مسلم (١٦٥٤/ ٢٥)، وفي رواية: «سبعين» وفي أخرى: «ستين»، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبلفظ: «ألف امرأة» رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٥٨) بإسناد فيه إسحاق بن بشر وهو كذاب.

(٣) في (ف): «فغذا ابنهُ».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣). وهو من خرافات الإسرائيليات بلا شك.

ابنُ بحرٍ: مرِضَ سليمانُ مرضًا شديدًا امتحنَه الله به حتَّى صارَ جسدًا على كرسيِّه مطروحًا، وجاء في المثلِ: جسدٌ بلا روحٍ؛ لأنَّ الجسدَ هو الذي لا رُوحَ فيه، وتقديرُه: ألقيناه على كُرسيِّه جسدًا، وقد يُوصَفُ المريضُ بمثل هذا فيُقالُ: جسدٌ بلا روحٍ. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: عاد إلى الصِّحَّةِ.

وقال جمهورُ المُفسِّرين: الجسدُ المُلقَى على كرسيِّ سليمانَ عليه السَّلامُ كان شيطانًا جلسَ على كرسيِّ ملكِه أربعينَ يومًا، وذلك أنَّ ملكَه كان في خاتـمِه، فأخذَ الشَّيطانُ الخاتمَ، فزالَ ملكُه وصار المُلكُ للشَّيطانِ.

ثمَّ اختلفوا في ذلك؛ فقال سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: كان سليمانُ وضعَه تحتَ رأسِه فأخذَه الشَّيطانُ من تحتِ رأسِه[١].

وقال مُجاهدٌ: قال سليمانُ عليه السَّلامُ لشيطانٍ يُقالُ له آصَفُ: كيف تفتِنُونَ النَّاسَ؟ قال: أرِني خاتمَك أُخبِرْك، فلمَّا أعطاه إيّاه نبذَه آصَفُ في البحرِ، فذهبَ ملكُه، وقعد آصفُ على كرسيِّه[٢].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: بينما سليمانُ جالسٌ على شاطئِ البحرِ وهو يعبَثُ بخاتمِه إذ سقطَ منه في البحرِ، وكان ملكُه في خاتمِه[٣].

وقيل: إنَّه وطِئَ امرأةً في الحيضِ، فذلك ذنبُه. حكاه ابنُ عبَّاسٍ[٤].

وقيل: إنَّ امرأةً يُقالُ لها: جَرادةُ قالت له: إنَّ أخي بينَه وبين رجلٍ حكومةٌ، فإذا

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٧) وفيه: «تحت فراشه» بدل «تحت رأسه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠١)، واستغربه.

(٤) في هامش (ن): «في نسخة عيسى»، وقد ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٤) عن الحسن.

أتيا غدًا فاقضِ له، فقال: نعم، ولـم يفعَلْ، فابتلاهُ الله بسببِ ذلك[١] الذَّنبِ، وأزالَ ملكَه أربعينَ يومًا.

وقال جماعةٌ منَ المُفسِّرين: كان سليمانُ عليه السَّلامُ إذا أرادَ دخولَ الخلاءِ دفعَ خاتـمَه إلى جاريةٍ[٢] ـ قال ابنُ عباس[٣]: اسمُها جَرادةُ، وقيل: الأمينةُ[٤] ـ وكان شيطانٌ يُقالُ له: صَخرٌ ـ وقيل: آصَفُ، وقيل: غيرُه ـ تصوَّرَ بصورةِ سليمانَ وخرجَ إلى المرأةِ، وقال: هاتي الخاتمَ، فأعطَتْه إيّاه ظنًّا منها أنَّه سليمانُ، فلمَّا خرجَ سليمانُ ولـم يجِد الخاتمَ علمَ أنَّه ابتُليَ، فخرجَ يطوفُ أربعينَ يومًا إلى أن قبِلَ الله توبتَه.

وكان ذلك الشَّيطانُ يقضي بينَ النّاسِ، ويتمكَّنُ من جميعِ ملكِه إلا نساءَه.

وقيل: من جميعِ ملكِه ومن نسائِه، وكان يأتي النِّساءَ الحُيَّضَ منهنَّ.

فلمَّا أرادَ الله رَدَّ الملكِ على سليمانَ، أنكرَ قُرّاءُ بني إسرائيلَ قضيةً قضاها الشَّيطانُ، فأحضَروهُ التَّوراةَ، فلما قرؤُوها عليه فرَّ الشَّيطانُ، وألقى الخاتمَ في البحرِ فابتَلعَته سمكةٌ، فصادَها صائدٌ، فوهبَها لسُليمانَ.

وقيل: أعطاها على أُجرةِ عملِه يومًا.

فأخرجَ من بطنِها الخاتمَ، وردَّ الله عليه ملكَه[٥]، فذلك[٦] قولُه: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾؛ أي: رجعَ إلى ملكِه.

---

(١) في (ف): «هذا».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٥).

(٣) في (ن): «ابن عيسى»، وفي هامشها: «ابن عباس نسخة».

(٤) اسم «جرادة» ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٧) عن ابن عباس وابن جبير، وذكر اسم «الأمينة» عن شهر بن حوشب.

(٥) رواه من أوله في خبر واحد طويل الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) عن السدي، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١). وهو من أباطيل الإسرائيليات.

(٦) في (ن): «وهو».

وقيل: إنَّ ذنبَه أنَّه تزوَّجَ امرأةً من غيرِ بني إسرائيلَ، وكانت ممَّن تعبدُ الأصنامَ، فأُعجِبَ بها، فقالَتْ: إنَّ أبي كان بارًّا بي، فلو أذِنْتَ لي أن أتَّخِذَ صورةً على صورةِ أبي وأجعلَها في بيتٍ لي، فكنتُ أتسلَّى بها إذا رأيتُها، فأذِنَ لها فاتَّخذت صورةً، فكانَتْ تُعبَدُ في بيتِهِ أربعينَ يومًا، فعاقبَه الله على ذلك، وسلبَه ملكَه أربعينَ يومًا[1].

وحكى الثَّعلبيُّ أنَّ في بعضِ الرِّواياتِ: أنَّ سليمانَ عليه السَّلامُ لـمَّا افتُتِنَ سقطَ الخاتمُ من يدِه، فأخذَه سليمانُ فأعادَه إلى يدِه فسقطَ من يدِه، فلمَّا رآه سليمانُ عليه السَّلامُ لا يثبتُ في يدِه أيقنَ بالفتنةِ، وأنَّ آصَفَ وزيرَه قال لسُليمانَ: إنَّك مفتونٌ بذنبِكَ، والخاتمُ لا يثبُتُ في يدِكَ أربعةَ عشرَ يومًا، ففِرَّ إلى الله تائبًا من ذنبِكَ، وأنا أقومُ مقامَكَ وأسيرُ في عيالِكَ[2] وأهلِ بيوتِكَ بسيرتِكَ إلى أن يتوبَ الله عليك ويرُدَّكَ إلى ملكِكَ، ففرَّ سليمانُ هارِبًا إلى الله، وأخذَ آصَفُ الخاتمَ ووضعَه في يدِه وثبتَ، والجسدُ الذي أُلقِيَ على كرسيِّه آصَفُ وزيرُ سليمانَ، وكان عندَه علمٌ منَ الكتابِ، وقامَ آصَفُ في ملكِه أربعةَ عشرَ يومًا إلى أن ردَّ اللهُ ملكَه عليه، فقامَ آصَفُ وجلسَ سليمانُ على كرسيِّه، واتَّخذَ الخاتمَ بيدِه فثبتَ فيها[3].

وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ: أنَّ سليمانَ احتجَبَ عن النَّاسِ ثلاثةَ أيَّامٍ، فأوحَى اللهُ إليه: يا سليمانُ، احتجَبْتَ عن النَّاسِ ولـم تنظُرْ في أمورِ عبادي، ولـم تُنصِفْ مظلومًا من ظالـمٍ، ثمَّ ذكرَ الخاتمَ، وأخْذَ الشَّيطانِ منه، ورُجوعَه إلى سليمانَ[4].

---

(١) ذكره الثعلبي بنحوه مطولًا في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١)، عن وهب بن منبه، ولا شك أنه من خرافات بني إسرائيل التي أكثر منها وهب.

(٢) في (ف): «عالمك».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٥٤٠).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٥).

قال مُقاتلٌ: ملَكَ سليمانُ قبلَ الفتنةِ عشرينَ سنةً، وبعد الفِتنةِ عشرينَ سنةً[١].

ثمَّ إنَّ سليمانَ ظَفِرَ بالشَّيطانِ فجعلَه في تابوتٍ وسدَّه[٢] بالنُّحاسِ وألقاه في البحرِ[٣]. والله أعلَمُ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أبو عُبيدةَ في كتابِ «المجاز»: معنى ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾: لا يكونُ[٤].

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٤).

(٢) في (ن): «وشده».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكل هذه القصص لا تصح في حق نبي الله، قال أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية: وذكروا أشياء لا تقبلُها العقول السليمة، وتردُّها العقائد المستقيمة، ولا يجوز على نبي الله سليمان ولا على سائر الأنبياء الرضا بعبادة الأصنام، ولا التَّرْكُ بعد العلم، فإنْ فعلَتْ ذلك امرأته بغير علمه، فما معنى عِتاب سليمان به وهو لا يَعْلَم به؟! وكيف يجوز تسليط الشيطان أن يحكُمَ بين الناس بالباطل، ويأتيَ النساء، ويُصَوِّرَ أنه نبي، وأنَّ أحكامَه أحكامُ الله تعالى، وهذا تلبيس على المسلمين طريقَ الدين؟! فكيف تصوَّرَ بصورة سليمان وعلى الناس الإيمانُ بسليمان، والشيطانُ تَصَوَّر بصورة سليمان وهم يعتقدونه نبيَّ الله، ولا يَصِلون إلى حقيقة ذلك ألبتَّة؟! هذا مُحالٌ مِن القول. وكيف يسلُبُ الله سليمان مُلْكه في حياته وقد بقَّاه عليه سنة كاملة بعد وفاته؟! وكيف ينزعه منه وهو يقول: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، واستجاب الله له في قوله: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾.

قلت: وأصح ما قيل في الآية ما تقدم من حديث أبي هريرة في الصحيحين، وإن لم يقع فيه التصريح بكونه تفسيراً للآية.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣).

وحقيقةُ ﴿لَّا يَنۢبَغِى﴾: لا ينفعِلُ؛ من بغَيتُ الشَّيءَ: طلبتُه؛ أي: لا يصيرُ مطلوبًا؛ لأنَّه سماويٌّ، وليس ذلك في طَوقِ البشرِ، ولا ممَّا يخطرُ على قلبِ أحدٍ.

وإنَّما سألَ بهذه الصِّفةَ؛ ليكونَ[1] مُعجزةً له، لا مُنافسةً ولا حسدًا، وكانَ قبلَ ذلك لـم يُسخَّرْ له الرِّيحُ والشَّياطينُ، فلمَّا دعا بذلك تسخَّرَتْ له الرِّيحُ والشَّياطينُ، والمُعجزةُ هي التي لا تنبَغي لغيرِ مَن أُيِّدَ بها.

وقيل: سألَ ذلك كذلك بإذنِ الله إيَّاه في السُّؤالِ.

وقيل: لا ينبَغي لأحدٍ أن يسلُبَه منِّي بعدَ هذه السَّلبةِ[2].

وقيل: لأقوَى به على مَن عصاني منَ الجنِّ والإنسِ.

وقيل: ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾؛ أي: غيري ممَّن بُعِثْتُ إليهم، ولـم يُرِدْ من بعدِه إلى يومِ القيامةِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: المُعطي.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾.

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: ذلَّلناها لطاعتِه ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾: بأمرِ سليمانَ عليه السَّلامُ.

وقيل: بأمرِ الله إلى حيثُ يأمرُها.

وقيل: تحملُ ما يأمرُها.

﴿رُخَآءً﴾: ليِّنةً، من الرَّخاوةِ.

---

(١) في (ن): «سأل هذه الصفة أن تكون»، والمثبت من (ف) و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٢)، واستغربه.

وقيل: طيِّبةً.

وقيل: سريعةً.

وقيل: مُطيعةً، لا عاصِفةً ولا ضعيفةً.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أرادَ، والعربُ تقولُ: أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ[1].

وقيل: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيثُ ما قصدَ من إصابةِ السَّهمِ.

وقيل: حيثُ شاءَ حملَتْه الرِّيحُ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ﴾؛ أي: وسخَّرْنا له الشَّياطينَ كلَّ بناءٍ يبنُونَ له الأبنيةَ العجيبةَ، من قولِه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ الآية [سبأ: ١٣].

﴿وَغَوَّاصٖ﴾ يغُوصُونَ في البحرِ لإخراجِ اللُّؤلؤِ، وهو أوَّلُ مَن استخرجَ اللُّؤلؤَ منَ البحرِ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ يعني: مردةَ الشَّياطينِ مُوثَّقينَ في الحديدِ ما لم يُؤمِنوا، فإذا آمَنُوا خلَّى سبيلَهم.

والأصفادُ: السَّلاسلُ منَ الحديدِ. وقيل: الأصفادُ: الأغلالُ. والصَّفَدُ: القَيدُ والعَطاءُ[2]، وحقيقتُه: التَّعويضُ على الخيرِ والشَّرِّ.

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٠)، وانظر: «الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: «العين» مادة: (ص ف ر) (٧/ ١٠٢)، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٤٤): «وسمي العطاء صفداً؛ لأنه يقيده».

(٣٩) ـ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: قلنا لسليمانَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، وفي المُشارِ إليه بـ﴿هَٰذَا﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه إشارةٌ إلى المُلْكِ، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أعطِ مَن شئتَ وامنَعْ مَن شئتَ، ليس عليك في ذلك حرجٌ، لا تُحاسَبُ على ما تُعطي وتمنعُ يومَ القيامةِ.

وذهبَ جماعةٌ: إلى أنَّ ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى تسخيرِ الشَّياطينِ؛ أي: امنُنْ على مَن شئتَ فأطلِقْه[1]، واجعَلْ ذلك مِنَّةً عندَه، وأمسِكْ مَن شئتَ واحبِسْه؛ فأنتَ في سعةٍ من ذلك، لا تُحاسَبُ في حَبسِ مَن حبَسْتَ وإطلاقِ مَن أطلَقْتَ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أُوتيَ على الجماعِ قوَّةَ مئةِ رجلٍ، وكان عندَه ثلاثُ مئةِ امرأةٍ وسبعُ مئةِ سُرِّيّةٍ، فقيل: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ فجامِعْ مَن شئتَ واترُكْ مَن شئتَ، لا حسابَ عليك في ذلك[2].

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغيرِ جزاءٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ صفةٌ للعطاءِ؛ أي: عطاؤُنا بغيرِ حسابٍ؛ يعني: كثيرًا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: القربةَ في الآخرةِ ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ، وهو الجنّةُ ونعيمُها.

---

(١) في (ف): «وأطلقه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٣)، وعده من العجائب.

الحسنُ: إنَّ الله لـم يُعطِ أحدًا عطيَّةً إلا جعلَ عليه فيها حسابًا، إلّا سليمانَ عليه السَّلامُ فإنَّه أعطاه عطاءً هنيًّا فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، فإنْ أَعطَى أُجِرَ، وإن لـم يُعطِ لـم يكُنْ عليه تبعةٌ[1].

* * *

(٤١) ـ ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ كان أيـوبُ فـي زمـانِ يعقـوبَ بـنِ إسـحاقَ، وامرأتُـه لَيَّـا بنـتُ يعقـوبَ، ويُـروى: إلياء.

و﴿عَبْدَنَآ﴾ مفعولُ ﴿اذْكُرْ﴾، و﴿أَيُّوبَ ﴾ بدلٌ منه أو عطفُ بيانٍ.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾: دعاه، و﴿إِذْ ﴾ نصبٌ بفعلٍ مُضمرٍ، يجوزُ أن يكونَ (اذكُرْ) فيكونَ مفعولًا به، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا منه[2] بدلَ الاشتمالِ؛ أي: زمانَ بلائِه.

﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: قال بعضُهم: مسَّهُ بالوسوسةِ، وذكَّره ما سُلِبَ منه منَ النِّعمةِ وسُلِّطَ عليه منَ المحنةِ.

وقيل: وسوسَ إليه بالقُنوطِ من رحمةِ ربِّه وتزيينِ الجزعِ المُحبِطِ لأجرِه.

وقيل: وسوسَ إلى الذين آمنُوا به بأنَّ أيوبَ لو كان نبيًّا لَمَا سلَّطَ عليه الأمراضَ المُستقذَرةَ حتى أخرجَه منَ العمرانِ، ثمَّ أبقاه فيه سبعَ سنينَ ـ وقيل: ثماني عشرةَ سنةً[3] ـ فشكُّوا في دينِهم حتَّى رجعَ عن دينِه بعضُ مَن كانَ آمنَ به.

---

(١) رواه الطبـري فـي «تفسـيره» (٢٠/ ٩٩) ورجحـه، ولفظـه: «الملـكُ الـذي أعطينـاك، فأعـط مـا شـئت وامنـع ما شـئت».

(٢) قوله: «منه»؛ أي: من ﴿أَيُّوبَ ﴾.

(٣) رواه البزار (٢٣٥٧ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/١٠٩)، =

وقيل: مسَّه بأن استأذَنَ الله وسألَه أن يُسلِّطَه على مالِه، ثمَّ على أهلِه وولدِه، ثمَّ على بدنِه، حتَّى سعى الدُّودُ في بدنِه، وقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقولُه: ﴿بنصب﴾ قُرِئَ بفتحتَين، وضمَّتَين، وضمّةٍ وسكونٍ[1]، وهي لغاتٌ، والمعنى: بضُرٍّ في بدَني ﴿وَعَذَابٍ﴾ أي: في أهلي ومالي.

وقيل: كلاهما في البدنِ.

وقيل: هما واحدٌ، كُرِّرَ لاختلافِ اللَّفظَين.

وكان سببُ ابتلائِه: أنَّ رجلًا استعانَه على دفعِ ظُلمٍ فلم يُعِنْه.

وقيل: كان مَواشيه في ناحيةِ ملكٍ كافر فداهَنَه ولم يغزُه.

وقيل: كان كثيرَ المالِ فأُعجِبَ به.

وقيل: ذبحَ شاةً فأكلَها وجارُه جائعٌ لم يُطعِمْه[2].

وقيل: رأى مُنكرًا فسكتَ عنه.

وقيل: ابتَلاه الله لرفعِ الدَّرجاتِ، ولم يكُنْ منه ذنبٌ فيُعاقبَ عليه[3].

***

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والضياء في «المختارة» (٢٦١٧)، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نبيَّ الله أيوبَ لَبِثَ به بلاؤهُ ثماني عشرة سنة، فرَفَضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلانِ مِن إخوانه...» الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٨): «رواه البزار وأبو يعلى ورجال البزار رجال الصحيح».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١١٥)، ووقع فيه: «خمس عشرة سنة».

(١) بضمهما أبو جعفر، وبفتحهما يعقوب، والباقون بضم فسكون. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، واستغربه.

(٣) وهذا هو الصواب، وما قبله كله شقشقة وإكثار من القيل مما لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام.

(٤٢) ـ ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إليه جبرائيلَ عليه السَّلامُ فقال له: اركُضْ برجلِك على الأرضِ، فركضَ فنبعَت عينٌ حارّةٌ من تحتِ قدَمَيه، فأمرَه أن يغتسلَ منها فاغتسَلَ، ثمَّ ركضَ برجلِه الأُخرَى فنبعَتْ عينٌ أخرى، ماءٌ عَذبٌ باردٌ، فشربَ منها، فزالَ ما في باطنِه وظاهرِه منَ القُروحِ والجراحاتِ.

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: ماءٌ تغتسِلُ به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ قيل: تقديرُه: هذا مُغتَسَلٌ، وهذا شرابٌ باردٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أحياهُم الله بأعيانِهم وزادَه مثلَهم؛ لأنَّهم ماتوا من غيرِ آجالِـهم، فأحياهُم حتَّى يستَوفُوا[1] بقيَّةَ آجالِـهم.

وقيل: أحياهُم ومثلَهم معَهم؛ يعني: من نَسلِهم، فيكونُ ﴿مِثْلَهُمْ﴾ أولادَ الأولادِ، وعلى القولِ الأوَّلِ أولادُ الصُّلبِ.

وقيل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾: نُؤتيه في الآخرةِ ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: في الدُّنيا[2].

وقال ابنُ بحرٍ: كانوا قد غابوا عنه وتفرَّقوا فجمَعهم الله عليه[3].

---

(١) في (ف): «فأحياهم ليستوفوا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، واستغربه، وفيه: «الغريب»: «يهبهم له في الجنة ومثلهم معهم في الدنيا».

(٣) ذكر هذا القول والذي بعده الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٤)، وعده من العجائب.

وقال أيضًا: أو كانوا مرضى فشفاهُم الله.

وقولُ الجمهورِ أولى بالاتِّباعِ.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾؛ أي: رحمناه رحمةً، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا له.

﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾؛ أي: إذا ابتُلِيَ اللَّبيبُ ذكرَ بلاءَ أيوبَ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ وذلك أنَّه حلفَ في مرضِه: ليضربنَّ زوجتَه مئةَ ضربةٍ، واختلفوا في ذلك؛ فقيل: ذهبَتْ في حاجةٍ فأبطأَتْ في الرُّجوعِ، فضاقَ صدرُ المريضِ، فحلفَ: إنْ شفاه الله ضربَها مئةَ ضربةٍ.

وقيل: إنَّ الشَّيطانَ أمرَها أن تحملَ أيوبَ على أن يذبحَ عَناقًا باسمِ الشَّيطانِ، فأدَّت إليه رسالةَ إبليسَ، فقال: ولا كفًّا من ترابٍ، فحلفَ: ليجلِدَنَّها مئةً.

وقيل: إنَّ إبليسَ لقيَها في صورةِ طبيبٍ، فدعَتْه لمُداواةِ أيوبَ، فقال: أُداويه على أنَّه إذا برِئَ قالَ: أنتَ شفَيتَني، لا أُريدُ جزاءً سواهُ، قالت: نعم، فأشارَتْ على أيوبَ بذلك، فحلفَ: ليضرِبَنَّها.

وقيل: جاءته بزيادةٍ على ما كانت تأتيه به منَ الخبزِ، فخافَ خِيانتَها، فحلَفَ.

وفي بعضِ القصصِ: باعَتْ ذُوائِبَها بطعامٍ فحملَتْه إليه، فساءَ ظنُّه، فحلفَ[1].

---

(١) وكل هذا من خرافات الإسرائيليات وأباطيلها، والقرآن يبطلها حيث أظهر كرامتها وشكر لها ـ كما سيأتي ـ بأن أمر رسوله بالإبرار بيمينه بهذه الطريقة المذكورة ليمنع عنها المشقة وعن أيوب الحنث، والأولى السكوت عما سكت عنه القرآن ولم يبينه لعدم الحاجة إليه، والرجل قد يحدث له مع زوجته الكثير من الأمور التي تضطره إلى مثل ما وقع لأيوب عليه السلام، ولا يحط هذا من فضل أي منهما.

فلمَّا عُوفيَ شكرَ اللهُ حُسنَ خدمَتِها لأيوبَ أيامَ بلائِه، فأمرَه الله أن يجمعَ قضبانَ ريحانٍ عدَدُها مئةٌ فيضربَها بها ضربةً ليبرَّ يمينَه.

وقيل: الضِّغْثُ غصنٌ ذاتُ أغصانٍ كثيرةٍ.

وقيل: هو الشِّمْراخُ.

وقيل: الحزمةُ منَ الحشيشِ والرَّيحانِ.

وقيل: قبضةٌ من سُنبلٍ(١) فيها مئةُ سنبلةٍ.

مجاهد: هو لأيوبَ خاصَّةً، وهو منسوخٌ في شريعتِنا.

قتادةُ: عامٌّ في هذه الأمّةِ(٢).

وقيل: هذا جائزٌ في المريضِ والمعذورِ، ولا يجوزُ في غيرِهم.

وقيل: إذا اتَّصلَ به ألـمٌ جازَ، وإنْ خلا منَ الألـمِ لا يجوزُ.

وقيل: إذا أصابَه جازَ، وإنْ لـم يُصِبْه لـم يجُزْ.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾؛ أي: على البلاءِ ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يُريدُ: أيُّوبَ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مُقبِلٌ على طاعةِ ربِّه.

---

(١) في النسختين: «سنبلة»، والتصحيح من «تفسير السمرقندي» (٣/ ١٦٩)، و«تنوير المقباس» (ص: ٣٨٣).

(٢) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٤) قولي مجاهد وقتادة. وفي «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٤٤، ٦٤٨): «من العلماء من قال: هذا منسوخ في شريعتنا، وإذا حلف رجل أن يضرب إنساناً عشر ضربات ثم لم يضربه عشر مرات حنث، وقال قوم: بل لا يحنث إذا ضربه بما فيه عشرة بعد أن تصيبه العشرة، وهذا قول الشافعي ومِن قبله عطاء، قال: «هي عامة» وقال مجاهد «هي خاصة» وأهل المدينة يميلون إلى هذا القول».

(٤٥) ـ ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ قُرِئَ بالواحدِ والجمعِ[١].

فمَن جمعَ فـ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ومَن بعدَه بدلٌ منه، وكلُّهم داخلون في العبوديّةِ والذِّكرِ.

ومَن وحَّدَ فـ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحدَه بدلٌ منه وداخلٌ في العبوديّةِ والذِّكرِ، وغيرُه[٢] عطفٌ على العبدِ، داخلٌ في الذِّكرِ فحسب.

﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ قيل: أولي القوّةِ في العبادةِ، والبصيرةِ في الدِّينِ، فعبَّرَ عن القوَّةِ باليدِ لأن بها يكونُ البطشُ، وعبَّرَ عن المعرفةِ بالأبصارِ لأن بالبصيرةِ تحصُلُ المعارفُ.

وقيل: ﴿ٱلْأَيْدِى﴾: النِّعمةُ؛ لأنَّ الله قد أنعمَ عليهم.

ابنُ بحرٍ: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ كقولك: أولي العملِ والعلمِ، والمُرادُ بالأيدي: العملُ، وبالأبصارِ: العلمُ[٣].

ابنُ جريرٍ: لهم عند الله أيدٍ[٤]؛ أي: الأعمالُ الصَّالحةُ التي قدَّموها، كما تقولُ: له قِبَلَك يدٌ[٥].

* * *

(٤٦) ـ ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ (خالصة): مصدرٌ، والمعنى: جعَلْناهم يُذكِّرونَ النّاسَ بدارِ الآخرةِ ويُزهِّدونَهم في الدُّنيا.

---

(١) قرأ ابن كثير: (عبدنا) بالواحد، والباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٢) في النسختين: «وغيرهم»، والصواب المثبت.

(٣) ذكر نحوه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٤) بلا نسبة.

(٤) في النسختين: «أيدي»، والصواب المثبت.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١١٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٤)، واستغربه.

وقيل: يُكثِرون ذِكرَ الآخرةِ والرُّجوعَ إلى الله تعالى.

وقيل: معنى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: العملُ لها.

وقيل: ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: النُّبوةُ.

وقيل: الكتبُ التي فيها ذكرُ الآخرةِ.

وقيل: ﴿بِخَالِصَةٖ﴾: بنعمةٍ خالصةٍ لهم دونَ غيرِهم، والدَّارُ: الجنَّةُ؛ أي: لهم فيها ذكرٌ رفيعٌ جليلُ القَدْرِ؛ لقيامِهم بحقِّ(١) النُّبوَّةِ وأداءِ الرِّسالةِ.

وقُرِئَ بالإضافةِ(٢)؛ أي: أخلَصْناهم بأفضلِ ما في الجنَّةِ، كما تقولُ: أخلَصْناهم بخيرِ الآخرةِ.

وقيل: الدَّارُ في الآيةِ: الدُّنيا، والذِّكرى: الثَّناءُ الحسَنُ والوصفُ بالتَّعظيمِ، وهذا شيءٌ قد أخلَصَهم به، فليس ذكرُ غيرِهم في الدُّنيا بمثلِ ما يذكرون به، يُقوِّيه قولُه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقولُه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، وقولُه: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ﴾ [الصافات: ١٠٨ ـ ١٠٩].

و﴿ذِكۡرَى﴾ يجوزُ أن يكونَ رفعًا ونصبًا في الوجهَين(٣)، و﴿ٱلدَّارِ﴾: يجوزُ أن يكونَ ظرفًا، ويجوزُ أن يكونَ مفعولًا به(٤).

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾؛ أي: المُجتبَينَ ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: جمعُ (خيِّرٍ)، كميِّتٍ وأمواتٍ، وقيل: كشرٍّ وأشرارٍ.

---

(١) في (ن): «بأمر».

(٢) قرأ بها نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر وجوه إعرابها في «التبيان» للعكبري (٢/ ١١٠٢)، و«الدر المصون» (٩/ ٣٨٣).

(٤) أي: أصل المضاف إليه يجوز أن يكون ظرفاً، والتقدير: بخالصة ذكرى تقع في الدار، ويجوز أن يكون مفعولاً به، والتقدير: بخالصة ذكرهم الدارَ.

(٤٨) ـ ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾.

﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ ﴾ وهو خليفةُ إلياسَ كما سبقَ، وقيل: هو ابنُ إسحاقَ.

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾ الحسنُ: كانَ نبيًّا(١).

قتـادةُ: كان رجـلًا صالحًـا، كفـلَ بعملِ رجـلٍ صالـحٍ كان يُصلِّي كلَّ يـومٍ مئةَ صلاةٍ(٢).

وقيل: بمئةِ نبيٍّ انفَلَتُوا منَ القتلِ، فآواهُم وكفلَهم.

والكِفْلُ: الـجَدُّ والحظُّ، والكِفْلُ: النَّصيبُ.

وقيل: هو يوشَعُ بنُ نونٍ، وقيل: هو اليسَعُ، وقيل: زكريَّا، عليهم السَّلامُ.

﴿وكلٌّ﴾؛ أي: وكلُّهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾.

﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾؛ أي: شرَفٌ لهم.

وقيل: ما تقدَّمَ من أوَّلِ السُّورةِ من أمورِ الأنبياء ذِكرٌ.

وقيل: هذا ـ أي: القرآنُ ـ ذِكرٌ لك ولقومِكَ.

﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: مرجعٍ ومصيرٍ، ثمَّ فسَّرَ فقال:

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) من طريق معمر عن قتادة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥٠) ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾: دارَ إقامةٍ ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾؛ أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحةَ الأبوابِ.

وقيل: لا يحتاجون إلى مفاتيحَ وفتحٍ ومُعاناةٍ.

وقيل: هذا مثَلٌ؛ كما تقولُ: متى جئتَني وجدتَ بابي مفتوحًا؛ أي: لا يَمنَعُ منَ الدُّخولِ.

ابنُ بحرٍ: هذا وصفٌ بالسَّعةِ حتَّى يسافرَ الطَّرْفُ في كلِّ جانبٍ.

و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ بدلٌ منَ الضَّميرِ في ﴿مُّفَتَّحَةٗ﴾.

وقيل: تقديرُه: الأبوابُ منها.

وقيل: الألفُ واللّامُ قائمٌ مَقامَ الضَّميرِ؛ أي: أبوابُها. والقولُ هو الأوَّلُ.

***

(٥١) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ حالٌ منَ المُضمرين في ﴿لَهُمُ﴾؛ أي: جالسين فيها جلسةَ المُتنعِّمين للرّاحةِ ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ الفاكهةُ: ما يُؤكَلُ للَّذَّةِ لا للغذاءِ، ﴿وَشَرَابٖ﴾؛ أي: وشرابٍ كثيرٍ، فحُذِفَ اكتفاءً بالأوَّلِ؛ أي: يتحكَّمُونَ في ثمارِها وشرابِها، فإنْ[1] قالوا لشيءٍ منها: أقبِلْ، حصلَ عندَهم.

وقيل: يَتمنَّونَ ويسألونَ.

***

---

(١) في (ف): «فإذا».

(٥٢) ـ ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ﴾.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾؛ أي: أزواجٌ غاضَّاتُ البصرِ لا ينظُرْنَ إلى غيرِ أزواجِهنَّ.

﴿أَتۡرَابٌ﴾: لِدَاتٌ، واشتقاقُها منَ اللَّعبِ بالتُّرابِ.

وقيل: على خَلْقِ أزواجِهنَّ، لا أصغرُ ولا أكبرُ.

وقيل: هنَّ مُستوياتٌ في السِّنِّ، لا عجوزٌ فيهنَّ ولا صبيَّةٌ.

وقيل: أقرانٌ.

وقيل: أمثالٌ.

وقيل: بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ على ميلادٍ[1] واحدٍ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾؛ أي: لأجلِ يومِ الحسابِ؛ لأنَّ الحسابَ علَّةُ الوصولِ إلى جزاءِ العملِ.

وقيل: ما وُعِدتُم أُعطيتُم[2] في يومِ الحسابِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: من نهايةٍ، بل هو دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «في نسخة مثال».

(٢) في (ف): «أعطاه».

(٥٥) - ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾.

﴿ هَٰذَا ﴾ الزَّجَّاجُ: خبرٌ، والمبتدأُ محذوفٌ؛ أي: الأمرُ هذا[١].

وقيل: مُبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: هذا مآلُ أهلِ الجنَّةِ.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾: مَرجعٍ.

* * *

(٥٦) - ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدلٌ منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلُونَها ويُقاسونَ حرَّها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: ما مُهِدَ لهم؛ أي: جهنَّمُ.

وقيل: بئسَ ما مهَدُوا لأنفُسِهم.

* * *

(٥٧) - ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾.

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ الحميمُ: الماءُ الحارُّ يبلغُ في الحرارةِ أن يُحرقَ.

والغسَّاقُ: الباردُ الذي يبلغُ[٢] بردُه أن يُحرقَ.

وقيل: هو ما يسيلُ منَ القيحِ والصَّديدِ، وهو منَ النَّتْنِ بحيثُ لو قطَرَتْ منه قطرةٌ في الشَّرقِ لأنتنَ منها أهلُ الغربِ[٣].

وقيل: هو ما يأخذُ بالحَلْقَ[٤] إذا أرادَ الإنسانُ شربَه وابتلاعَه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٣٨).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) في (ف): «المشرق... المغرب».

(٤) في (ن): «الحلق».

وقيل: الغسَّاقُ: الزَّمهريرُ.

وقيل: وادٍ في جهنَّمَ تسيلُ إليه حُمَةُ كلِّ ذي حُمَةٍ[1].

وقيل: هو مشتقٌّ من قولِهم: غَسَقَتْ عينُه؛ إذا سالَتْ.

ابنُ بحرٍ: مأخوذٌ مِنَ (الغَسَقِ)، وهو الظُّلمةُ والسَّوادُ، وهذا ضدُّ ما يُرادُ في الشَّرابِ مِنَ الصَّفاءِ والرِّقةِ والحُسنِ.

و﴿غسَاق﴾ ـ بالتَّخفيفِ ـ أقربُ منَ التَّشديدِ[2]؛ لأنَّ فَعَّالاً ـ نحو الجبَّار والفيَّاد[3] ـ في الأسماءِ قليلٌ، ولو جعلتَه وصفًا استدعَى موصوفًا، وليس في الآيةِ موصوفٌ.

ومحلُّ ﴿هَٰذَا﴾ رفعٌ من ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُها: أن يكونَ مُبتدأً، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبرُه، و﴿غسَّاقٌ﴾ عطفٌ على الخبرِ، وقولُه: ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ اعتراضٌ.

والثَّاني: أن يكونَ مُبتدأً، و﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ خبرُه، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبرُ مبتدأ آخر؛ أي: هو حميمٌ وغسَّاقٌ.

الفرَّاءُ: منه حميمٌ ومنه غسَّاقٌ، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ النَّصبِ[4].

والثَّالثُ: أن يكونَ مُتَّصلًا بالأوَّلِ؛ أي: فبئسَ المِهادُ هذا.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾: وعذابٌ آخرُ وأنواعٌ أُخَرُ من مثلِ العذابِ المذكورِ.

---

(١) الحمة: السمُّ. انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٣٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) هو المتبختر. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٠).

وقيل: من مثلِ عذابِ الدُّنيا.

وقيل: يعودُ إلى الحميمِ.

وقيل: إلى الآخرِ.

﴿أَزْوَاجٌ﴾: أصنافٌ وألوانٌ، وقيل: مُقتَرناتٌ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ﴾؛ أي: إذا دخلَتْ جماعةٌ النّارَ ثمَّ دخلَ آخَرون.

والفوجُ الأوَّلُ: قيل: إبليسُ وبنوه، والثَّاني: بنو آدمَ.

وقيل: الفوجُ الأوَّلُ الرُّؤساءُ المُضِلُّون، والثّاني: الأتباعُ.

وقيل: الفوجُ الأوَّلُ: قادةُ المُشركين ومُطعِمُوهم يومَ بدرٍ، والفوجُ الثّاني: أتباعُهم ببدرٍ.

يقولُ الملائكةُ الذين هم خزنةُ النّارِ، وقيل: يقولُ الله لهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾؛ أي: داخلٌ معكم النّارَ، والاقتِحامُ: الدُّخولُ في الشَّيءِ بشِدّةٍ.

ويقولُ الفوجُ الأوَّلُ: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾؛ أي: لا وسَّعَ الله لهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ كما صَلِينا.

وقيل: إنَّما قالوا ذلك ولم يصدُرْ منَ الأتباعِ ذنبٌ في حقِّ مَن قبلَهم؛ لأنَّ النارَ تكونُ مملوءةً منهم.

وقيل: إنَّما قال ذلك الخزنةُ.

وقيل: إنَّما قالوا إخبارًا لا دُعاءً؛ أي: قد ورَدُوا مَوْرِدًا لا رُحْبَ فيه ولا سَعةَ.

ويحتمِلُ: أنَّهم إنَّما قالوا ذلك لأنَّ عذابَهم يُضاعَفُ بسببِهم.

(٦٠) ـ ﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾.

﴿قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ ولا أهلًا ولا سهلًا ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَا﴾ جعلتُمُوه لنا قَدَمًا؛ يعني: العذابَ، والقَدَمُ: كلُّ عملٍ يُوجِبُ شيئًا.

وقيل: ﴿أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَا﴾؛ أي: العذابَ؛ لأنَّكم سنَنْتُم الكفرَ ودعَوتُمونا إليه، فضلَلْنا باتِّباعِكم.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾؛ أي: النَّارُ.

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: الفوجُ الثَّاني: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴾ الضِّعفُ: المِثلُ المضمومُ إلى مثلِه، ضدُّ النِّصفِ، والتضعيفُ ضدُّ التَّنصيف.

وقيل: هذا من كلامِ الجميعِ، كأنَّ كلَّ واحدٍ أحالَ الذَّنبَ إلى آخرَ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾ يريدُ: يقولُ أبو جهلٍ وصناديدُ قريشٍ في النّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا﴾؛ يعني: فُقراءَ المُؤمنينَ صُهَيبًا وبلالًا وعمّارًا وخَبَّابًا ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾؛ أي: الأراذلِ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾: كنَّا نسخرُ بهم في الدُّنيا، و﴿سُخْرِيًّا﴾ بالضَّمِّ[(١)]: نتَسخَّرُهم[(٢)]. وقيل: هم لُغتانِ.

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالَتْ ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلا نراهُم، والمعنى: أَهُم[(٣)] في النّارِ معَنا فزاغَتْ عنهم الأبصارُ فلا نراهُم، أم ليسوا معنا؟

وقيل: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الدُّنيا؛ تحقيرًا لهم.

قال الحسنُ: كلُّ ذلك فعلوا، اتَّخذُوهُم سِخريًّا وسُخْرِيًّا[(٤)]، وزاغَتْ عنهم الأبصارُ تحقيرًا لهم[(٥)].

قُرِئَ: ﴿اتَّخَذْناهُم﴾ على الخبرِ، فتكونُ صفةً لقولِه: ﴿رِجَالًا﴾.

وقُرِئَ بالاستفهامِ[(٦)]، وحُمِلَ على معنى التَّسويةِ كقولِه: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

* * *

(٦٤) ـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من كلامِ أهلِ النّارِ ﴿لَحَقٌّ﴾: لَصِدقٌ كائنٌ لا

---

(١) قرأ بها نافع وحمزة والكسائي، والباقون بكسر السين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) في (ن): «يتسخر بهم».

(٣) في (ف): «أنهم».

(٤) في مصدري التخريج: «سخريًا» بلا تكرار.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٩).

(٦) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالإخبار، والباقون بالاستفهام. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

محالةَ، ثمَّ صرَّحَ فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ فارتفاعُه بالبدلِ، أو بالخبرِ[1]؛ وهو تخاصمُ، أو بالخبرِ بعد الخبرِ[2]، وهو جوابُ القسمِ على ما سبقَ.

***

(٦٥) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ﴾: رسولٌ أُخوِّفُكم عذابَ الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعني: قاهرَ الخلقِ.

***

(٦٦) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنِّقمةِ، ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ للمُؤمنينَ بالرَّحمةِ[3].

***

(٦٧) ـ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: القرآنُ، وسمَّاه عظيمًا؛ لأنَّه كلامُ ربِّ العالمين.

وقيل: يومُ القيامةِ.

وقيل: النَّبأُ الذي يأتيكُمْ به عنِ الله نبأٌ عظيمٌ.

---

(١) في (ن): «وهو».

(٢) «بالرحمة»: ليست في (ف).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣١٦).

(٦٨) ـ ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾: غافِلون، والإِعراضُ عنِ الشَّيءِ: الذَّهابُ عنه في عُرْضٍ؛ أي: في جانبٍ.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾؛ أي: لو لـم أكُنْ نبيًّا يُوحَى إليَّ لَمَا كانَ لي من علمٍ بالملأ الأعلى، وهم الملائكةُ واختِصامُهم، وفي إخباري إيّاكم ذلك دليلٌ على أنِّي أُعلِمْتُ ذلك بالوحيِ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾؛ أي: ما يُوحَى إليَّ إلا أنِّي نذيرٌ مُبينٌ.

وقيل: ما يُوحَى إليَّ الإنذارُ.

وقيل: تقديرُه: ما يُوحَى إليَّ إلّا أنَّما أنتَ نذيرٌ مبينٌ، فعبَّرَ عنه بالمعنى[1].

وأمَّا اختِصامُهم فهو ما ذكَروا في شأنِ آدمَ عليه السَّلامُ حينَ أخبرَهم بخلقِه فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية [البقرة: ٣٠].

وقيل: اختِصامُهم: مُخالفتُهم لإبليسَ ومُخاصمَتُهم له.

وقيل: تخاصُمُهم: مُناظَرتُهم بينَهم في استنباطِ العلمِ؛ لأنَّ بعضَهم أعلَمُ من بعضٍ، كما تجري المُناظرةُ بين أهلِ العلمِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٣/ ١٠٠٦)، واستغربه.

(٧١) ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ يعني: آدمَ ﴿مِّن طِينٍ﴾: ترابٍ مبلولٍ.

* * *

(٧٢) ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يُريدُ: التي هي مخلوقَتي ومملوكَتي، والرُّوحُ جسمٌ رقيقٌ هوائيٌّ في كلِّ جزءٍ منه حياةٌ، وهذا عندَ مَن يَزعُمُ أنَّ الرُّوحَ معلومةٌ، وأنَّ المُرادَ بقولِه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] اليهودُ.

وأمَّا عندَ الجمهورِ فالرُّوحُ من أمرِ الله لا تُعرَفُ كيفيَّتُه.

وقيل: الرُّوحُ: ما يمتازُ به الحيُّ منَ الميِّتِ.

وقيل: ﴿مِن رُّوحِي﴾ الذي خلقتُه له، وأضافَه إليه تخصيصًا، كبيتِ الله وناقةِ الله.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ وكانَ انحناءً يدلُّ على التَّواضعِ.

وقيل: كانَ سجدةً لله.

وقيل: صلَّى آدمُ بهم، فصلَّوا في جماعةٍ وسجَدُوا في الصَّلاةِ.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناءٌ متَّصلٌ عند بعضِهم، مُنقطعٌ عند بعضٍ، وقد سبَقَ.

﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾: تعظَّمَ، وأوَّلُ مَن استكبرَ إبليسُ[1].

---

(١) ذكره ابن فورك في «مشكل الحديث وبيانه» (ص: ١٢٨).

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قيل: صارَ.

وقيل: كانَ منهم في سابقِ علمِ الله.

وقيل: لـم يزَلْ كافرًا.

وقيل: كان مُؤمنًا ثمَّ كفرَ، وهذا هو القولُ الأوَّلُ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾.

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ أي: ما منعَكَ السُّجودَ، ومنَ السُّجودِ.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾: تولَّيتُ خَلْقَه من غيرِ أن أُمِرْتُ به، ولا سببٍ أدَّى إليه.

وقيل: بقُدرَتي ونِعمَتي.

والتَّثنيةُ هاهنا كالجمعِ في قولِه: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس: ٧١][1].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ استفهامُ إنكارٍ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ من قولِه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤].

* * *

(٧٦) ـ ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وهذا قياسٌ فاسدٌ، ولهذا استحَقَّ اللَّعنَ، وقد سبقَ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: منَ الجنَّةِ.

---

(١) استدل المصنف بتوحيد اليد المضافة إلى الله سبحانه وتعالى مرة، وتثنيتها مرة، وجمعها مرة أخرى؛ على أنها ليست بالجارحة، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقيل: منَ السَّماءِ.

وقيل: من صورةِ الملَكِ.

وقيل: منَ الأرضِ إلى جزائرِ البحورِ.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: ملعونٌ مشتومٌ.

وقيل: إنْ رجَعْتَ إليها رُجِـمْتَ بالشِّهابِ الثّاقبِ؛ أي: رُجِمَ[1] آدمُ ورُجِمَ إبليسُ.

***

(٧٨) ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾: طَرْدي منَ الجنّةِ وإبعادي من كلِّ خيرٍ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يومِ الجزاءِ والحسابِ.

***

(٧٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وفـي التَّفسـيرِ: إنَّمـا قـال: ﴿يُبْعَثُونَ﴾ لكيـلا[2] يـذوقَ المـوتَ، فأبَـى الله سُـبحانَه أن يُعطيَـه سُـؤلَه، فقال:

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يعني: نفخةَ الموتِ، وهذا إخبارٌ منه سُبحانه لا استجابةٌ لدُعائِه.

وقال بعضُهم: لـم يُعلِمْه الوقتَ الذي أنظرَه إليه.

---

(١) في النسختين: «رجم»، وهو تصحيف.

(٢) في (ف): «لئلا».

(٨٢) ـ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: لأُضِلَّنهم.

وقيل: لأحـمِلَنَّهم على الغَيِّ، وهو ضدُّ الرُّشدِ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وهم الذين عصَمَهم الله من إضلالي؛ إنْ فُتِحَتْ، وإنْ كُسِرَتْ[١] فهم الذين أخلَصُوا طاعتَهم لله.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ الأوَّلُ رفعٌ من وجوهٍ:

أحدُها: بالخبرِ؛ أي: أنا الحقُّ.

وقيل: بالابتداءِ؛ أي: الحقُّ منِّي.

وقيل: الحقُّ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: أنْ أملأ جهنَّمَ، و﴿الحقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضٌ.

ويحتمِلُ: فالحقُّ يميني لأملأَنَّ جهنَّم، كما قال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢]؛ أي: لَعَمرُكَ قسَمي ويميني.

ومَن نصبَ[٢] فعلى إضمارِ القولِ؛ أي: أقولُ الحقَّ لأملأنَّ.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٢) قرأ عاصم وحمزة: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ بالرفع ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون كليهما بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

وقيل: قسَمٌ؛ كقولِك: حقًّا لأملأنَّ.

وقيل: بالحقِّ، فحُذِفَ الجارُّ ونُصِبَ، كقولِك: اللهَ ما فعلتُ، و﴿الحقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضٌ.

وقيل: نصبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ كقولِه: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ [يونس: ٨٢].

وقيل: نصبٌ على الإغراءِ؛ أي: اتَّبِعُوا الحقَّ.

وقيل: تقديرُه: فسأفعلُ الحقَّ في أمرِكَ.

وأمَّا الثَّاني فمنصوبٌ بقولِه: ﴿أَقُولُ﴾.

وقيل: هما قَسَمانِ[1].

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ يا إبليسُ ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: من الجِنَّةِ والنَّاسِ.

* * *

(٨٦) ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: على النَّبأ العظيمِ.

وقيل: على القرآنِ.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْلٍ ورزقٍ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ لهذا القرآنِ من تلقائي.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ بأنْ آمرَكُم ما لـم[2] أُؤْمَرْ به.

والتَّكلُّفُ[3] تعسُّفٌ في طلبِ الأمرِ الذي لا يقتضيه العقلُ.

---

(١) في (ف) زيادة: «لأملأن جهنم».

(٢) في (ف): «لا».

(٣) في (ف) زيادة: «لأملأن جهنم».

(٨٧) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾: شرفٌ وعِظةٌ.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾: نبأ القرآنِ وما فيه منَ الوعدِ والوعيدِ وذكرِ البعثِ والنُّشورِ.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: بعد الموتِ.

وقيل: بعد أن يأمرَ الله محمَّدًا بالقتلِ والسَّبيِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

وقيل: يومَ القيامةِ.

فَتحَ السُّورةَ بالذِّكرِ وخَتمَ بالذِّكرِ.

* * *